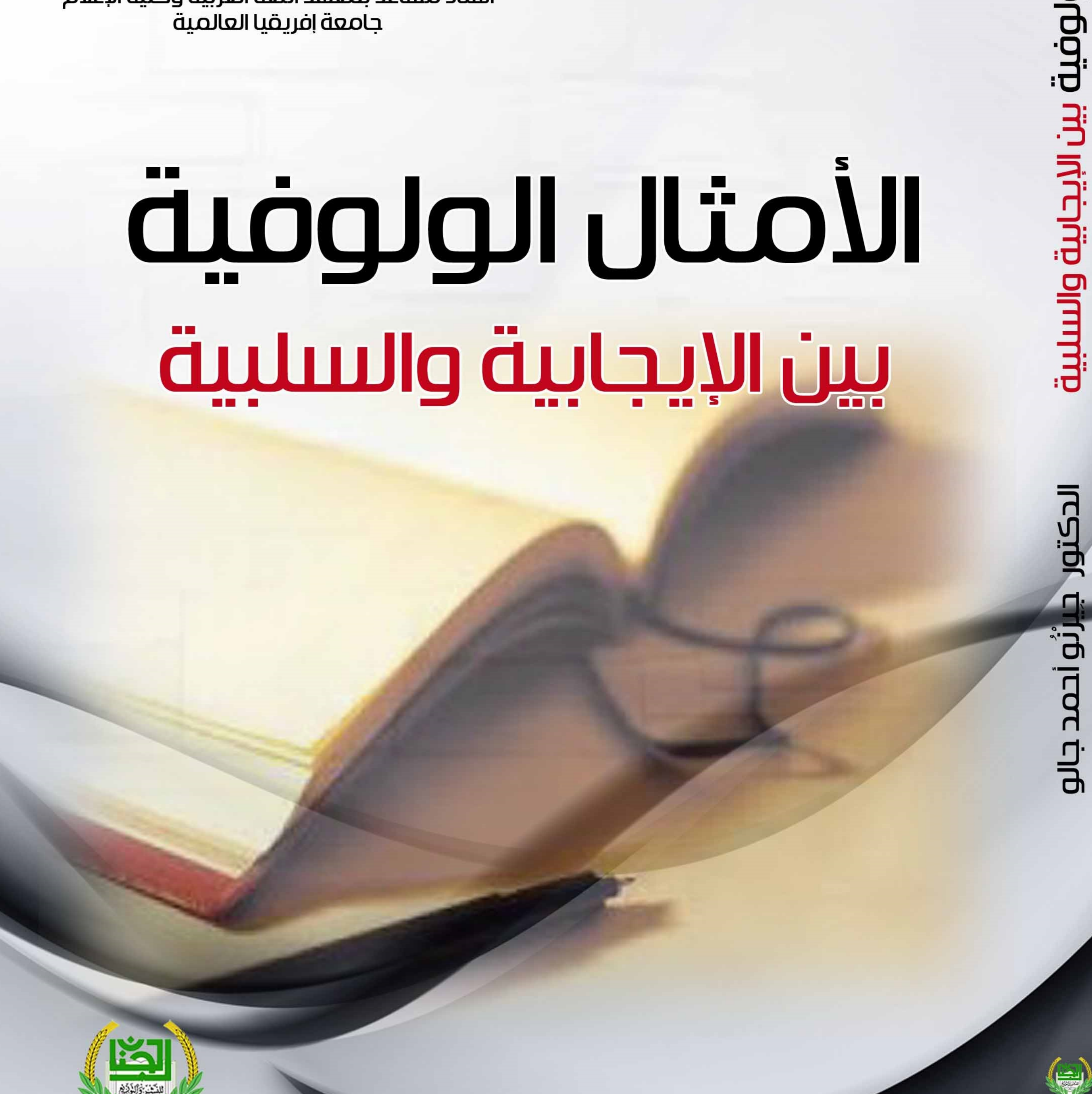
الدكتور
جِيرْنُو أحمد جالو
أستاذ مساعد بمعهد اللغة العربية وكلية الإعلام
جامعة إفريقيا العالمية

الأمثال الولوفية
بين الإيجابية والسلبية



الأمثال الولوفية

بين الإيجابية والسلبية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

٢٠١٦

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

٤٧٨١/ ٩ /٢٠١٥ مركز الايداع ٣٩٨.٩٦٦٣

الأمثال الولوفية بين الإيجابية والسلبية

الدكتور/ جِيرْنُو أحمد جالو

دار الجنان للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي - مجمع جوهرة القدس التجاري – ط(M)

- هاتف: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٥٩٨٩١ تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٥٩٨٩٢
- البريد الإلكتروني: dar_ jenan@yahoo.com

daraljenanbook@gmail.com

الأمثال الولوفية

بين الإيجابية والسلبية

الدكتور

جِيرْنُو أحمد جالو

أستاذ مساعد

بمعهد اللغة العربية

وكلية الإعلام

جامعة إفريقيا العالمية



تنبيه:

هذا الكتاب - الذي بين يدي القارئ الكريم- أصله بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية (جامعة الدول العربية).

وكان تحتَ إشرافِ أستاذِي أ. د عبد الرحمن محمد أحمد كدوك، أستاذِ الأجيال، والأستاذِ الفاضل العقيد الدكتور النعيم التوم (مناقشا خارجيا) –حفظهما الله، وأَمَدَّ عُمرَيْهما في طاعةِ اللهِ، ونفعَ بهما الأجيالَ-، وقد أحرزتُ بالبحثِ درجة الماجستير في علم اللغة التطبيقي، بتقدير ((ممتاز)) في البحثِ، وتقدير عام ((جيد جدًّا))، (رابع الدُّفعة) وهو الماجستير (الثالث) الذي أنعمَ اللهُ بهِ عليَّ، بعدَ الماجستير في الإعلامِ- إذاعة وتلفاز بجامعة أم درمان الإسلامية بتقدير عام ((ممتاز))، وماجستير في علومِ الاتصال بجامعة إفريقيا العالمية (بدون تقدير) مع إشاداتٍ عالية للبحوثِ جميعِها، والباحثِ في جميعِ ذلك.

هذا، وقد نلتُ درجة الدكتوراة بجامعة أم درمان الإسلامية بتقدير ((ممتاز))، في شهر أكتوبر/ ٢٠١٤م. مع توصيةِ لجنة المُناقشةِالحكم بطبعِ ونشرِ الرِّسالةِ، مع إشاداتٍ منقطعةِ النظير من الخبراء المتخصصين في هذا الشأنِ؛ بل ومن الرُّوَّاد في هذا المجالِ من أمثالِ: أ. د عبد الدائم عمر الحسن، وأ.د بدر الدين، ود. نادية إبراهيم أحمد (المُشرفة على الرسالة).

جيرنو أحمد جالو



إهداء

أحمد الله تعالى، وأشكره على آلائه المتتالية؛ فلولاه لما تحركَ ساكنٌ، ولا سكن مُتَحرِّكٌ منِّي، فلهُ الحمدُ في الأولى، والآخرةِ. ثمَّ أُهدي هذا الكتاب: ١- إلى والدَيَّ الفاضلينِ اللَّذين لهما الفضل في تربيتي، وتوجيهي إلى سبيلِ العلمِ النافع، والعمل الصالح -لا غير-، وصبرا طويلا متحملين عناء اغترابي لسنواتٍ قاربت عشر حِجَجٍ؛ طلبا للعلم النافع المُورثِ للعملِ الصالحِ: (**رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**).[1] ٢- وإلى جميع أسرتي الكبيرة الكريمة، وجميع الأقارب، والأباعد. ٣- وإلى زوجتَيَّ: فاطمة بلل باه، ومها هاشم محمد حبيب. وإلى الأبناءِ: (محمد علي جالو، وفاطمة جالو، ومريم جيرنو أحمد جالو) الذين اكتوَواْ بنارِ الغُربةِ بشكلٍ، أو بآخرَ. ٤- وإلى أساتذتي الفضلاءِ في كلٍّ من السنغال، وموريتانيا، والسودان، والأردن، والسعوديةِ .. الذين استفدتُ من علومهم، وخبراتهم، وسَمْتِهِمْ، وهديهم. وأخص من هؤلاءِ بالذكرِ:

أولاً: **أ. د. عبد الرحمن محمد أحمد كدوك/** عميد كلية التربية بجامعة إفريقيا العالمية –سَابِقاً–، والذي تجشَّمَ عناءَ الإشراف على الكتابِ؛ حين كانَ رسالة علمية بمعدِ الخرطوم الدولي للغةِ العربية، وقد أحرزَتُ بها درجة الماجستير في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، عام ٢٠١٢م.

وثانيًا: **د. النعيم التوم محمد أحمد/** مدير إدارة العلوم العامــة بجامعـة كـرري، والذي كان مناقشًا خارجيًّا للرسالةِ. ولا أنسَى جميلَ الأُستاذَيْنِ المذكورَيْنِ؛ في وضعِ بصماتِهما الواضحة في الرِّسالةِ، وتشجيعهما المتواصل؛ إلى أن خرجَ الكتاب بشكلِهِ الجميلِ؛ فقد ضربا أروعَ المثلِ وأعدله في الجمعِ بين بين الرعاية الأكاديمية أو العلمية الرسمية، و بين العطف الأبوي، والأخويُّ، والحب في اللَّهِ. وإنِّي وأيمُ لا أنسَى الكمَّ الهائلَ من ثنائِهم العلمِي، والموضوعي العاطرِ، ومُنقطِعِ النَّظيرِ للرِّسالةِ، ومدحهم، وتشجيعهم لِي، وما كُنتُ أرى لنفسي من ذلك شيئًا مذكورًا؛[2] –ولا زلتُ– أعتبر نفسي متطفِّلًا على العلماءِ؛ لعلِّي أُنظم في سلكِهم، وأُحشر في

---

[1] سورة الإسراء، آية رقم: ٢٤.

[2] لدرجة أن الدكتور النعيم التوم محمد أحمد يخبروني دائما أنه يستمع بإعادةِ قراءةِ الرسالةِ كل ما سنحت له الفرصة، وبأنه يوجه طلابه الذين يُشرف عليهم بدوامِ الرُّجوعِ إلى الرِّسالةِ، وقد قابلني فعلا باحثون من طرفِ سماحتهِ بهذا الخصوصِ. وأما البروفيسور/ عبد الرحمن كدوك فقد ذكر جوانبَ طيبةً من أهميةِ الرسالةِ، وفي مواقعَ عديدة، وهو دائمُ الثناءِ عليها، وهو الذي جمع الله بين طرفٍ معتبرٍ من علومِ الشرقِ، والغربِ، فاللَّهم

عدادِهم؛ فَـ((المرءُ مع من أحبَّ)). وفي الأخير أُهدي الكتاب إلى أستاذي تاج السر بشير صالح/ عميد معهد اللغة العربية، والبروفيسور كمال عبيد مدير جامعة إفريقيا العالمية، وأ. د علي شمو، ود. نادية، وأ. د عمر عبد الدائم، وأ.د عوض إبراهيم عوض، وأ. محمد صالح محيي الدين، وعاطف عبد القادر، وأ. عبد الحافظ عبد الرؤوف، وأ. ربيعة، وأ. أحمد إسماعيل، والمُشير عمر حسن أحمد البشير، والمُشير/ عبد الرحمن سوار الذهب، وأستاذي/ عبد الرحيم علي محمد إبراهيم. وأ. د محمد أحمد لوح. وأهدي هذا العمل إلى قبيلةِ الولوفِ، وسائرِ قبائلِ السنغالِ، والقارةِ الإفريقيةِ؛ لا بل أهديه لكل العالم آملًا من اللهِ أن يجعله خالصًا، وعلى السنةِ صوابًا، وأن يحقق الهدف منه، كما أسأله أن يجعلَه مقبولًا لديه، ولدى الناسِ، وأن يكتب جزاءه لكاتبه، وناشره، وقارئه، وأسأل من وقف عليه أن يدعو لي ولوالديَّ، ولجميع من كان له فضل في نشر الكتاب، ولو بتشجيعٍ، أو دُعاءٍ.

شُكر مُستحقٌّ

الحمد لله في البدء، والأثناءِ، والختامِ، كل ما ذكره الذاكرون، وغفلَ عن ذكره الغافلون، و((لَا يَشْكُرُ اللَّهَ؛ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ))؛[3] تأسيسًا على ذلك، أشكرُ –في باكورةِ عملي هذا: ((الأمثال الولوفية بين الإيجابية والسلبية))- الصُّروحَ/ المؤسساتِ العلميةِ العالميةِ التي انتظمتُ

اجزِهما خيرَ الجزاءِ بقدرِ ما نفعاني، ونفعا الأجيالَ المتلاحقةَ، واجعل الجنة مثوانا ومثواهما، ومثوى جميع علمائنا. أنت الولي على ذلك، والقادر عليه، واجعلنا معطائِينَ للخيرِ للأجيالِ علما نافعا، وعملًا صالحًا، وبجميعِ الأساليب الطيبة، والوسائل المتاحة، واكتب لنا القبول، والرضا، والزيادة جميعا، آمين. ثم اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون، ولا تؤاخذا بما يقولون، واغفر لنا فيما لا يعلمون. ومن باب ذكر النعمةِ أنني نُوقشتُ في ثلاثِ جامعاتٍ مختلفة في تخصصاتٍ مختلفة، فلا تأتي التي بعدَها إلَّا وكانت التي خيراً من التي قبلَها، حتَّى أحرزتُ الدُّكتوراه؛ فالشكر لله على إجماعِهم، ثم الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحاتِ.

[3] أخرجه أبو داود في الأدب، باب ١١، والترمذي في البر باب ٣٥. كما أورد المعلق على تفسير القرآن العظيم لابن كثيرٍ، الطبعة العلمية. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (لَا يَشْكُرُ اللَّهَ؛ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ هَذَا الْكَلَامُ يَتَأَوَّلُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ طَبْعِهِ كُفْرَانُ نِعْمَةِ النَّاسِ وَتَرْكُ الشُّكْرِ لِمَعْرُوفِهِمْ كَانَ مِنْ عَادَتِهِ كُفْرَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرْكُ الشُّكْرِ لَهُ. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَقْبَلُ شكر العبد على إحسانه إليه إذ كَانَ الْعَبْدُ لَا يَشْكُرُ إِحْسَانَ النَّاسِ إِلَيْهِ وَيَكْفُرُ مَعْرُوفَهُمْ لِاتِّصَالِ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ بِالْآخَرِ. كما أوردَهُ القرطبي في الجامع لأحكام القرآن له، عند تفسيره لقوله تعالى: **(ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون)** سورة البقرة، آية رقم: ٥٢. ج/١، ص: ٣٩٨)

بالدراسةِ فيها –بفضلِ اللهِ تعالى-: جامعة إفريقيا العالمية، وجامعة أم درمان الإسلامية، ومعهدِ الخرطوم الدولي للغةِ العربية، وكلية جبرة العلمية. هذا، وقد تخلَّلتْ، وسبقت مسيرتي المباركة الإعلامية، واللغوية، والدعوية، والشرعية، والتدريب والتنمية البشرية في الجامعات المذكورة – مسيرةٌ علميةٌ مباركةٌ أُخرَى: وذلك في كلٍّ من جامعة العلوم الإسلامية العالمية بعَمَّان- المملكة الأردنية الهاشمية (ماجستير/ الحديث الشريف وعلومه)، ومعهد العلوم الإسلامية والعربية/ فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (المعهد السعودي/ القسم الجامعي) بانواكشوط/ جمهورية موريتانيا (تخصص: العلوم الإسلامية، والعربية)، وليس استثناءً ما كُنتُ تلقيتُهُ في الحرمين الشريفينِ من دُرُوسٍ منهجية استثناءً؛ فأشكر كل تلك المؤسسات العلمية والعملية العريقة التي أسهمت في تشكيلِي، وأعطتني فرصةً لتطبيقِ الكثيرِ ممَّا تعلمته. وبعبارةٍ أوجز: فالكاتبُ حسنةٌ من حسناتِ المعاهدِ والصروح العلمية المذكورة ونظيراتها: كمدرستي الفلاح، ومفتاح الخير بداكار/ السنغال. وإني وأيمُ اللَّهِ شاكرٌ لجميعِ المؤسساتِ التي عملتُ بها داخل وخارج السودان، وعلى وجه الخصوص مجلس الشباب العربي والإفريقي، وجامعة إفريقيا العالمية (معهد اللغة العربية، وكلية الإعلام)، ومركز النهضة للتدريب والتنمية البشرية، ومجموعة العدناني بعمان، الأردن، ومعهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب الذي نشرَ هذا الكتاب، بقيادة قائد سفينتها أ. عبد الحافظ عبد الرؤوف، فجزى الله خيرًا، ووفقه للمزيد من السدادِ. وأشكر أساتذة لي استفدت منهم، ود. عمر إيمان أبو بكر، ود. أحمد الهادي الشيخ، الأستاذ الكبير حسن خطري، وأ. أحمد فال، ود. عباس مصطفى المقبول، وأ. د محمد أحمد لوح. وعبد الوهاب الحربي، وإبراهيم تانو، وبابا عثمان امبي، وباب مالك جو. كما أشكر زوجتيَّ: مها هاشم محمد حبيب إبراهيم، وفاطمة بلل باه، وأسرتيْهما المباركتين، وأولادي، وإخوتي، وأخواتي جميعا. وأخيراً، أزجي شكري لجمهوريتي ((السنغال))، و((السودان)) حكومةً وشعبًا، على هيَّأتا لي من فرصٍ لمواصلة دراساتي، سائلا المولى لهما المزيد من التعاون، والتفاهم المشترك، في الأصعدة كافة. كما أزجي شكري إلى اتحاد الطلاب السنغاليين بالسودان، ونظيره اتحاد غينيا، وغامبيا؛ بل إلى جميع طلاب العلم والمعرفة، أينما وُجدواْ على ظهرِ هذهِ البسيطةِ.



تقديم رقم: (١).

لقد سعدتُ أن أقدِّمَ لهذا الكتاب - والذي في أساسه بحث أشرفت عليه؛ لنيل درجة الماجستير في اللغة بعنوان: (**الأمثال الولوفية بين الإيجابية والسلبية**) -. ومنبعُ سعادتي أن البحث الذي أشرفتُ عليهِ لاقَى في نفسي هوًى؛ لاهتمامي بهذا الضربِ من الفنونِ، ثم ها هو ذا يخرُجُ في ثوبٍ جديدٍ؛ ليكون إضافةً طيبةً للمكتبةِ العربيَّةِ.

الأمثالُ الشعبيةُ هي ذاكرة الشعوبِ، ومخزونُ تجاربها من الخبراتِ الحياتيةِ، والعملية في شتى ضُروبِ الحياةِ .. ولا تخلو أمة من الأمم في مشارقِ الأرضِ ومغاربها من هذا الضربِ من الفنِّ. وتتميزُ الأمثالُ الشعبيةُ –والولوفيةُ من بينِها– بأنَّها –عادةً– ما تكونُ في كلماتٍ قلائلَ تُضيءُ المطلوبَ ببلاغةٍ مُدهشَةٍ.كان المنهجُ الذي اتَّبعَهُ الباحثُ: أن يذكرَ المثلَ الولوفيَّ بالحروفِ اللَّاتينيَّةِ، ثم يذكرُ دلالتَهُ الحرفيةَ، ومن ثمَّ المعنَى الدّلاليَّ للمثلِ، وما يقابلُهُ من الأمثالِ النَّظيرةِ في الأمثالِ العربيةِ، والشامية، والعامية السودانية، وفي أحيانٍ أُخرَى الفرنسية، وبعض الأجنبية.ومن كُلِّ ذلك العرض الثَّريِّ .. يذهبُ الباحث في اتجاهِ التَّأصيل الإسلاميِّ للأمثالِ الولوفيَّةِ؛ وهذا ما أفضَى إلى تصنيفِها بين أمثالٍ ((إيجابيةٍ))، وأخرى ((سلبية)). وخلص الباحث في نهايةِ هذا الجَهد المقدَّر الذي بذله إلى نتائجَ، وتوصياتٍ، وبعضِ المقترحاتِ.وفي الختامِ، لا أُجانبُ الصَّوابَ؛ إن قُلتُ: إنَّ هذا الكتابَ سيكونُ إضافةً طيِّبةً للمكتبةِ العربيَّةِ، وفي ضربٍ مُهمٍّ من ضُروبِ المَعرفةِ، وقد يكونُ دافعًا، ومُحفِّزًا لعَدَدٍ من طُلَّابِ الدراساتِ العُليا من دُولٍ أُخرى غيرِ السِّنِغالِ.

واللهُ الهادي من وراءِ القصدِ إلى سواءِ السَّبيلِ.

بروفيسور/ عبد الرحمن كدوك [٤]

كلية التربية جامعة إفريقيا العالمية

---

[٤] كتبت هذه المقدمة بتاريخ: ٢٠١٥/٤/١٦م بالخرطوم، والبروفيسور عبد الرحمن محمد أحمد كدوك هو عميد كلية التربية بجامعة إفريقيا العالمية –سابقا- .

تقديم رقم (٢):

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد:

كلفت من قبل معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الذي يعتبر العمود الفقاري للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية؛ لتقييم الدراسة التي قدمها الدكتور/ **جيرنو أحمد جالو**، التي جاءت تحت عنوان "**الأمثال الولوفية بين الإيجابية والسلبية**".

تناول هذا الكتاب الأمثال ذائعة الصيت بين شعب السنغال الإفريقي، التي تنم عن خبرته، وتجربته، ومعالجته لقضاياه الاجتماعية بحنكة، وحكمة متناهية، استطاع الباحث أن يستعرضها بمنهجية، ومهنية عالية، هذا؛ لتمكن الكاتب من أداة مهمة وهي بلاغة اللغة، وجزالة الأسلوب.

على الرغم من صعوبة مثل هذه الدراسات؛ اعتمد الكاتب على خبرته في تحليل الأمثال الولوفية السنغالية التي جاءت مرة إيجابية، وتارة أُخرى سلبية؛ وذلك لاستفادة الأجيال منها، كيف ولا؛ وهي خبرات مُتراكمة عبرَ الأزمنةِ، والحقبِ التاريخية المتتالية، التي كادت أن تندثر في الغياهبِ؛ بسبب العولمةِ، وتسابق العلمانيةِ المحموم؛ فيحمد لكاتبنا حفاظَه على هذا الإرثِ - الذي يُمثلُ حضارةَ وذاكرةَ الشعبِ الإفريقيِّ المختزلةِ في ثقافة السنغالِ.

بصورة مُجملة أستطيع القول: إن هذا الكتاب جدير بالنشر، فجاء سهلا، ممتعا، مؤنسا، لا يُمَلُّ؛ وذلك بجَهد كاتبه، وأتوقع له أن يكون حلقة وصل بين الثقافة السنغالية الإفريقية، ونظيرتها العربية.

والله من وراء القصد.

د. النعيم التوم محمد أحمد

مدير إدارة العلوم العامة

جامعة كرري

المقدمة:

يدرس موضوعُ الكتابِ: ((الأمثالَ الولوفية بينَ الإيجابيةِ وبينَ السلبية))، ولا يخفى أن دراسةَ "الأمثال" على قدرٍ كبيرٍ من الأهميَّةِ؛ لأنَّها تدخلُ في صميمِ أسلوبِ حياةِ المجتمعاتِ، والشعوبِ، والأممِ. وبعبارةٍ أُخرى: تُصَنَّفُ الأمثالُ ضرباً من ((الثقافةِ المعنويةِ)) للأممِ، مَثَلُها مَثَلُ الحكم، والحكاية الشعبية، والأحاجي، والأساطير، وخلاها.

و"المثلُ" على حدِّ تعبيرِ الإمامِ المبرِّدِ ((قولٌ سائرٌ، يُشَبَّه به حال الثاني بالأوَّل، والأصلُ فيه التشبيه، وهو مأخوذ من المثال)).[٥] و((يجتمع في المثلِ أربعٌ لا تجتمع في غيرِهِ من الكلامِ: إيجازُ اللفظِ، وإصابةُ المعنى، وحُسنُ التَّشبيهِ، وجَوْدةُ الكتابةِ؛ فهو نهايةُ البلاغةِ)). والمثلُ حكمةٌ مفرَّغةٌ بكلماتٍ قليلةٍ، وقد أصبحت شعبيةً؛ ومن هنا وُصِفَ المثلُ بأنَّه سائدٌ. وَوَصَفَ بعضُهم المثلَ بأنَّهُ ((أبْقَى مِنَ الشِّعرِ، وأشرَفُ من الخِطابةِ، لم يَسِرْ شيءٌ مَسيرَها، ولا عمَّ عُمُومَها؛ حَتَّى قيلَ: "أسْيَرُ مِن مَثَلٍ")). وهي لدى بعضهم: ((حِكَمٌ قَصِيرَةٌ مُستقَاةٌ من تَجربةٍ طويلةٍ، إنَّها حكمةُ الشعوبِ منذُ أقدمِ الأزمنةِ)) ...ولا يمكن الجزم عن ((نشأةِ المثل))؛ لأنه كاللغةِ "وليدةُ المجتمعِ"، أو بتعبيرٍ أدقُّ: وليدةُ التجربةِ الإنسانيةِ في المجتمعِ".[٦] وقد تناول العديدُ من الباحثين، والمؤلفين موضوعَ الأمثال بالدراسةِ -فُصْحَى، أو عامية، أوشعبية- في الكثيرِ من لغاتِ العالمِ قديماً وحديثاً؛ ولكنَّ الذي لا يخفَى أنَّ الأمثالَ الإفريقية عموماً، والسنغاليةِ خصوصاً لم تنلْ الاهتمامَ الجدير بها، كرصيفاتِها الأخرى-، كما لاحظَ أنَّ الكتابةَ فيها من قِبَلِ أهلِها ضئيلٌ للغايةِ -إن وُجدتْ فيها دراسات علميةٌ-، ولم يقع في يدِ الباحثِ مُصنَّفٌ مستقلٌّ، وجادٌّ في هذا الخصوصِ، كما أنّ الباحث لم يعثُرْ -إلى الآنَ- رسالةً علميَّةً تصدَّتْ -بصورةٍ متخصِّصةٍ- لتأصيلِ الأمثالِ؛ مع أنّه باتَ واضحاً لدى الناسِ أنَّ الأمثالَ منها ((الإيجابيَّةُ)) التي تدعو إلى المُثُلِ العُليا، والقيمِ النبيلةِ، والتي تُرَقِّي مَن امتثَلَها إلى أعلى

---

[٥] سمير شيخاني، قاموس الحكم والأمثال، ط١، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ٧، نقلاً عن المبرد، إبراهيم النظام، ابن عبد ربه، العقد الفريد،، ج ٣، ط١، ص ٦٣.

مدارجِ الكمال، وتُؤَدِّي إلى نهضةِ الإنسانيةِ، وسُمُوِّها مادَّةً، ورُوحاً، وازدهارها في مجالاتِ الحياةِ كافَّةً. ومنها ما تَقُضُّ مضجعَ صاحبِهِ، وتُودِي بِهِ وبالأُمَمِ، وتُؤدِّي إلى عكسِ كلِّ ما ذُكرَ سلفاً من أوجُهِ الخيرِ، والرُّقيِّ، وتُلقِي بأيدِيهم إلى التهلكةِ، ثم الهاويةِ؛ جرّاءَ ما تشتمل عليهِ من المضامينِ الفاسدة المناقضةِ للقيمِ الإيجابيةِ؛ وعليهِ فهي ((((أمثالٌ سلبيَّةٌ)))). وبما تقدَّمَ نُدرك أنَّ فحوى الأمثالِ تُشكِّلُ ((قضايا مصيريَّةً))، وتُعتبَرُ سلاحاً ذا حدّينِ، وعملةٌ ذاتُ وجهينِ: تصلح للنهضةِ، والنهضةِ الشاملةِ، كما تُفضي –بالمقابلِ– لأغراضِ الدّمارِ والدمارِ الشاملِ، وليست بأقلَّ شَأْناً من الأسلحةِ النوويَّةِ؛ إذ تفتك فتكَها، وتبطشُ بطشَها، وليس من قبيلِ المبالغةِ في شيءٍ أن يُقالَ بأنَّها أشدُّ ((كارثيَّةً)) في ذلك؛ لخفائِها، ودَبِيبِها دبيبَ النملةِ السوداءِ، في الليلةِ الظلماءِ، وغزوها للعقولِ، وشدَّةِ تأثيرِها، وصعوبةِ تجنُّبِها، ولهدمها للروحِ والمادَّةِ في آنٍ واحدٍ!!! وما ذكرتُهُ هو ما ينطبق على ((الأمثالِ الولوفية))، والتي تُعتبرُ جزءاً لا يتجزَّأُ من الأمثالِ ((السنغاليةِ)) العديدةِ التي لها ذخيرتُها الجيدةُ في الأمثالِ، شأنُها في هذا الخصوصِ شأنُ الأمثالِ ((الفلانية))، و((السيريرية))، و((الجولا))، و((السُّوسي))، و((الماندينكو))، و((السُّونِينْكي))، وخلاها كثيرٌ ...، والتي بينها تشابه إلى حدٍّ كبيرٍ.

وتقعُ دولة السنغال في أقصى الغربِ من القارةِ الإفريقيةِ، وعاصمتُها "داكار"، وسيأتي الكلام عن السنغالِ في موضعِهِ.

و((للأمثالِ الولوفية)) دورٌ فاعلٌ، وإسهامٌ واضح في الحِفاظِ على ((اللغةِ الولوفية))، وصَوْنِ عاداتِ وتقاليدِ وثقافةِ ((الشَّعبِ الولوفي)) على مَرِّ الأزمانِ؛ وخاصةً في الحِقبِ الأخيرةِ التي كادَ فيهِ ((لِسَانُ الولوف)) أن يندثرَ؛ ودليلي على ذلك ما يشهدُهُ كلُّ ناطقٍ بـــ((لسانِ الولوف)) مِن تأثرهِ باللغاتِ الأخرى: كالفرنسيةِ، والعربيةِ، وغيرِها من اللهجاتِ واللغاتِ، وقليلٌ مَن يتحدث بهِ صِرْفاً؛ باستثناءِ بعضِ المُحافظين من سُكَّانِ الأريافِ الذينَ لم يكتَوُواْ بجذوةِ المَدنيةِ، ولم ينبَهرواْ بحضارتِها ((المُشكَّلَةِ!))؛ بل قُصارَى هَمِّ أحدِهم غُنَيماتُهُ، وبُقيراتُهُ، وزراعتُهُ؛ ولذلك وُفِّقَ الكثيرُ منهم في الحفاظِ على ((لسان جُدودِهِ)) كما نطقَ بِهِ كبيرُهم غضا طريا ((أولوف انجاي))، وكما أبانَ لهم (**كبيرُهُم الذي علَّمَهُم السِّحرَ**) ((كوتجي بارما)) ... أعنِي ((بيانَ الأمثالِ، وسِحرَ اللِّسان الولوفِيِّ))!؛ وكلُّ ذلك لأنهم حرصواْ على سماعهِ من

((ابنِ أمِّ عَبْدِهِمْ)) غضًّا، طريًّا كما رَوَوْهُ كابرٍ عن كابرٍ، وثقةً عن ثقةٍ، وعدلاً عن مثلهِ، من مبدإ السندِ إلى مُنتَهاهُ بعيداً عن مُشكِلَتَي ((الشذوذِ))، و((العِلَّةِ)) -إن صحَّ التعبيرُ!-؛ على النقيضِ من صنيعِ السَّوادِ الأعظمِ من أهلِ ((داكار)) العاصمةِ من الذين خلطواْ عملاً صالحاً وآخرَ سيِّئاً؛ ساعةَ مَزَجُواْ حابِلَ ((اللسانِ الولولوفيِّ)) بنابلِه، وزادواْ الطين بلة؛ عندما خلطوهُ خلطاً معَ ((الفرنسيةِ))، اللغةِ الرسميةِ للبلادِ، وشيءٍ من اللغاتِ الأُخرى، كما ((العجينُ))، و((العصيرُ المُشَكَّلُ))! وكادَ يكون **(نَسياً منسيًّا)**![7] أو في طَيِّ الكتمانِ، أو خبرِ كانَ لولا لطفُ اللهِ!!!وتجدُرُ الإشارةُ -هُنا- إلى أنَّ ((التَّشْكيلَ اللُّغويَّ)) الذي وصفتُهُ وإن أضفى على ((اللسانِ الولولوفيِّ)) طابع الخِفَّةِ، والمرونة، والمُتعةِ، وألبسَهُ حُلَّةَ الحَضَارةِ الزاهيَةِ؛ إلاَّ أنَّهُ قد أفضَى -في تقديري- إلى إقصاءِ ((اللسانِ الولوفيِّ الفصيحِ)) لدى المُعظمِ من أهلِ داكار، ولدى الطبقةِ المُثقَّفةِ في رُبوعِ البلادِ كافة، ولا يخفى أنَّ ذلك مُؤذِنٌ بضَعفِهِ، ومُؤشِّرٌ خطيرٌ لانقراضهِ؛ إن لم يتدارك أهلُ الشأنِ والغيورون عليهِ الموقفَ قبلَ فواتِ الأوانِ. وهذا يُشبهُ الصراعَ الدائرَ بين العامياتِ، والفصحى في البلادِ العربية -مثلاً-، وغلبة العامياتِ فيها، إلاَّ ما قلَّ. وظاهرةُ ((تقديسِ الأمثالِ الولوفية)) لدى مُعظمِ الولوفيين -خاصةً-، والسنغاليينَ -عامَّةً- ظاهرةٌ عجيبةٌ! وكأنّ ((العصمةَ)) من أخصِّ سماتِ الأمثالِ! ونجمَ عن ذلك اعتبارُ واضِعِي تلك الأمثال ((رُموزاً وطنيةً)) لا يمكن مناقشةُ ((عباراتِهم)) التي سَارتْ ((مثلاً)) البتَّةَ؛ من أجلِ ذلك جاءَ الكتابُ لمناقشةِ ذلك؛ وللإسهامِ في تأْصِيلِ ((الأمثالِ الوُلوفيةِ)) المذكورةِ؛ بما يتناغمُ مع رسالةِ الإسلامِ، وقِيَمِ المجتمعِ السنغاليِّ ذي الأغلبيةِ السَّاحقةِ المسلمةِ، والذين تتراوح نسبتُهم ما بين ٩٥- ٩٨٪؛ بل قد أوصلهم أُستاذُنا مهدي ساتي -يحفظه الله- إلى ٩٩٪، وهو المتخصصُ في هذا الجزء من غربِ افريقيا، وهو صاحبُ الإسهامات المعروفة في هذا المجال.١[8]، ولا يخفى أنَّ في ذلك نوعُ زيادةٍ، والمقصودُ إبرازُ أنَّ غيرَ المسلمين في السنغال أقليةٌ على غلبةِ مناهجهم في بعضِ مناحي الحياةِ كالسياسةِ، والحكمِ، والاقتصاد، ونمط الحياة السائد، أوالثقافة بصورةٍ عامةٍ -وإن كان ذلكَ من المفارقاتِ العجيبةِ!!!- ترجعُ لعواملَ منطقية هي سنَّةُ اللهِ في الكونِ، وليس هنا موضع التعرض لذلك؛ فإنه طويلٌ، ويحتاج لمُصَنَّفٍ مُستقلٍّ؛ ولكن الوضعَ قد

---

[7] سورة مريم، آية رقم: ٢٣.

[8] مهدي ساتي، مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، ط/١، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، السودان، رجب ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

انصلحَ كثيراً في العقودِ الأخيرةِ؛ بفضلِ اللهِ، ثم بفضل جهودٍ محلِّيَّةٍ، وإقليميَّةٍ، ودوليَّةٍ مُضنيةٍ انبرت للإصلاحِ. ومن أجلِ تبصرةِ القارئ الكريم الذي يرغب في الاستزادةِ في الأدبِ الشعبي الإفريقي عامةً، والسنغالي خاصةً، والولوفي بصورةٍ أخص؛ جاءَ الكتابُ لِيُجيبُ عنِ العَديد من الأسئلةِ غايةٍ في الأهمِّيَّةِ:

١/ ما مفهوم الأمثال الولوفية؟

٢/ ما أوجهُ الشَّبهِ بين الأمثال الولوفية وبين الأمثال العربية؟

٣/ ما دورُ الأمثالِ الولوفية؟

٤/ هل الأمثال الولوفية متوافقة مع قيمِ المجتمع السنغالي ودينِهِ؟

٥/ هل تفتقر الأمثال الولوفية إلى التأصيلِ الإسلامي؟

٦/ هل الشعب السنغالي، والولوفي مقدسٌ للأمثالِ الولوفيةِ، ولواضعيها؟

٧/ هل تنقسم الأمثال الولوفية إلى إيجابية وسلبية؟

٨/ ما القيمة التي تحتاجها جماعة "الولوف"؛ من أجلِ الاستفادةِ من أمثالها؟

٩/ هل أسهمتِ ((الأمثالُ)) الولوفيةُ في غَلَبَةِ ((الثقافةِ)) الولوفيةِ على الثقافاتِ السنغالية الأخرى مثل: الفلانية، والسيريرية، والسونينكية، والماندينكية، وهلُمَّ جَرًّا ...؟

ولتشابُهِ الأمثالِ في بلادِ الدُّنيا كافةً؛ كان لا مناصَ من رَبْطِ الأمثال ((الولوفية)) بنظيراتِها؛ ومن هنا استشهدْتُ بالعديدِ من الأمثالِ ((العربيةِ))، و((الدَّارجةِ)) على الألسُنِ، في بعضِ البلادِ العربيةِ ك كالشَّامِ، والسُّودانِ، –وإن كنتُ لستُ من أنصارِ نشرِ العامِّياتِ التي كادت تقض على مضجعِ الفُصحى؛ لولا لطف الله، وحفظه–! بل والعديد من الأمثالِ اللاتينيةِ ... وقد لجأتُ إلى ذلكَ –حينًا–؛ مِن أجلِ التوصُّلِ إلى فهمِ ((ثقافةِ)) الشعوبِ المتباينةِ؛ عبرَ ((أمثالِها)) التي تُعتبرُ ((مِرآتَها))، وبها تُقاسُ قوةً، وضعفاً –كما ((الإعْلامُ))، وكما ((اللُّغةُ))–، و((إذا ظَهر السببُ؛ بطل العجبُ)).

وقد أسهبْتُ عندَ شُرُوعِي في التأصيل الشرعي للأمثالِ في العديدِ من المواطنِ من هذا الكتابِ؛ وذلك لنُدرةِ ما كُتِبَ عن مثلِ هذه الموضُوعَاتِ، ولأنها تحتاجُ إلى تأمُّلٍ عميقٍ، وتحليلٍ فاحصٍ، ونظرةٍ متأنيةٍ ...

وجاءت أهميةُ الكتاب في أنه يخدم الجهات والشَّرائح التَّالِيَة:

١/ المجتمع السنغالي خاصةً، والوُلُوفِي بصُورةٍ أخصّ.

٢/ الطلاب المستعربون، والمهتمون بالثقافة العربية، والإسلامية.

٣/ المؤسسات السنغالية التي تُعنَى بمجالِ التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، والإنسانية، ونحوِها ...

٤/ وزارتَي الثقافة، والإعلام، والمراكزِ أو الهيئات التي تُعنى بالثقافة، والفنون، والفولكلور، والإعلام بالسنغال.

٥/ القبائل السنغالية كافة، والقبيلة الولوفية خاصة.

٦/ الذين يهتمُّونَ باللغات واللَّهجاتِ الإفريقية، والسنغالية -خاصة-، وشؤون القارةِ البِكر، والسمراء، -عامة-.

٧/ المؤسسات العلمية التي لها صلة بمثل هذا الموضوعِ، كالجامعاتِ، والكليات، والأكاديميات، والمراكز، ومعاهد اللغة العربية ذات الصلة ...

كما يسعى الكتاب لتحقيقِ الأهدافِ التاليةِ:

١/ توثيق الأمثالِ الولوفية، ودراستها دراسةً علميةً.

٢/ بيان أهمية الأمثالِ للمجتمعاتِ الإنسانيةِ قاطبةً.

٤/ بيان الوظائف المختلفة التي تَسعَى الأمثالُ إلى تحقيقِها.

٥/ بيان عدم عصمة "الأمثال الولوفية".

٦/ إيضاح أقسامِ الأمثال من وجوهٍ مختلفةٍ.

٧/ التأصيلُ الإسلامي للأمثالِ.

٨/ تحريضُ الكُتَّاب الأفارقةَ على الكتابةِ في الأدب الشعبي الإفريقي –خاصة في الأمثال-.

وقد ارتأيتُ استخدامَ المنهجين: ((الوصفيَّ، والتحليليَّ))، و((الاستنباطي))؛ لتناسُبِهِ مع طبيعة عنوان الكتابِ.

وأقصدُ بـ ((الأمثالِ الإيجابيَّةِ)) تلك الأمثال المُوافقة لتعاليمِ وقِيَمِ الإسلامِ، وأمَّا ما يخالفها؛ فقد اصطلحتُ عليها بِــ((الأمثالِ السَّلبيةِ)). وقد يكون المثلُ ((سلبيًّا)) لذاتِهِ، وهو قليلٌ مقارنة بالمثل ((الإيجابي))، كما قد يكون ((محتملاً، أو مُتَرَدِّداً)) بين أن يكونَ إيجابيًّا، أو سلبيًّا حسبَ المقصود منه، أو حسبَ ما يحتمِلُهُ سياقُهُ، وسيأتي بيانُ جميعِ ذلكَ في موضعهِ المُناسبِ من الكتابِ.

- **مفتاح الأمثال الولوفية:**

في إطار البحث تُنْطَقُ: (oo): ou/ أُو، و(xa): خَا، و: (xoo): خُو، و(Gni): انجِي، و(gnoo): انجُو، و(Nga): انْغَا، و(daw) دَوْ، و(bott) بُوتْ: و(nit): نِتْ، و(Seytane): سِيْتَانِي، و(saboo): سَابُو، و(amna): أَمْنَا، و(Koola): كُولَ، و(ndeki): انْدِيكِي، ويُقاسُ ما بقيَ على ما ذُكِرَ؛ لتقارُبِها، وسيتضح ذلك عند الحديثِ عنِ الأمثالِ؛ فأغنى ذلك عن سردِ الأمثلةِ المُطَوَّلَةِ -هُنَا-. وعلى كلٍّ كان لا بُدَّ مِنَ الإشارَةِ لهذه الأَصْوَاتِ؛ لما ستعلمُ من تفاوُتٍ ملحوظٍ -أحيانًا- بين الأصوات العربيَّةِ، والوُلُوفية؛ بل إنَّ بعضَ تلك الأصوات لا تُوجَدُ في العربية إطلاقاً![9] ولا بُدَّ من إشارةٍ سَرِيعَةٍ -في الختامِ- بأن هناك العديد من الدراساتِ في موضوعِ ((الأمثال))؛ ويُوجَدُ فِي مُعظمِها أوجهُ التقاءٍ عديدةٍ من حيثُ الإطارُ العام -قديماً، وحديثاً-، ومن الباحثين من هدفَ للمقارنةِ بينَ الأمثالِ الشعبيةِ "السودانية"، أو "المصرية"، أو أمثال لغةِ لوغندا، والهوسا، -مثلاً-، علاوةً على أهدافٍ أخرى. ومنهم من اهتم بـ"الحِكَم"، و"الحكاية الشعبية"، والأدب الشعبي -عموماً-، وبيان علاقة جميع ذلك باللغةِ العربيةِ. وجاء الكتابُ مُستفيداً من بعضِ ما تقدَّمَ، مُطبِّقاً ذلك على اللغةِ "الولوفيةِ" السنغاليةِ التي تكاد تكون مجهولةً لدى الكثيرينَ – على غناها، وأهميَّتِها في المنطقة، كما أنَّ الكثيرَ من أربابِ الأقلامِ في السنغالِ – وبوجهٍ خاصٍّ المستعربينَ- لم يُعطُوا الموضوعَ حقَّهُ؛ حيث لم أعثر على موضوعٍ متخصصٍ في

---

[9]وقد نبَّهني على ضرورةِ وضعِ الكلماتِ المفتاحيةِ أستاذُ الأجيالِ، والوزيرُ الأسبق، والمستشار/ يوسف الخليفة أبو بكر، مؤسِّسُ ((مركز يوسف الخليفة أبو بكر لكتابةِ اللغاتِ الإفريقيةِ بالحرفِ العربيِّ))، سوداني، وهو غني عن التعريفِ، متَّعه الله بالصحة، والعافية. [2] ومُعظمُها أجريت بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية - جامعة الدول العربية – الخرطوم - السودان. [3] سورة الإسراء، آية رقم: ٩.

تأصيلِ الأمثال الولوفيةِ، أو غيرها من الأمثال الإفريقيةِ بأقلامِ أهلِها، من الأدباء، والدعاة، والكاتبينَ، وطلبة العلمِ، والعُلماءِ؛ الأمرُ الذي حفَّزَني على الاستفادة من الدراساتِ السابقةِ التي أشرتُ إليها،[10] وتطبيقها في الأمثال الوُلوفية المذكورة، وتأصليها؛ بحيث يتوافقُ مع قيم المجتمع السنغاليِّ -بوجهٍ عام، والولوفيِّ -بوجهٍ خَاصٍّ-، وبيان ما يتناغمُ منها مع الدينِ الإسلاميِّ الذي (**يهدي للتي هي أقومُ**)، وما ليس كذلك. وقد أوردتُ لكلِّ مثلٍ من الأمثال ما يُؤَيِّدُهُ من القرآن الكريمِ، أو من السُّنَّةِ الشريفةِ، أو منهما -معاً-، أو ما يشيرُ إلى ذلك من أمثالِ العَالَمِ -خاصةً العربية منها-، وقد أذكرُ ما يؤيِّدُهُ من الأمثالِ الأجنبيَّةِ، كما استدللتُ بالفطرةِ، أو العقلِ، أو العُرفِ، أو نحو ذلك مِمَّا يقتضيهِ المقامُ. هذا، ولم أَعْثُرْ على دراسة علمية واحدة انبرت لمثلِ هذا النَّهج من الدراسة التَّأصيليَّة على اتِّفاقِ الدَّارسينَ بانقسامِ الأمثالِ إلى إيجابية، وسلبيَّةٍ -ولو كان ذلك عن طريقِ الإشارةِ، أو التَّضمُّنِ-؛ الأمرُ الذي يستلزم إجراءَ مثلِ هذه الدراساتِ التَّأصيليَّةِ؛ ومن أجلِ ذلك فإنَّ البحثَ يُمثِّل إضافة نوعية في المكتبةِ السنغاليَّةِ، والإفريقيةِ، والعربية؛ بل والعالميَّةِ على حدٍّ سواء، على حدِّ شهادةِ بعضِ خبراءِ هذا المجالِ من أمثالِ فضيلةِ البروفيسور/ عبد الرَّحمن محمد أحمد كدوك،[11] وسماحة الدكتور العقيد/ النعيم التوم ..

---

[11] الذي تفضَّلَ مشكوراً بالإشرافِ على الكتابِ يومَ أن كان بحثاً علميًّا بمعهدِ الخرطومِ الدولي، وكان يَوْمَهَا عميداً لكُلِّيَّةِ التربيةِ بجامعةِ إفريقيا العالميَّةِ. ٥ وهو المناقشُ الخارجيُّ للبحثِ المذكورِ، وقد أشادَ -هو والبروفيسور عبد الرحمن كدوك - بقيمةِ الرِّسالةِ العلميةِ بشكلٍ منقطعِ النظيرِ سواء من ناحية الصحةِ والسلاسةِ اللغويةِ، والمضمونِ القويِّ والمسبوكِ، والجميلِ، والمقارنة الجميلة بين الأمثالِ الولوفية، والعربية، وحتى العامية منها: كالسودانية، والشامية ...؛ بل حتى الأمثال الأجنبية كالإنجليزية، والفرنسية -، ومن ناحية التأصيل الإسلامي لأمثالِ الولوف؛ الأمر الذي أثلجَ صدري، وصدرَ الحُضورِ الكرام؛ وسعدنا جميعاً -أيَّمَا سعادةٍ - رجالاً ونساءً، شباباً وشيبا، شيوخا سويا. والحمدُ لله الذي بنعمتِهِ؛ تتمُّ الصَّالحاتِ.



الفصلُ الأول
نبذة عن جمهورية السنغال

المبحث الأول

السنغال جغرافيا، وتاريخيا

L' histo-géo de la république du Sénégal

يحسُن قبل الشُّرُوعِ في الحديثِ عن الأمثالِ الولوفيةِ وضعُ نُبذةٍ موجزَةٍ، ووافية عن السنغالِ، وعن جماعة "الولوف"، حتَّى يتسنَّى لمن لا يعرفها أن يعرفها، ويفهمَ طبيعةَ جماعاتِها العرقيةِ العديدةِ -بما في ذلك "الولوف"-؛ وذلك أَدْعَى لفهمِ أمثالِهَا، وحيثيَّاتِها، الأمر الذي جاء الكتابُ –أصالةً– لدراستِها، جمعاً، وشرحاً، ومقارنةً، وتأصيلاً–؛ وبذلك يَتَّضِحُ للقارئِ الكريمِ تلقائيًّا ما كان منها ((إيجابيا))؛ فيستفيدَ منها؛ إذِ ((الحكمةُ ضالة المؤمن، أنَّى وجدَها فهو أولى بها" أو ((سلبيًّا))؛ فيحذرَ منها أَيًّا كان درجةُ القائلِ، أو وَزْنُهُ في عين المجتمع السنغالي؛ إذ ((كلٌّ يؤخَذُ من كلامِهِ ويُرَدُّ إلاَّ صاحب هذا القبرِ)) وأشارَ إمامُ دارِ الهجرةِ إلى قبرِهِ –صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ–.

ولتكن البداية عن جُغرافيةِ السنغال:

أ/ السنغال جغرافيا:

(تقع جمهورية السنغال في أقصى نقطة من غربي القارة الإفريقية بمنطقة "بين مدارين"، بين درجتي عرض شمالا ١٢,٣٠ درجة، و١٦,٣٠ درجة، وبين درجتي طول ١١,٣٠ درجة، و١٧،٣٠ درجة. وتبلغ مساحتها ١٩٧,١٦٧ كلم[٢]، ١ والبلاد عبارة

---

[١٢] http:ar.// wikipedia.org /wiki/: ١٥ -٢- ٢٠١٢م.

عن سهول منبسطة تقل فيها التضاريس، باستثناء مرتفعات "كيدوغو"، وهضبات "تياس". ووقوعها في منطقة "بين مدارين"؛ جعلها ذات مناخ متنوع. ويمتاز فصل الصيف بهطولِ الأمطارِ ابتداءً من شهرِ يونيو، إلى شهرِ أكتوبر، وتتناقص كمية الأمطار؛ كلما ابتعدنا من الجنوبِ نحو الشمال، والشمال الغربي اللذين هما في طريق التصحر. وتنقسم البلاد إلى مناطق طبيعية أساسية: منطقة حوض السنغال، ومنطقة فيرلو -الواقعة في الوسط الشرقي-، ومنطقة الوسط الغربي، ومنطقة الشاطئ ونياني، ومنطقة كازامنسا، ومنطقة السافان.

أما أنهار البلاد، فكالآتي:

١- نهرُ السنغال، -وهو من أكبرِها- ينبعُ من "غينيا"، ويجتاز "مالي" حيثُ رَافِدَيْهِ "بافين" و"باكوي"، ويبلغ طوله (١,٧٥٠ كم٢).

٢- نهر كازامنسا البالغ طوله (٣٠٠كم٢).

٣- نهر غامـبيا، ويبلغ طوله (١,٠٥٠كم٢).

٤- وإلى جانب هذه الأنهار يوجد "سين"، و"سالوم"، وهما ساعدان للمحيط الأطلسي. ويطل السنغال على المحيط الأطلسي بحوالي (٥٠٠ كم)، وموقعه الاستراتيجي جعلَه البابَ الأماميَّ لأوروبا نحو غربي إفريقيا، وأمريكا الجنوبية).

والسنغال بالوضع الخريطي -كما يصفها الأستاذ أحمد التجاني الهادي توري- على شكلِ رأس آدمي: عينُهُ مدينة "ندر"، وأنفه "الرأس الأخضر"، وفمه "غامبيا"، ولحيتُه "كاسمانس"، وتقع على ضفاف الأطلنطي، بين موريتانيا شمالاً، وغامبيا، وغينيا جنوباً، ومالي شرقاً، والمحيط الأطلنطي غرباً بمساحةٍ تختلفُ فيها التقارير الجغرافية ... إلى أن قال الأستاذ "توري": وهي من البلدان المتوسطة في إفريقيا؛ لأنها أصغر من جمهورية مالي، والنيجر، والكونغو، وأكبر من جمهورية توغو، وداهومي -وهي بني-، وهي ذات غابات، وسهول رملية، وحيوانات مفترسة، وتحيطها المياه في الشرق والغرب كالحدودِ الدوليةِ،

---

٣ -عبد القادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، كتاب الأمة، ط/١، عدد ١٢، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ص ص: ٢٤ - ٣٠، بتصرف.

[١٣] http:ar.// wikipedia.org /wiki/: ١٥ -٢ -٢٠١٢م.

إلاَّ قليلاً في الجنوبِ. مع العلمِ أن حدودَ السنغالِ المتاخمةِ لموريتانيا ليستِ النهر، بل الحدود وراءَ النهـر. ٢

و(السنغال" بالفرنسية: le Sénégal، رسمياً **جمهورية السنغال** (*République du Sénégal*، والنطق الفرنسي: (Repyblik dy senegal])، بلد جنوبي نهر السنغال في غرب أفريقيا. اكتسبت اسمها من النهر الذي يحدّها من الشرق، والشمال والذي ينبع من فوتا جالون في غينيا. ويحد السنغال خارجيا المحيط الأطلسي إلى الغرب، موريتانيا شمالاً، مالي شرقاً، وغينيا وغينيا بيساو جنوباً؛ داخلياً تحيط السنغال بشكل كلي تقريباً غامبيا؛ أي من الشمال، الشرق والجنوب، ما عدا شاطئ غامبيا القصير على المحيط الأطلسي. تغطي السنغال مساحة ١٩٧,٠٠٠كم٢ تقريباً، ويقدر عدد سكانها حوالي ١٣,٧ مليون نسمة. المناخ مداري مع موسمين: موسم الجفاف وموسم الأمطار.

وداكار -عاصمة السنغال-، تقع على الطرف الغربي من البلاد على شبه جزيرة الرأس الأخضر. حوالي ٣٠٠ ميل قبالة ساحل المحيط الأطلسي، محاذيةً جزر الرأس الأخضر. خلال الحقبة الاستعمارية وضع العديد من مكاتب التجارة المنتمية إلى مختلف الإمبراطوريات الاستعمارية على طول الساحل. وأصبحت مدينة سانت لويس عاصمةً لغرب إفريقيا الفرنسي(Afrique occidentale Françaiseأو AOF) قبل نقلها إلى داكار عام ١٩٠٢، لاحقاً داكار أصبحت عاصمةً للسنغال عام ١٩٦٠ بعد الاستقلال عن فرنسا).[١٥] وتُعَدُّ (السنغال) بيئة فريدة من نوعها بأشجارها الاستوائية الوارفة، وبطيورها المهاجرة القادمة من أوروبا في الشتاء لتتمتع بدفء الجوِّ والمياه، بها سهول وجبال وسواحل على المحيطالأطلنطي، وتعد دولة مثالية لتمثيل القارة الإفريقية السمراء.

تتكون البلاد من سهول واسعة في منتصف البلاد وعلى الساحل على المحيط الأطلنطي في الغرب، وتوجد بعض الجبال في المنتصف وفي الجنوب الشرقي مع حدود البلاد مع غينيا وفي الشرق في حدود البلاد مع دولة مالي، وفي المنطقة

---

[١٤] أحمد التجاني الهادي توري، ط/ ١، تحرير الأقوال في تاريخ السنغال من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين(١٥٠٠-٢٠٠٠)، المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص١١.

[١٥] موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: ١٢-٢-٢٠١٢م، بتصرف.

الجنوبية الغربية في منطقة كاسامانسا المغطاة بالغابات تقع أفضل الشواطئ الإفريقية، وعلى نهر كاسامانسا تقف مدينة "زيجينشر" عاصمة المنطقة، في حين تقع العاصمة دكار في منطقة جبلية عالية تطل على المحيط، في منتصف الطريق الواصل ما بين "زيجينشر" و"سانت لويس". ويفصل نهر السنغال الحدود ما بين السنغال وموريتانيا في الشمال، وتقع مدينة "سانت لويس" المستعمرة الفرنسية القديمة على منبع النهر. .

والسنغال تعتبر من أهم محطات الطيور المهاجرة والمائية منها بصفة خاصة، والتي تأتي إلى السنغال أثناء الشتاء بأعداد ضخمة من قارة أوروبا، وأفضل وقت لمشاهدة الطيور المهاجرة في الفترة ما بين نوفمبر إلى أبريل من كل عام وهو موسم هجرتها، وتعتبر حديقة دجودجي واحدة من أهم المحميات الخاصة بعلم دراسة الطيور في العالم، وتقع شمال مدينة سانت لويس.

وتعتبر مدينة دكار -عاصمة السنغال- من أفضل المناطق في إفريقيا من ناحية الجو.[١٦]

و(يمتاز مناخ السنغال بوجود فصلين واضحين، فصل الأمطار: ويبدأ من يونيو إلى أكتوبر، وفصل الجفاف الذي يمتد من نوفمبر إلى يونيو. وأما درجات الحرارة: فتبلغ ٤٣ درجة نهارا، لتنخفض ليلا إلى ١٥ درجة -فقط-. بينما تُعاني البلاد من شح واضح في الأمطار، ومن الجفاف الذي أصاب جزاء من القارة في أطرافها الغربية).[١٧]

ويبلغ عدد السكان ١٠,١ مليون نسمة [١٨]يَدِينُ ٩٦٪ منهم بالإسلام، ٣٥% منهم من قبائل الولوف و١٧٪ من السيرير، وقد دخل الإسلام إلى البلاد في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي. [٣٠] لا يخفى قِدَمَ هذه الإحصائية، فقد بلغ عدد السكان ١١,٩ مليون نسمة حسب إحصاءات يوليو ٢٠٠٦م، وتقدر ب ١٣ مليون نسمة،

---

[١٦] جريدة الجزيرة بتاريخ ٢٤ -٨ -٢٠٠٤م، "مقال منشور".

[١٧] مهدي ساتي صالح، مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، ط/١، شعبة البحوث، إصدارة رقم ١٢، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، رجب ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ٥.

وتوجد نسبة عالية من الأجانب، بعضهم من موريتانيا، ولبنان، ومالي، ٣ وغينيا كوناكري، وغيرهم من الوافدين الذين استقرُّواْ هناك لسببٍ أو آخر، كالعملِ، أو نحوهِ من ظروفِ الحياةِ التي ألجأتهم للمقام، أو طاب لهم المعاش؛ حيث إن السنغال يُعَدُّ من الدُّولِ الإفريقية القليلةِ التي اشتهر أهلُها بالكرمِ، وحبِّ الضيفِ مواطناً كان، أم وافداً، ولا يكادُ يجدُ النّاظرُ في تاريخ السنغال صوراً مُظلمة متعلقة بالتضييقِ على الوافدين، أو سوى ذلك مما ينغص حياتهم؛ إلاَّ ما ندرَ، مثلَ المشكلة السنغالية-الموريتانية المعروفة التي خرجَ فيها الشعبان عن طورِهما، وحصل فيها ما حصل من قضايا مؤلمة.

والذي يمكن أن يُشهَدَ لجمهورية السنغالِ أنها مُتسامحة من الطرازِ الأول -حكومةً وشعباً-، وقلَّ أن نجد لها دولة نظيرة في هذا الجانب.

وتُعَد ((حديقة "نيوكولوكوبا" الوطنية))[20] من أشهر الحدائقِ، وأكبرها في السنغال، وتحتل مساحة كبيرة من الجزء الجنوبي الشرقي من البلاد، وتتمتع بجمالٍ خلاَّبٍ بأشجارها الاستوائية المورقة الجميلة، وبها أكثر من ٨٠ نوعاً من الثدييَّاتِ -بما في ذلك الأفيال، والأُسُود، والفهود، والظباء، إضافة إلى التماسيح والبقر الوحشي وقرود البابون، والجاموس الوحشي، والقرود الخضراء، والخنزير الوحشي الإفريقي ذو العاجين، والظباء الحمراء.[1]

وتعد بحيرة (ريتبا) من أهم بحيرات الملح في البلاد، وتسمى (البحر الميت) السنغالي، فالمياه مالحة للغاية، وتوجد على شاطئ البحيرة العديد من المخروطات الملحية، والكثير من العمال الذين يجمعون الملح من المياه، ويقف الرجال على قوارب صغيرة داخل المياه في البحيرة لجمع الملح، وينتظرهم النساء قبالة الشاطئ ويحملون ألواحاً ضخمة مملوءة بالملح من القوارب، ويتم تصدير الملح إلى مالي، والنيجر، وساحل العاج، وبوركينافاسو، وغانا.

وتميل درجات الحرارة إلى الاعتدال؛ كلما اتجهنا إلى الساحل، ويزيد سقوط

[19] خليفة جاورا، الحركات الإصلاحية في السنغال -الشيخ عمر الفوتي نموذجا، ط/١، دار النشر (بدون)، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص١٨.

[20] Niokolokoba

الأمطار كلما اتجهنا جنوباً، وفي بعض المناطق يتعدى ارتفاع الأمطار ١,٥ متراً في العام في بعض المناطق. ويعيش ٧٠٪ من أبناء السنغال في المناطق الريفية، وتتراوح الكثافة السكانية ما بين ٧٧ نسمة في الكيلومتر المربع في المناطق الوسطى الغربية إلى ٢ في الكيلومتر المربع في المناطق القاحلة شرقاً . وقد استقر في السنغال ما يقرب من ٥٥ ألف نسمة من الأوروبيين معظمهم من الفرنسيين، واللبنانيين في مدن السنغال المختلفة. ويعد سباق باريس دكار الدولي من أشهر الأحداث العالمية التي تجري سنوياً في البلاد، ويعد أشهر سباق راليات في العالم بطول ١٠ آلاف كيلومتر، ويبدأ في العاصمة الفرنسية باريس لينتهي في العاصمة السنغالية دكار في الأسبوع الثاني من شهر يناير من كل عام . وفيما يلي بيان لمناطق السنغال، فهي تنقسم السنغال إلى ١٤ منطقة، كالتالي:

١- دكار "العاصمة". ٢- زيغنشور. ٣- لوغا. ٤- سانت لويس.

٥- ديوربيل. ٦-كولدا. ٧- تامبا.

٨- فاتيك. ٩-كولاك. ١٠- كيدوغو. ١١- ماتام.

١٢-كافرين. ١٣- ثييس. ١٤-تامباكوندا.[٢١]

وفيما يلي تفصيل موجَز عنها:

١- **داكار**: ولا تأتي أهميتها من كونها عاصمة للبلاد -فحسب-؛ وإنما من كونها إحدى كبريات المدن في غرب إفريقيا، وقد ظلَّت حتى الاستقلال في عام ١٩٦٠م العاصمةَ الرئيسية للمستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا منذ إنشائها في عام ١٨٥٧م؛ حيث اتخذَها الفرنسيون قاعدةً حربيةً لاستعمارِ غربِ القارَّةِ. وتَمْتَازُ المدينةُ "داكار" بأحيائِها القديمةِ ذاتِ التاريخ مثل حيِّ المدينةِ، وبمساجدِها الرائعةِ ذاتِ العمارةِ الأندلسيةِ المغربيةِ الجميلةِ، ورغم الإسلام العميق الذي يُحِسُّه المرء فيها؛ فإنَّ الطابع الفرنسي هو الغالب على وسط المدينةِ.

---

[٢١] موقع ويكيبيديا: ١٢-٢-٢٠١٢م، بتصرف.

٢- **سان لويس (سان لوي):** تقع على مدخلِ نهرِ السنغالِ، وكانت عاصمةً للبلادِ قبلَ العاصمة الحالية "داكار"، ولأهميتِها؛ تعد اليوم المدينة الثانية في البلادِ، فبها نهاية الخط البحري، ويربطها بداكار العاصمة وموريتانيا خط حديدي، ثم هي قبل هذا وذاك بوابة الاتصال الرئيسية مع بلادِ المغرب العربي وموريتانيا.

٣- **(جيس)[٢٢]:** وتقع هذه إلى الشرق من داكار، وتعد مدينة صناعية مهمة.

٤- **مدينة كولخ:**[٢٣]

وقد ذكرَ الأستاذ مهدي ساتي أن لها أهمية اقتصادية كُبرَى، كما تُعَدُّ مركزاً نشطاً للطريقةِ التيجانيةِ.

٥- **رفسك:**

وهي مدينة صناعية، بها عددٌ من معاصرِ الزُّيوتِ، والنسيجِ.

٦- **زيغينشور:** [٢٤]

وهي عاصمة إقليم كازامانس، وتعرف أحياناً بمدينةِ الدموع؛ لبلاءٍ وقعَ عليها؛ إذ كانت الحمى الصفراء قد قضت على معظم سكانها. وفي هذا الإقليم حاول الاستعمار الفرنسي أن يقوم بما قام به الإنجليزي في جنوب السودان؛ فكان ضحية للتبشيرِ الكَنَسِيِّ، إضافة إلى تشابهِ طبيعةِ الإقليمَينِ من حيثُ الغلباتِ الكثيفةِ والأمطارِ. وهناك مدن أُخرى هامَّة، مثل: ((تِيوَاوُنْ))،[٢٥] والتي تُعدُّ المركز الرَّئيسي للطريقةِ التجانية، وكذلك مدينة ((طُوبَى))*[٢٦]، وبها المركز الرئيسي للطريقةِ المريدية التي أسسها الشيخ أحمد بمبا، وبها مسجد الشيخِ -الذي يُعَدُّ من أضخمِ المساجدِ، وأجملِها عمارةً في إفريقيا-

ب/ السنغال تاريخيا:

مُنذ قرون والسنغال عبارة عن مناطق وولايات متعددة، وكل ولاية تعتبر نفسها وأختها دولة مستقلة؛ إذ كان لكل دولة من هذه الدول ملكها، وقوميتها، ونظمها،

---

[٢٢] وتُكتَبُ: كِيس، بالكافِ/ **Thies**.

[٢٣] وفي بعض المراجع : كولاك، **(Kaoulack)**.

[٢٤] وفي بعض المراجع: زيجنشور، **(Ziguinchor)**.

١ **Tivaone** - أو **Tiwaone** كما في بعضِ المراجعِ.

٢ وهي بالفرنسية **(Touba)**.

وعاداتها الخاصة، وسياستها الداخلية، والخارجية، وتتمثل الدول المذكورة في: فُوتَ، ووَالُهْ، وجُولُفْ، وكَجُورْ، وبَوُولْ، وسين، وسالم، وكاسماس. فهذه الدول هي الأكثرُ تعامُلاً فيما بينَهم، وأشدُّ تشابُهاً في أنظمتِهم، وأمَّا غامبيا، فجيبٌ في السنغال كانت جُزءاً لا يتجزَّأ من ولايةِ سالُم، ثم احتلّتها واستولت عليها الانجليزُ فيما بعدُ. وأمّا كاسماس، وشرقي السنغال فشقيقتانِ مثل سين وسالم. [٢٧]

وقد بيَّن أستاذُنا/ مهدي ساتي أنَّ: السنغال قطرٌ صغيرٌ في مساحته، كبيرٌ بتاريخه، عريقٌ في إسلامه، وحضارتِه، وأنَّ الجزء الذي يُكوِّن اليومَ ((جمهورية السنغال)) كان فيما مضى جزءا من ممالك إسلامية ذات حضارة إسلامية راقية كغانا، ومالي، إضافة إلى أن هذا القطر ظلَّ مَهْداً لإماراتٍ إسلاميةٍ مُختلفةٍ قامت على ضفاف نهره الكبير "نهر السنغال"، وقد انطلقت الدعوة الإسلامية من الإنارات المذكورة إلى غيرها من الأقطار، والشعوب الوثنية المختلفة تقود المسيرة الدعوية فيها قبائلُ التكلور، والفلاني ...

وقد أخذت السنغال استقلالها عام ١٩٦٠م بعد ((استعمار فرنسي)) مظلم طويل، سبقته فترات أكثر ظلاماً إبان الاحتكارات البرتغالية التي باركها البابا منذ عام ١٥٥٠م، ثم دخلت فرنسا الميدان، حيث يؤرخ لأول استقرار فرنسي بعام ١٦٣٨ عندما استولت فرنسا على جزيرةٍ في مدخلِ نهرِ السنغال أطلقوا عليها اسم (سانت لويس) أي: القديس لويس، مما يوضح النوايا الكنسية المرتبطة بالاستعمار منذ الخطوة الأولى، ومن ثمَّ أُعِدَّت هذه المدينة؛ لتُصبحَ عاصمةً للبلادِ قبلَ (داكار). وفي عامِ ١٦٧٧ احتل الفرنسيون (جوري)، [٢٨] وحوَّلوها إلى قاعدة حربية، ولم تكتف فرنسا بهذا؛ إذ قررت احتلال البلاد كلها، والتدخل العسكري في غرب إفريقيا، فأعلنت في عام ١٨٤٠م أن السنغال مستعمرة فرنسية دائمة، فبدأت حملات القهر الاستعماري التي ارتبطت باسمِ الجنرال الفرنسي فيدهيرب –القائد العام لقواتِ الغزوِ الفرنسي لغربِ إفريقيا- والذي تصدَّى له زعماءُ المسلمين وقادتُهم في نضالٍ رائع؛ دفاعاً عن عقيدتِهم، وتأميناً لدعوتِهم. [٢٩]

---

٣ جريدة الجزيرة، مرجع سابق، بتاريخ ٢٤ -٨ -٢٠٠٤م،"مقال منشور".

١ مهدي ساتي صالح، المرجع السابق، ص ص ٣ - ٧، بتصرف.

٢ /http:ar.// wikipedia.org /wiki: ١٥ -٢ -٢٠١٢م، بتصرف.

والنطق القريب لاسمِ مدينةِ "غورِي"، هو: (Gorée)، ومن نافلة القول أن يشيرَ الباحث إلى أنَّ الصوتَ الأوَّلَ من اسم هذه المدينة لا مقابل له في اللغة العربية؛ ولذلك رُمِزَ له بالغين، وهو الأقرب.

وأختمُ بما كتبته جريدةُ الجزيرة عن اختلاف المؤرِّخين، والكاتبين عن سببِ تسميةِ البلادِ بالسنغال، وغير ذلك من القضايا التاريخية المهمة، وفي المقال تفصيل لبعضِ ما أُجمِل في السَّابِقِ: (واسم السنغال مأخوذ من النطق بلغة الولف "سونو غال" بمعنى قارِبُنا، أو هو تحريف لكلمة "زنگال" (صنهاجة) كما قيل ... وهذه المسألة محل خلافٍ بين المؤرِّخينَ، ويوجد ذلك في الكتبِ التي تعرَّضت لتاريخِ السِّنغالِ.

أنشأت شعوب السنغال إمارات ودولا أهمها إمبراطورية الولوف في مناطق والو وكايور وباول في القرن الرابع عشر م، ومن شمالها الشرقي دولة تكرور ثم دولة دينيانكي البولارية. احتلت قوات أوربية أجزاء من شاطئها في القرن الخامس عشر ثم احتلت فرنسا البلاد كلها بعد حروب عديدة. في عام ١٩٠٢ أصبحت مدينة داكار عاصمة إفريقيا الغربية الفرنسية كلها. وكان ليوبولد سنغور (سنجور) الشاعر الرئيس (١٩٠٦-٢٠٠١) (Léopold Sédar Senghor) أول رئيس للسنغال (١٩٦٠-١٩٨٠). وفي يناير ١٩٥٩ اتحد السنغال مع ما كان يسمى "السودان الفرنسي" تحت اسم "اتحاد مالي". واستقل اتحاد مالي من فرنسا في ٢٠ يونيو ١٩٦٠، ولكن بعد مشاكل سياسية أصبحت دولتين في ٢٠ أغسطس ١٩٦٠: السنغال ومالي. وأعلن اتحاد رسمي بين السنغال وغامبيا تحت اسم سنغامبيا في عام ١٩٨٢، غير أنَّهُ لم يتم اتحادٌ عمليٌّ؛ فتفرقت الدولتان في عام ١٩٨٩.

وهناك جبهة مسلحة في المنطقة الجنوبية بالسنغال "كازامنس" تريد استقلال المنطقة وقد حاربت الحكومة أحيانا منذ عام ١٩٨٢م.)[٣٠]

وقد فصَّلت جريدةُ الجزيرةِ بعضَ جوانبِ تاريخ السنغال، فأفادت بأنَّهُ: قد أتت العديد من القوى الأوروبية لاحتلال السنغال في القرن الخامس عشر وما تلاه،

---

[١] http:ar.// wikipedia.org /wiki/: ١٥-٢-٢٠١٢م، بتصرف.

وقام البرتغاليون بالسيطرة على الممالك الساحلية للبلاد، ثم أعقبهم البريطانيون، ثم الفرنسيون، ثم الألمان، وجميعهم كانوا يأملون في السيطرة على جزيرة "سانت لويس"، والمناطق الاستراتيجية الأخرى -التي تعد من أهم مصادر تجارة الرقيق-، ثم انتهت البلاد في حوزة الفرنسيين في عام ١٦٥٩م. وقد أصبحت "دكار" عاصمة للمستعمرة الفرنسية لغرب إفريقيا عام ١٩٠٢م، وفي يناير عام ١٩٥٩م انضمت السنغال إلى السودان الفرنسية ليكونا معاً (اتحاد مالي)، ثم استقل الاتحاد عن فرنسا في ٢٠ يونيو عام ١٩٦٠ بعد اتفاقية نقل السلطة وقعتها مع فرنسا في ٤ أبريل عام ١٩٦٠م. وبسبب بعض الصعوبات السياسية الداخلية تفكك الاتحاد في ٢٠ أغسطس ١٩٦٠، وأعلنت كل من "السنغال" و"السودان الفرنسية" -التي سُمِّيَتْ بعد ذلك دولة مالي- الاستقلالَ كل على حدة، ثم انضمت السنغال بعد ذلك إلى دولة جامبيا لتكوين الاتحاد الكونفيدرالي المسمى سينيغامبيا/ Séné-Gambia عام ١٩٨٢؛ ولكن هذا التكامل بين الدولتين كان صورياً، وتم حل الاتحاد في عام ١٩٨٩. وعلى الرغم من محادثات السلام قامت الجماعة الانفصالية المسلحة في كاسامانس بالجنوب بشن مواجهات مع القوات الحكومية منذ عام ١٩٨٢. وللسنغال تاريخ طويل من الشراكة في قوات حفظ السلام الدولية،[٣١] وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. ونشرت جريدة "الجزيرة" مقالاً شاملاً ومطوَّلاً عن السنغال، أورد فيه ما يلي: (إذا كنت تريد أن تلقي نظرة على ماضي السنغال وشكلها في أيام الاحتلال؛ فيجب عليك التوجه إلى "سانت لويس"، وهي أول مستعمرة فرنسية في أفريقيا، ويرجع تاريخها إلى عام ١٦٥٩م. وتقع "سانت لويس" على جزيرة على فوهة منابع نهر السنغال، وتمتدُّ إلى داخل الأراضي السنغالية إلى شبه الجزيرة المقابلة عن طريق اثنين من الجسور الصغيرة، واليوم تعد المدينة مركزاً للصيد في البلاد. وكانت "سانت لويس" عاصمة الدولة التي كانت تتكون من السنغال وموريتانيا حتى عام ١٩٥٨م قبل أن تتفرق الدولتان، وعلى الجزيرة يمكن للزائر أن يرى العديد من المنازل التاريخية الضخمة بشرفاتها الخشبية، وسوف يجد الزائر فيها مرشدين محليين يقودونه إلى أعلى الجزيرة؛ حيث يمكن مشاهدتها

---

[٢] مقـــــال منشـــــور فـــــي جريـــــدة الجزيـــــرة بتـــــاريخ ٢٤ -٨ -٢٠٠٤
http://www.al- jazirah.com.sa/magazine/٢٤٠٨٢٠٠٤/au٤٠.htm

في منظرها الخلاَّبِ، وإلى الجوار ستجد قلعة قديمة ترجع إلى القرن الثامن عشر كانت تستخدم منزلاً للحاكم في بعض العصور، وتم تحويلها إلى مبنى حكومي، وأصبحت أحد علامات المدينة، وإلى الجنوب سيجد الزائر مقابر الصيادين المسلمين الذين تم دفنهم في المكان، وفوق قبور كل منهم شبكته التي كان يصطاد بها. كما بالمدينة عدة مقاهي إنترنت بأسعار معقولة يمكن أن تصلك بالعالم الخارجي، وإذا ذهبت ٢٠ كيلومتراً إلى الجنوب في شبه الجزيرة؛ سوف تجد العديد من الشواطئ الخلابة، وهناك العديد من الطيور المائية التي تهاجر من أوروبا، مثل طائر الفلامنجو الوردي، والبجع الأبيض، وطائر البلشوي، والكثير من البط الإفريقي).[٣٢] والسنغال على صعيدٍ آخر دولةٌ إفريقية، غير أنها شبيهةٌ بالدول الأوروبية، وقد قال الأروبيون –أنفُسُهم– عن داكار: (Dakar se ressemble à une ville européenne!)، أي: ((إنَّ داكار تُشبِهُ مدينة أوروبية!!!)). والسنغال دولة إفريقية بنكهة أوروبية!!! ومن دخل العاصمة داكار، ورأى حياةَ أهلِها، ورأى المواقع المختلفة فيها، وشاهد الأوروبيين في شواطئِها، وشوارعها العامة، وشركاتها، ومؤسساتها، ومنشآتها، بل وفي أماكنها، ومرافقها العامة، والخاصة، وكيف أن الكثيرين من الغربيين ارتضواْ المقام في الكثير من أنحاءِ السنغالِ؛ ذاقَ طعم النَّكهة المذكورة بوضوحٍ. ولا يخفى أنّ هؤلاء الغربيين –وخاصة الفرنسيين منهم– قد تمكنوا من نشرِ الكثير من الأفكارِ، والمبادئِ السلبية التي غيَّرت الكثيرَ من القيم السنغالية الأصيلة؛ ومن الجديرِ بالذِّكرِ أنَّ الإنسانَ السِّنغاليَّ سريعُ التأثر والانبهار بالثقافة الفرنسية خاصة، والغربية على وجهِ العموم، لا سيَّما أولئك الذين تلقَّواْ تعليمهم في المدارس الفرنسية، وحدِّثْ ولا حرجَ عن أولئك الذين تَمَّ تكوينهم في فرنسا وسواها من معاقل أوربا، والغرب، ولا يقصد الباحث التعميمَ، فقد سلَّم الله من أولئك نفراً اصطفاهم؛ فصَاروا سواعدَ تنميةٍ للبلادِ، ونُصرةً للعبادِ في دينِهم، ودُنياهم.

[٣٢] جريدة الجزيرة بتاريخ ٢٤ -٨ -٢٠٠٤م، "مقال منشور".

المبحث الثاني

السنغال اجتماعيا، وثقافيا

أ/ السنغال اجتماعيا:

تتَّسمُ الحياةُ الاجتماعية السنغالية بالعديد من الأوصافِ التي اشتُهِرُواْ بها، فمن ذلك: مسألةُ ((الطبقية الاجتماعية))، ولا تعني -بالضرورة- تفاوتا في مستوى الدخل، وليس أساسها الغنى وثروة فئة، وفقر وحرمان فئات أخرى من المجتمع الواحد، بل مفهوم ((الطبقة)) في المجتمع السنغالي، وفي عددٍ من المجتمعات في غربي إفريقيا أساسه في الأصلِ تقسيمُ الأدوار، والمهام داخلَ المجتمع الواحد.

ونظرا للتحديدِ الدقيق لتلك الأدوار؛ برزت حدود وأسوار لا سبيل لتخطِّيها بين أفراد المجتمعِ الواحد؛ نتيجة تباين مناهج حياتهم. وهكذا وجدت طبقة ((المحاربين))، و((الحدَّادين))، و((النَّسَّاجين))، و((الصيَّادين))، و((العبيد)) ...، كلّ فئة تقوم بمهمة في المجتمعِ تختلف عن مهام طائفة أخرى. وتختلف أسماء هذه الفئات الاجتماعية من جماعة لأخرى؛ لكن تتفق -تقريبا- على وجود الطوائف التالية: طبقة ((النُّبَلاءِ))، وطبقة ((الأحرار))، وطبقة ((الحِرَفِيِّين))، وطبقة ((العبيد)). ومع مرورِ الزمن اختفى الأصل المهني لهذه الفئات؛ فأصبحت حقائق اجتماعية لها وقعها في تصرفات الأفراد، والجماعات، وعلاقاتهم. ورغم التطور الحاصل في عقلية السنغاليين؛ فلا تزال هذه الفروق حقيقة اجتماعية مُعاشةً، وخصوصاً في الأوساطِ المحافظةِ، وبالأخصِّ في الرِّيفِ، فلا تقبل طبقةُ الأحرارِ مصاهرةَ طبقة الحِرَفِيِّينَ -مثـلاً-. وقد استعان الاحتلال الفرنسيُّ بالطبقاتِ الاجتماعيةِ الدُّنيا؛ لتحطيمِ الطبقاتِ العُلـيا التي قاومتْهُ؛ وذلك لإِهانتِها على يدِ الطَّوائفِ التي كانت مُهانةً من قبل! كما يَتَّسمُ المجتمع السنغالِيِّ بـ ((الكرمِ))، و((حبُّ الضيافةَ))، و((الاهتمام بالْمُغتربينَ/ الوافدين)) بصورةٍ مُنقطعَ النَّظيرِ، ومن النَّادرِ أن يجدَ الوافدُ نفسَهُ غريباً؛ إلاَّ ما لا بدَّ للغريبِ من أن يكتوي بنارهِ منه كالتفكير في الوالدين، والأقاربِ، والأحبَّاءِ...؛ بل ينسجِمُ تلقائيًّا، ويُحِسُّ بِأنَّهُ وسط أهلِهِ، ومحبِّيهِ، ويتسارعُ المواطنون في خدمتِهِ، ولا يُعاملونه معاملةَ الدُّونِ. وهذا يعني أن الفطرةَ الاجتماعيةَ

السليمةَ لم تفسُد بعد؛ وإن داخلَها بعضُ الدَّخنِ في ظلِّ السنواتِ الأخيرةِ؛ لعواملَ كثيرة من أهمِّها: تتابعُ دخولِ الثقافاتِ الغازيةِ من خلال ((الإعلام))، و((الإعلامِ الجديدِ))، وإصرارِ الطبقةِ المثقفةِ بالثقافةِ الفرنسيةِ على التطبُّعِ بالطابعِ الفرنسي خاصة، والغربي عامة، وهذه الظاهرة توجد أكثرَ في الأحياءِ المتقدمةِ ماديا؛ على النقيضِ من الأحياءِ الواقفة على بابِ التقدمِ، ويتحسَّنُ الوضعُ؛ كلَّما اتَّجهتَ نحوَ الأحياءِ الشَّعبيةِ، وهذا أمرٌ يكادُ يكونُ عامًّا لجميعِ بلادِ الدُّنيا؛ ولكنَّ الجديدَ هو أنه بعدَ كلِّ ما تقدَّمَ؛ يجدُ المرءُ أن التأثيرَ الغازي من الناحيةِ الاجتماعيةِ يمثِّلُ نذراً يسيراً مقارنةً بالكثيرِ من الأقطارِ؛ وهذا يعني أن الإسلامَ واضحٌ في الحياةِ الاجتماعيةِ السنغاليةِ؛ ذلك لأنَّه شَعْبٌ مُحِبٌّ للإسلام –وإن كانت هناكَ ممارساتٌ كثيرةٌ لمسلمي السنغال بحاجةٍ إلى إعادةِ النَّظرِ؛ سواءً من جهةِ كثيرٍ من المسلمين، أو أربابِ المذاهبِ المعوجَّةِ والضالَّةِ كالعلمانيةِ، ورصيفاتِها ... وغيرِها منَ الجهاتِ، والجماعاتِ، والمؤسسات الدَّاخليَّةِ، والخارجيَّةِ، والأفرادِ الذين اشتركوا في إرسَاءِ العديدِ من الصُّوَرِ النَّمطيَّةِ عنِ الإسلامِ في السِّنغالِ. ومن مزايا المجتمعِ السنغالِيِّ ((الانفتاح))، ومنه ((إيجابيٌّ))، و((سلبيٌّ))، فمن الانفتاح الإيجابي لديهم: أن جميعَ البيوتِ تكاد تكون بيتاً واحداً؛ لأنهم منفتِحون على الآخرين، ويعيشون حياةً واحدةً، وهذه العادة الطيبة أدت إلى قيمٍ طيبةٍ عديدةٍ أُخرى، مثل تحقيقهم لمبدأ التعاون، والتكافل الاجتماعي الواضح في حياتِهم الجمعية، فالطعامُ طعامُ الجميعِ، يتبادلونه في الأيام العادية، وفي المناسباتِ –لا فرقَ–، والدَّارُ مفتوحةٌ للجميعِ، مواطنين، ووافدين، وغرباء؛ ولهذا لم تتمكَّن المطاعم التجارية أن تجدَ فرصتَها في ظلِّ هذه الأماكنِ؛ –إلاَّ ما كانَ في الأسواقِ–، والأماكن التي تحتاج إلى ذلك، باستثناءِ الكافتيريات التي توجد في الأحياءِ السكنية والتي يعمل فيها وافدون من أهلِ مالي، وغيرهم من المُهاجرين، ولا أعلمُ أنَّ ظاهرةَ الانفتاح –هذه– قد قَلَّتْ؛ إلاَّ في بعضِ الأوساطِ التي طغت على أهلِها الثَّقافة الغربية، وأغلبُهم يعيشون في قلبِ العاصمةِ "داكار"، وما حولَها، وقد اختارَ هؤلاءِ الحياةَ الغربيةَ شرعةً لهم ومنهاجا يتبعونها في المأكلِ، والمشربِ، والتعامل –وغير ذلك–؛ وهذا ما أدَّى إلى انغلاقِهم عن المجتمعِ، وهؤلاءِ قلةٌ مقارنةً بالأغلبية المذكورة –وقد

تقدم-.ومن عرقيات البلاد الولوف (٤٣٪)، والتوكولور، (١٨٪)، والسيرير (١٥٪)، والجولا (٤٪)، والمندينكا (٣٪)، وهناك أقليات فرنسية، ولبنانية عددها حوالي ١،٥٠٠٠٠،[٣٣] وعلى الرغم من تعدد العرقيات في السنغال؛ إلا أنها تتصف بالتسامح، وظلت تتعايشُ سلميا -بعيدا عن النَعرات القبلية، والمشكلات الطائفية- منذ الماضي، وحتى اليوم، ولم يسجل خلاف ذلك عن السنغال؛ إلا القليل، ولعلّ ((روح الدعابة)) المنتشرة بين القبائل بعضِها ببعضٍ من أهم ما العاداتِ المشرقةِ، والطيِّبةِ التي أرست قواعد قيمِ الإخاءِ، والتعاونِ، والتكافلِ، فمن المَعِيب للغايةِ أن يتخاصم ((فلانيٌّ)) مع ((سيريريٌّ)) -على سبيل المثالِ-، ومع نُدرةِ ذلك، فإذا كتبَ اللَّهُ أن ينشبَ مشادّاةٌ كلاميةٌ؛ فإن الجميعَ يهرعُ نحوَهما يصبُّونَ الماءَ على نارِ المُصيبةِ قبلَ أن تتفاقمَ؛ ويُصلحونَ بينهما؛ بتذكيرِهما بالأواصرِ القوية بين قبيلة ((السيرير))، و((الفلان))، أو بين مَن لقبُهُ ((جُوبْ/ Diop))، و((انْجَايْ/ N,Diaye))، أو((جَالُّو/ Diallo))، و((بَاهْ/ Ba))[٣٤] ...! وعلى ذلك فَقِسْ، حيث يسري ذلك على جميع القبائلِ السنغالية.

وقد رسخت هذه القيمة في أذهان السِّنغاليِّين، وهو من أجملِ القيم السنغالية التي تُحسَبُ للسنغالِ؛ ولا غروَ بعدَ ذلك أن يكونَ البلد مُسالماً، ومتسامِحاً لأبعدِ الحدودِ، وقليلٌ؛ بل نادرٌ تلك الهنات الاجتماعية التي رصدَها تاريخُ السنغالِ الاجتماعي الطويل، كالتعصب المقيت، والحروب، والتضييق على الوافدين، وهلم جرا من القيمِ الاجتماعيةِ السلبيَّةِ التي ما تزالُ كثيرٌ من الدولِ الجوارِ -وغيرها- تئنُّ تحتَ وطأتِها، وأعاقت من نهضتِها اجتماعيا؛ بل وفي الأصعدةِ كافَّةً.

---

[٣٣] موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: ١٢ -٢ -٢٠١٢م، بتصرف.

[٣٤] أيُّ قبيلةٍ في السنغالِ تحملُ لقباً معيَّنَاً من الألقابِ المذكورةِ، أو غيرها؛ وعليهِ فإن الولدَ يُنسَبُ إلى لقبِ أبيهِ مباشرةً من دون حاجةٍ لإضافةِ اسمِ الأبِ -كما هو الحالُ في الدول العربية-، فإذا كان اسمُ الأب ولقبه: الحاج/ محمد علي جالو؛ جاءَ اسمُ الابنِ: جيرنو أحمد جالو، وليس: جيرنو أحمد الحاج محمد علي جالو، وعلى ذلك فقِسْ ... وما ذَكرتُهُ يَطَالُ كثير من الدول الإفريقية، وليس حكراً على السنغالِ. هذا وقد يخرج بعضُ الأفرادِ من العمومِ المذكور؛ فيأتي الاسم على غرارِ الأسماءِ العربية؛ ولكن يبقَى ((الحكم للغالبِ، والنَّادرُ لا حكمَ لهُ))! كما تقول القاعدةُ الشهيرةُ. والمنهجُ الصحيح في هذا البابِ قولُهُ تعالى: (**ادعوهم لآبائِهم؛ فإن لم تعلموا آباءَهم؛ فإخوانُكم في الدِّينِ** ...)، وصدق الله العظيمُ إذ يقولُ: (**ما فرَّطنا في الكتابِ من شيءٍ**)، و(**إن هذا القُرآنَ يهدي للتي هيَ أقومُ**).

ب/ السنغال ثقافيا:

الحديث عن التراث الثقافي في السنغال متشعب؛ تبعاً لتغاير أصول ولغات وتاريخ الشعوب المتساكنة فيها؛ غير أن ما يُسهِّل المعضلةَ وجود تشابه ملحوظ بين مختلف ألوان التراث الثقافي لهذه الشعوب، فضلا عن الاتجاه القوي نحو توحيد وسائل التعبير عن هذه الثقافة منذ زمن نتيجة عومل عديدة. وتتميز هذه الثقافة ب"الشفوية"، أي: أنها لم تدون؛ إذ لم تدخل "الكتابة" إلى السنغال إلا بعد انتشار الإسلام، فأغلب ما تمت كتابته كان باللغة العربية، أو باللغات المحلية بالحروف العربية، ويغلب عليه طابع الإسلام.

وتحتل القصص، والأمثال، والشعر، والأغاني، والموسيقى وآلات الطرب مركز الصدارة. ويعتبر "فن القصص" أهم مقومات الأدب الشعبي. والتراث القصصي عبارة عن أساطير وأقاصيص تقوم الحيوانات بدور الأبطال فيها، وتتقمص دورَ الإنسان، وتتصرف تصرفاته، وتتكلم بلسانه، داخلة في خفايا نفسه، منتقدة تارة المجتمع، وحاثَّةً طوراً آخر على عملِ الخيرِ، ومكارم الأخلاقِ، والرفق بالأيتام، والضعفاء، وتنتهي الأقاصيص بالعبرِ، والحِكَمِ، وفد تأثرَ بعض هذه القصص بالإسلام؛ فأصبح يستعير منه لونه، ومادتَه.

وكان –ولا يزال- حتى يومنا هذا –خاصة في الأرياف- يتحلق الرجال والنساء والولدان حول ضوء النار، يوقدونها؛ للمسامرةِ، وخلالَها يستمعون إلى القاصِّ يحكي لهم أقاصيصَ وأساطيرَ شيِّقة تخلبُ الأفئدةَ، وتستحوذ على مجامع القلوبِ. وإلى جانبِ الأقاصيص تحتل الملاحم درجةً عاليةً في التُّراثِ الشعبيِّ، وتدورُ غالباً حولَ شخصياتٍ تاريخية حقيقية، أو أسطوريَّة ... ويعكس ذلك كله تنوع وثراء "الفولولكلور" السنغالي الذي يسير في طريق التأصيلِ، والحفظ، والثباتِ ...[٣٥]

وكان ((الجَدَّان)) يرويانِ للأسرةِ الأحاجيَ، والألغازَ، والقصصَ، والحكاياتِ، والأمثالَ، والحكمَ، وغيرَها من خلاصةِ تجاربِ الكونِ المفتوحِ؛ ولكنَّه قد لُوحِظَ تراجع في هذا البابِ، وبوجهٍ خاصٍّ في عصرِ العولمةِ، والتكنولوجيا الذي استقطَبَ الجماهير إلى

---

[١] عبد القادر محمد سيلا، مرجع سابق، ص ص: ٣٢ -٣٣، بتصرف.

متابعة ((وسائل الاتصال الجماهيرية)) كالصحيفةِ، والمجلةِ، والراديون، والتلفازِ، والسينما، والتسجيل الصوتي، والهاتف، والشبكة الدولية للمعلومات/ الإنترنت ((Internet))، أكثرَ مِن أيِّ شيءٍ آخرَ، و((بلغَ السَّيلُ الزُّبَى))، و((وزادَ الطينُ بلةً)) في عصرِ ((الإعلامِ الجديدِ)) كالفيسبوك، والتويتر، واليوتيوب، والإسكايبي، والواتس آب، والفايبير، وغيرها من شبكات التواصل الاجتماعي ((Mass Media))، والمواقعِ والمدونات؛ فكان من أهم نتائج ذلك تجاوزُ العالمِ مرحلةَ ((القرية الكونية الإلكترونية)) التي أطلقها عالم الاتصال الشهير/ مارشال ماكلوهان –والتي كانت متطابقةً مع الزمن الذي قيلَ فيهِ–، إلى مرحلةِ ((الشَّاشَة الكونية الإلكترونية))؛ فتمازجت الثقافات، وتداخلت الشعوب، والأمم، واللَّهُ وحدهُ يعلمُ إلى أينَ سَتُشرِّقُ بنا ((التكنولوجيا الحديثة)) وتُغرِّبُ؟!، وبِمَ سَتُسْفرُ لنا غدًا من الوسائلِ الأشدِّ إبهاراً، والأكثرِ تطوُّرًا؟!؛ وإِنْ آتاهُمْ من العلمِ ما بهِ يتمكنون من البحثِ؛ ولكن ذلك كله بالنسبة لعلمِ اللهِ قليلٌ؛ بل أقل من القليل، وصدقَ اللهُ القائلُ: (**وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً**).[٣٦]

وأما عن اللغة –بصفة عامة–، فالسنغال دولة متعددة اللغات، تَحْوِي حوالي ٣٦ لغة، من أهمها: الفرنسية، وهي اللغة الرسمية، وقد جاءت من الاحتلال الفرنسي، ولا تزال الفرنسية مستعملة من قبل الإدارة السنغالية، ويفهمها حوالي ١٥٪ إلى ٢٠٪ من الرجال وحوالي ١٪ -٢٪ من النساء، ومن تلك اللغات السنغالية–أيضا–: بالانتا، غانجا، الحسانية، الجولا، مندنكا، منكانيا، الفولانية، السونوكية، الولوفية، ماندجاك، ومع أن لغة الولوف هي الأكثر استخداماً في السنغال؛ إلا أن لغة الإدارة في السنغال لا تزال هي الفرنسية.[٣٧]

وقد أشار الأستاذ عبد القادر محمد سيلا إلى أن اللغة العربية في السنغال من أهم مكونات التراث الثقافي السنغالي. (واللغة الرسمية للبلاد هي اللغة الفرنسية، واللغة الإفريقية الأولى هي لغة ((الولوف))، أما شعب ((توكولور)) و((بول)) فيتحدثون لغة

---

[٣٦] سورة الإسراء، آية رقم: ٨٥.

[١] http:ar.// wikipedia.org /wiki/: ١٥-٢-٢٠١٢م.

((البولار))، وشعب ((السيرير)) يتحدثون لغة ((السيرير))، والسكان يستخدمون الكثير من المصطلحات العربية في لغاتهم). [٣٨]

وتوجد في جمهوريةِ السنغال الثقافتين: ((الفرنسية))، و((العربية))، والأولى هي الأوسعُ انتشاراً؛ بفعلِ الغزوِ الثقافي، ولكنَّ الثَّقافةَ العربيةَ فيها واضحة، والكثيرُ منهم يمزِج ما بينَ الثقافتين؛ سعياً منهم لتحقيقِ الأصالةِ، والمعاصَرةِ. كما يُلاحَظُ انتشار الأمية في السنغالِ بصورةٍ ملفتةٍ.

---

٢ /http:ar.// wikipedia.org /wiki: ١٥-٢-٢٠١٢م.

المبحث الثالث

السنغال اقتصاديا، وسياسيا، ودينيا

أ/ السنغال اقتصاديا:

أساسُ اعتماد السنغال على زراعة الفول السوداني، والقمح، والأرز، والذرة، والقطن، كما تهتم بتربية الماشية، والصيد البحري، والتجارة، والسياحة.

فبالنسبة للزراعة، يعتمد الفلاح السنغالي على المحراث التقليدي -ويُعَدُّ ذلك أحد أمراض البلاد المزمنة-، وبعض الأدوات الميكانيكية. وينبغي الإشارة إلى أن هناك مشاريع زرارعية تستعمل فيها الآلات الزراعية المتطورة كالجرَّارَاتِ. ويهتم الشعب السنغالي بإنتاج المواد التسويقية المهيَّأة للتصدير، وأهمل إلى حد ما المواد الغذائية؛ وذلك راجع إلى السياسةِ الاستعمارية التي شجعت المواد التسويقية. أما الحكومة الحالية، فهي تشجع في هذا الظرف الاهتمام بالمواد الغذائية؛ للوصول إلى الاكتفاء الذاتي المنشود في هذا المجال، كما توجد في السنغال بعض المناجم المعدنية مثل: الذهب، والحديد، والفوسفات، بالإضافة إلى الصناعة، وهي في الغالب استهلاكية.[٣٩]

وإذا كان الاكتفاء الذاتي أساس الاقتصاد السنغالي قبل عهد الاستعمار؛ فإن الإدارة الأجنبية لم تغير شيئاً ذا قيمة كبيرة؛ فلم تتطور زراعة المواد الغذائية الاستهلاكية؛ بل تم تشجيع إنتاج الفول السوداني المهيأ للتصدير، وفي الوقت ذاته أهملت المحصولات الأخرى، ولم يتزامن ذلك كله مع صناعات متطورة، ومتنامية، على أن هناك بعض المصانع -وخصوصا في إقليم الرأس الأخضر- الذي يتمتع بعدد كبير من المصانع؛ مما جعله في الصف الأول من المناطق الصناعية في غربي أفريقيا. أما جوف الأرض، فيحتوي على بعض الثروات المعدنية التي لم يستغل أكثرها مثل: الفوسفات، والحديد، والمرمر، والذهب. كما تتمتع البلاد بثروة سمكية هائلة، ويشتغل ١٠٪ من السكان بصيدِ الأسماك.[٢]

---

[٣٩] -٢ خليفة جاورا، الحركات الإصلاحية في السنغال "الشيخ عمر الفوتي نموذجا"، ط/ ١، بلد النشر بدون ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ٢٤، بتصرف.

ويرى بعضُ الكُتَّابِ أن السنغال اعتمدت اقتصاديا على موقعها الجغرافي المتميز أكثر من استخدامه لمواردها الاقتصادية. والسنغال دولة من دول الاتحاد الاقتصادي والنقدي الأفريقي الغربي. وبعد مشكلات اقتصادية في بداية التسعينات، تغيرت قوانينها الاقتصادية، فكانت نسبة نموها الاقتصادي حوالي ٥٪ في الأعوام بين ١٩٩٥ و٢٠٠١.

وفي بداية عام ١٩٩٤ بدأت السنغال في تطبيق برنامج إصلاح اقتصادي طموح برعاية المجتمع الدولي؛ مما اضطرَّها إلى تخفيض قيمة العملة المحلية المرتبطة مع الفرنك الفرنسي إلى ٥٠٪ من قيمتها، وكانت آثار هذا الإصلاح شديدة الوطأة على السكان حيث أدت إلى ارتفاع أسعار معظم السلع الأساسية والغذائية مثل الألبان واللحوم وغيرها إلى الضِّعف في ليلة واحدة، ولكن تحقق معدل النمو الاقتصادي في الدخل القومي نتيجة للإصلاح وصل إلى ٥٪ سنويا وانخفض معدل التضخم بشدة إلى أرقام صغيرة مقارنة بالسابق.[٤٠] ولا زالت البلاد تشهد غلاءً فاحشاً في السلع الاستهلاكية، وغلاءً في الخدمات المختلفة مثل الكهرباء، وغيرها من الضروريات؛ مما أرهقَ كاهلَ أربابِ الأُسَرِ، وقد شهدت البلاد أوضاعاً عامةً من الغلاءِ لم تشهده من ذي قبلُ؛ أدَّت إلى هجرةِ الشبابِ إلى الدول الأوروبية –بشكلٍ أكبر– وخاصةً (فرنسا، إيطاليا، أمريكا، إسبانيا، بريطانيا، وغيرها ...)، كما ظهرت الهجرة غير الشرعية، إلى الدول المذكورة وخلاها عن طريقِ البرِّ والبحرِ...، ولا يخفى خطورة ذلك، فقد لقيَ الكثيرونَ حتفَهم؛ من جراء تلك الهجرات. وإن مثل تلك الأوضاع المزرية المذكورة أدت إلى ازديادِ نسبةِ السرقاتِ، والجرائم بأنواعها المختلفةِ، وخلا ذلك من الأمورِ التي لا تُحمَد عُقباها. وسيدورُ الحديثُ في الجزئية التالية عن السياسة في السنغال:

ب/ السنغال سياسيا:

السنغال دولة ديمقراطية، متعددة الأحزاب. ينتخب رئيس الجمهورية فيها لخمس سنوات، وهو يختار رئيس الوزراء. ويسمى البرلمان السنغالي "المجلس الوطني"، وفيه

---

[٤٠] http:ar.// wikipedia.org /wiki/: ١٧-٢-٢٠١٢م، بتصرف.

(١٢٠) عضوا ينتخبون في انتخاباتٍ غيرِ الانتخاباتِ الرئاسيةِ لخمس سنين.[٤١] وقد تعاقب على رئاسة السنغال منذ الاستقلال وحتَّى الوقت الحاضر:

١/ ليوبولد سيدار سينغور- (Léopold Sédar Senghor).

٢/ عبد جوف- (Abdou Diouf).

٣/ عبد الله واد- (Abdoulaye Wade)، والذي -أصرَّ على ولاية ثالثة في ظلِّ الانتخابات الرئاسية التي تمت في أواخر شهر فبراير ٢٠١٢م على الرغمِ من عدم سماح الدستور السنغالي بذلك كما -يرى المراقبون-! وحجة الرئيس (وَادْ) أن ولايتَه الأولى لا يُعتَدُّ بها؛ لأن القانون المذكور إنما أُجيزَ بعد سنة من ولايته الأولى؛ الأمرُ الذي أثار حفيظةَ الشارعِ السنغالي؛ مما جعلهم يخرجون للمظاهراتِ؛ فشهدت بذلك مشكلاتٍ غير مسبوقة؛ أفضت إلى مرحلة فاصلة، وما كانوا ليخرجوا منها؛ لولا توفيق الله لهم، ثم تحلِّيهم بالحكمة، والحنكة السياسية.

ومما يُشكَرُ للرَّئيس ((وَادْ)) اتِّصالُهُ بالرئيسِ ((ماكي صَالْ)) فورَ فوزِهِ عليهِ؛ ليُهنِّئُهُ بذلكَ! ومن اللقطاتِ المُحزنة التي شُوهِدَتْ من خلالِ شاشات التلفاز: تقبيل "واد" لعَلَمِ السنغال معبِّراً عن فرَطِ حُبِّهِ لبلاده، وأنَّه سيبقَى فيها ...!

٤/ ماكي صَالْ- (Macky Sall)، وهو الرئيس الرَّابع للسنغالِ الذي فازَ على الرَّئيس السابقِ عبد الله واد. وقدعلَّقَ الشعب السنغالي عليهِ آمالاً عراضاً -بعد اللهِ-؛ بأن يخرجهم من الأزمات المختلفة التي يعيشونها، ويبدو أنه من المُبكِّرِ الخوض في شأنه، وشأنِ حكومته؛ (**حتى يتبيَّنَ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ**)![٤٢] وفي المجال السياسيِّ، تُعتبَر جمهورية السنغال نموذجاً فذًّا للدول الإفريقية التي تعُجُّ بالمشكلاتِ السياسية -بما في ذلك الانقلابات المتكررة-؛ حيثُ يسود السنغال استقرارٌ سياسيٌّ في ظلِّ احترامِ القيمِ الديمقراطية، وتُعَدُّ من بين الدول الإفريقية التي لم تشهد انقلاباً عسكريا في تاريخِها. ولا تخلو من بعضِ الهناتِ في المجال السياسيِّ -قديماً، وحديثاً-. وأختِمُ بالناحية الدينية في السنغالِ، ويعتبر مسكَ الختامِ لهذا الفصل:

---

[٤١] http:ar.// wikipedia.org /wiki/: ١٥ -٢ -٢٠١٢م.

[٤٢] سورة البقرة: آية رقم: ١٨٧.

ج/ السنغال دينيا:

لم يكن الإسلام سائداً في الإمارات التي كانت موجودة سابقاً؛ وإن كان حضورُه ملموساً في جميعِهَا؛ حيث كانت الجالية الإسلامية تكوِّن كتلة اجتماعية متماسكة مشكلة جماعة ضغط سياسي مهم وعنصر تطور، وركيزة للإدارة الحكومية؛ فالإنسان السنغالي – شأنُ غيرِهِ من الأفارقةِ– متتشبث بالقيمِ الروحيةِ، فقلما يقوم بحركة هامة أو تافهة دون أن تسبقها فكرة دينية.

ويرى "دولافوص" أنه "لا وجود لأيَّةِ مؤسسة في أفريقيا السوداء –سواء في الميدان الاجتماعي أو السياسي، بل حتى في مجالِ النشاطِ الاقتصادي-لا تنبني على تصوُّر دينيٍّ، أو لا يكون الدين حجرُ الزاوية فيها، فهذه الشعوب التي يستنكر أن يكون له دينٌ هي – في الواقعِ– من بينِ الشعوبِ المتدينةِ على وجهِ الأرضِ". [٤٣]

و(كان لفرنسا بعد انتصاراتها العسكرية أن تواجه تاريخا إسلاميا، وثقافة إسلامية عربية عميقة الجذور؛ فقد تعرف السنغال على الإسلام منذ القرون الأولى؛ لانتشاره في شمالِ القارة الإفريقيةِ، وقيام دويلات المغرب الإسلامي؛ بل يرجح البعض أن تكون بعضَ قبائل السنغال قد اتصلت بالإسلام في فتراتِ دخولِهِ الأولى لمصر؛ بينما يربط البعض بين تحركات عقبة بن نافع وإسلام بعض شعوب نهر السنغال خاصة، وبعض مؤرخي قبائل الفُلاَّنِ يرجعون أصولهم إلى ((عقبة بن نافع))، ويؤكِّدون انتسابهم إليه، ومن شواهدِ هذا ما جاءَ في الشطر الأول من قصيدةٍ للشيخِ عبد الله بن فوديو حيث يقول:

"وعُقبةُ جدُّ الفُـلاَّنِ من عَرَبِ"

ورغم الغموض الذي يحيط بهذه الفترات المبكرة من تاريخ هذا القطرِ؛ فقد بات مؤكداً الآنَ أن دخول الإسلامِ في السنغالِ كان سابقاً لجهودِ دولةِ المرابطينَ في أواسطِ القرنِ الحادي عشرَ الميلادي، إلى أن قال: لا يمتاز السنغال –فقط– بسبقه في الإسلام مقارنة ببعض المناطق الأخرى في غرب أفريقيا؛ ولكنه امتازَ–كذلك– بكونه واحدا من

[٤٣] - عبد القادر محمد سيلا، مرجع سابق، ص: ٣٧، بتصرف.

المناطق الرئيسية التي عملت على الانتقال من طور ((تلقي الدعوة الإسلامية)) إلى مرحلة ((التأسيس السياسي بإنشاء الممالك والإمارات الإسلامية))؛ فأصبح نهر السنغال بذلك منطقة كبرى من مناطق النفوذِ الإسلامي في بلادِ الغرب الإفريقي. وتعد مملكة صنغانا التي امتدت على ضفتي مدخل نهر السنغال إضافة إلى مملكة التكرور وسيلا –من أبرز الشواهد التي أشار إليها الجغرافيون العرب قديما. فقد أورد البكري وصفاً لصنغانا، وتحدث –كذلك– عن مدينة تكرور التي سكنها الزنوج السودانيون وعبدة الدكاكير. والدكاكير جمع دكار، وتعني الأصنام حتى عهد ملكهم "وارجابي بن رابيس" الذي اعتنق الإسلام، وأقرَّ الشريعة الإسلامية في البلادِ، وجعل من الإسلام الدين الرسمي لدولتِهِ، وشعبِهِ، فنوَّرهم بالحقيقة).[٢] و(على حد قولِ مؤرِّخي بلادِ السنغال الذينَ كتبوا بالعربية، يرجع عهد دخولِ الإسلامِ في وطنِهم إلى أيامِ بلوغِ جنودِ عقبة بن نافع –رضي الله عنه– شاطئَ السنغال)،[٤٤] وبعد ذلك يعدُّ دور المرابطين دوراً رئيسيا في ترسيخ قدم الإسلام في منطقةِ شمال وغرب أفريقيا. ومن أهمِّ العوامل التي ساعدت على انتشارِ الإسلامِ سِلْمِيًّا في السنغال: ١/ يسر الإسلام ٢/ حرص الإسلام على ضمان التقدم والازدهارِ لأتباعِهِ. ٣/ دور التُّجَّارِ في نشرِ الإسلامِ ٤/ دور زعماء الطرائق الصوفية في نشرِ الإسلامِ.[٤٥] وقد ساهم بعضُ الشيوخِ من بلادِ المغربِ ساهموا في نشرِ الإسلامِ في السنغالِ كما أفادت المصادر، من ذلك قول الأستاذ عبد القادر سيلا في هذا الصدد: (ولقد لاحظ أوروبيون –كانوا يقومون بزيارةِ السنغالِ في القرنِ الخامسِ عشرَ الميلاديّ– حضور شيوخٍ من المغربِ، وتلمسان، وموريتانيا في بلاط كل من ملك "كاجور"، و"جولوف"، و"سين سالم"، وكانت الجالية الإسلامية في القرن الخامس عشر الميلادي ذات شأن كبير في مختلف أقاليم السنغال).[٤٦] وقد تقدم وصفُ أ. د ((ساتي)) للسنغال بقولِهِ: ((السّنغالُ قُطرٌ صغير في مساحته، كبيرٌ بتاريخه، عريقٌ في إسلامه وحضارتِهِ))، إلى أن قال: "وعليه؛ فلا غرو أن

---

[١] عامر صمب، مرجع سابق، ص١٨.

[٢] خليفة جاورا، الحركات الإصلاحية في السنغال "الشيخ عمر الفوتي نموذجا"، ط/ ١، دار النشر بدون، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص ص ٣٨-٤٠.

تبلُغَ نسبة المسلمين فيهِ حوالي ٩٩٪؛ إذ من بلادهم انتشر الإسلام في أقطار الغرب الإفريقيّ، وعلى أكفّ أجدادهم تقدّمت الدعوة المحمدية الشّريفة، ولم تقتصر جهودهم على بلادهم وما جاورها، بل امتدّ أثرهم كذلك إلى أجزاء واسعة من القارة الإفريقيّة،[٤٧] وصرحَ "الغنيمي" بأنَّ: (السّنغال الحاليّة كانت مركزا لأكبرِ حركةٍ إسلاميّةٍ ظهرت في التّاريخ الإسلاميّ في تلك المنطقة، فقد اعتنقت ملوك ورؤساء قبائل تلك المنطقة –وما جاورها من المناطق الجنوبية– الدينَ الإسلاميَّ، ودخلت القبائل الإفريقيّة في دين الله الخالد في أوائل القرن الخامس الهجريّ، الحادي عشر الميلادي).[٤٨]

ولما كان الكتاب عن أمثال قبيلة ((الولوف))؛ فقد عقدتُ الفصلَ الثالثَ؛ لبيانِ ما يتعلق بها –عينها–؛ إذ لُغتُهَا، وثقافتُهَا فِي السِّنغَالِ لا تزالُ هي السائدة، ؛ الأمرُ الذي سيُفِيدُ في فهمِ دلالاتِ أمثالِها بنحوٍ أفضل، فإلى ذلك:

---

[٣] عبد القادر محمد سيلا، مرجع سابق.

٤ مهدي ساتي صالح، مع الإسلام والثّقافة العربية في السّنغال، ط/ الأولى، المركز الإسلاميّ الإفريقيّ، الخرطوم، السودان. رجب ١٤١١هـ - يناير ١٩٩١م، ص ص ٣-٤.

[٤] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المدّ الإسلاميّ في غربي إفريقيا، ط/ مكتبة نهضة الشّرق، جامعة القاهرة، القاهرة، تاريخ بدون، ص ٢٥٠.

الفصل الثاني

قبيلة "الولوف" السنغالية

المبحث الأول

سمات القبيلة الولوفية

سيتحدث الباحث في هذا الفصل عن القبيلة الولوفية: سماتِهم، وخصائصِ اللغةِ الولوفيةِ من بين اللغات السنغالية، ثم أخيراً علاقة جماعة "الولوف" باللغة العربية؛ كل ذلك توطئةً للحديثِ عنِ الأمثالِ الولوفيةِ. ويُعتَبر ذلك ترتيباً جيدا، ومنطقيًّا لفهمِ الأمثالِ المذكورةِ على أحسنِ وجهٍ.

والسمة مصدر، وجمعُه سمات: أي العلامة، والمَعْلَم، وجمعُهُ معالِمُ.[49] وقد وردت هذه المفردةُ في القرآن العظيم، وذلك في قولِهِ تعالى: (**وعلاماتٍ وبالنجمِ هُم يهتدون**)[50] (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْعَلَامَاتُ مَعَالِمُ الطُّرُق بِالنَّهَار، أَيْ جَعَلَ لِلطَّرِيقِ عَلَامَاتٍ يَقَعُ الِاهْتِدَاءُ بِهَا. (**وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**)[51] يَعْنِي بِاللَّيْلِ، وَالنَّجْمُ يُرَادُ بِهِ النُّجُومُ).[52] وأقصدُ بالسِّمَاتِ هنا العلامات والمعالِم التي امتازَت بها القبيلةُ ((الولوفيةُ)) عن القبائلِ الأُخرى. ويمكن تقسيمها إلى سماتٍ خَلْقِيَّةٍ، وأُخرى خُلُقِيَّة:

---

[49] المنجد في اللغة والأعلام، ط/ ٤٠، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص ٩٠١.

[50] سورة النحل، آية رقم: ١٦.

[51] تقدم تخريج الآية.

[52] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، باب قوله تعالى: (**وعلاماتٍ وبالنجمِ هُم يهتدون**)، سورة النحل، آية رقم: ١٦، ج/ ١٠، ص: ٩١.

١-السماتُ الخَلْقيةُ:

وهي تلك التي تتعلق بأوصافهم التي خُلِقُوا بها: مثل لون بشرتهم، وقاماتهم، ونحو ذلك من الأوصاف ... وتمتازُ جماعةُ "الولوف" بسَوَادِ البشرةِ -غالبا-، لا يشذ في ذلك منهم إلا القليل، وسوادهم متباين، ويميل سوادِ كثيرٍ منهم إلى السواد الفاتح، ولا يُعتَبَرُ السواد الغامق أوالكالح سمةً غالبةً فيهم.

أما قاماتهم، ففيها تباين ظاهرٌ -أيضاً-، ويكثر فيهم توسط القامة، والطول. ويتمتَّعُون في المُجمَلِ ببِنْيَةٍ قويَّةٍ؛ ممَّا جعلَت الشيخوخة لا تَسْرِي فيهم مُبكراً. شَعرُهم غير مُسترسِلٍ -غالباً-، ويُمكِن أن يلاحظ الإنسان بينهم شَبَهاً قوِيًّا فيما يتعلق بتقاطيع وجوههم، وتفاصيل أجسامِهم، وطريقةِ كلامِهم.

يلبسون أزياء قومية يتفنَّنُ الخياطون في خياطتها، ولهم في ذلك باع طويل؛ حيث يُودِعونَ السوقَ بين الفينة والأخرى مَوْضَاتٍ مُختلفةً منها، ومن أقمشتهم التي يفضِّلُونَها "البازين/ bazin، وغانجيلا/ gagnila" وسِوَاها كثيرٌ.

كما يرتدون القميص، والبنطلون، ويستوي في ذلك الرِّجالُ صغارُهم وكبارُهم، وكذلك الكثير من الفتيات، وخاصة اللواتي لم يُوَفَّقْنَ لارتداءِ الحجابَ الشرعيَّ بعدُ، حيثُ لا يرفعنَ لتطبيقِ معظمِ تعاليمِ الدين رأساً. والأزياء التي يرتديها الولوفيون -بوجه خاصٍّ-، والمجتمع السنغالي -بوجهٍ عام- لا حصر لها. وليست قبيلة ((الولوف)) بأكثرَ حِشمةً فيما يتعلق بالأزياء من غيرها من القبائلِ -في المُجمَلِ-؛ إلا الملتزمون منهم، فقد وجدت بعض القبائل السنغالية التي تعتني بالملابس الفضفاضة أكثر منها، كما الفلانيينَ، والتكلوريين، والسونينكيين الذين لا يزالون في عداد المحافظين -نسبيا-.

ولا يخفى أن القيمَ الإيجابية المذكورة قد تراجعت؛ بفعلِ الغزو الفكري، والثقافي، وفي زمنِ وسائل الاتصال الجماهيري من صحافة، ومجلة، وراديو، وسينما، وتلفاز، وفضائيات، وشبكة عنكبوتية، وحِمِيَ الوطيسُ؛ بمجيءِ ((الإعلامِ الجديدِ)) متمثلا في شبكاتِ التواصل الاجتماعي ...

ومن المؤسف أن التكنولوجيا الحديثة مع ما أهدتها للمجتمع البشري عامة –بما في ذلك المجتمع السنغالي– من تسهيلاتٍ، وخدمات طيبةٍ في العصرِ؛ إلاَّ أنَّها قد أسهمت في إزاحةِ وتقليص جانبٍ مهمٍّ من القِيَمِ السنغالية، والولوفية.

٢–السماتُ الخُلُقِيَّةُ:

وأقصد بالسماتِ الخُلُقِيَّةِ: كُلُ مَا يتعلقُ بقِيَمِ ((الولوف))، وأخلاقِهِمْ، وأديانهم، ويدخل في ذلك ما يتعلق بعاداتهم، وتقاليدهم، وثقافاتهم.

ويمكن القول بأنهم قومٌ كرماء، يُحبُّونَ قِرَى الضَّيفِ، وبشكلٍ مبالَغٍ فِيهِ –خاصة– فيما يتعلق بالطعام، والشراب، وغير ذلك.

كما أنَّهم يتَّصِفون بأخلاقٍ كثيرةٍ حميدة مثل: الشجاعة، والنجدة، والوقوف مع الغرباء –من وافدين، وطلبةِ علمٍ–، ومعاملتهم معاملة راقيةً، والتسامح، والانفتاح؛ فهم قوم اجتماعيون من الدَّرجةِ الأولى، ولدى القومِ غير ذلك من كريم الخصال المعروفةِ. ويدينون بالإسلام في الأعمِّ الأغلب، وينتمون إلى الطرائق الصوفية العديدة –غالبًا–، والمنتشرة في البلاد مثلَ: الموريدية، والتيجانية، والقادرية، كما ينتمون إلى طرائقَ اللاَّهِينِيَّةِ، وغيرها. يُحبون الأفراح والمناسبات، وينفقون فيها الغالي والنفيس، وتدوم بعض مناسباتِهم فترة طويلة من الزمن. وللولوف عادات يُعرَفون بها في كل المناسبات، منها الموافقة للقيم الإسلامية، ومنها المخالفة شأنُهم في ذلك شأنُ القبائل الأُخرى. أما مايتعلق بأعمالهم؛ فيمارسُ الكثيرُ منهم مهنةَ الزِّراعةِ، ويزرعون الفول السوداني، والأرز، وغير ذلك ... كما يمتهنون التجارة في الأحياء الشعبية في الولاياتِ، وفي "دكار" العاصمة –سواء في دكاكين الجملة، أوالتجزئة–، كما توجد فيهم شريحةُ الباعةِ المتجولين. ويشتغل طائفة كبيرة منهم في البناء، ويسافرُ كثيرٌ منهم إلى "انواكشوط" –عاصمة جمهورية موريتانيا–، وغينيا، وغيرها من دُوَلِ الجوارِ، بل يهاجرُ القومُ إلى فرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، وألمانيا، وبريطانيا وخلاها من الدولِ الأوروبيةِ، كما يسافرونَ إلى أمريكا وغير ذلك من أقطارِ الأرضِ؛ بحثًا عن فُرَصٍ للعملِ أفضَلَ. وبالجُملة، يشتغلُ الكثيرُ منهم –كذلك– في التجارة، والصناعة، والخياطة، والحدادة، والسِّبَاكةِ، وغيرها من الأعمال اليدوية الشَّاقَّةِ. أما من حيث التعليم، فيُوجَد منهم عدد كبيرٌ من المثقفين، سواء باللغةِ العربية، أَوِ الفرنسية، أو الإنجليزية، أوغيرها من لغاتِ العالمِ، وقد ظهرَ من بينهم علماء وعقول

في المجالات العلمية، والأدبية المختلفة، مثل النَّابغة ((شِيخْ أَنْتَ جُوبْ)) الذي باسْمِهِ سُمِّيَ جامعة داكار الأم، وغيره من نُبغَاءِ الولوف. [٥٣] ويُمارِسُ الكثيرُ من الولوفيين "السِّياسَةَ"، وقد ظَهَرَ نُبوغُهُم فيهَا منذ وَقْتٍ مبكِّرٍ. كما استفادَ منهُمْ بعضُ الدولِ الغربيةِ -وبوجهٍ خاصٍّ- فرنسا، والدول الغربية الأُخرَى. ويمكن ملاحظةُ أن عدوَى الاستجابةِ للغزوِ الثقافيّ،-وبوجهٍ خاصٍّ الفرنسيِّ-، وغيرها من ألوانِ الطَّيفِ الثَّقافيِّ الغازِي الغربي، والواافد؛ قد دَبَّ فيهم بصُورَةٍ أسرع من الجماعات العرقية السنغالية الأخرى؛ الأمرُ الذي غيَّرَ الكثيرَ من عاداتهم الطيبة، وجعلتها تَصْطَبِغُ -أحيانًا كثيرةً- بصبغةٍ غربيةٍ مُخالفةٍ للقيمِ الإسلاميةِ.

---

[٥٣] يمكن إفرادُ مصنَّفاتٍ مستقلَّةٍ عن نبغاءِ السنغال ((الولوف نموذجا))، أو ((الفُلَّان نموذجا))، أو ((التكلور نموذجا)) ...، وهكذا يُمكن الكتابة على هذا الغرارِ عن ((عُلماء غينيا))، وغامبيا، ومالي، والنيجر، ونيجيريا، وغيرها من دولِ المنطقة. وحبذا لو أتى ذلك من أقلامِ المُحققِّينَ من العلماءِ، وخاصةً من أهلِ القارة؛ إذ ((أهلُ مكَّةَ أدرى بشِعابِها)) كما يقول المثل العربي. وما ذكرته من الأهميَّةِ بمكانٍ؛ إذ ذلك يُسهمُ في إبرازِ صورةِ البلادِ الإفريقيةِ اللاَّمعةِ -بما في ذلك السنغال-، مع الوضعِ في الاعتبارِ أنَّ إفريقيا لا تزالُ خيراتُها مجهولةً لدى الكثيرِينَ من سُكَّانِ القاراتِ الأُخرى، فإذا ذُكرتْ؛ فإنها تُذكَرُ موصوفةً بالازدراءِ، منعوتةً بالثالوثِ الخطير والمُهدّدِ: ((الجهل))، و((المرض))، و((الفقر))!!!، وأيمُ اللهِ لو أنَّ هؤلاءِ علموا الخيراتِ العميمةِ التي أودعها اللهُ فيها؛ لما تجرَّأُوا عليها، عن قصدٍ مُغرِضٍ، أو عن جهلٍ و((هل تتضرَّرُ الشَّمسُ أن تُرفعَ إليها يدٌ شَلاَّء))؟!! لا واللهِ، ولا غير شَلاَّء!!! و((توضيحُ الواضحاتِ من أكبرِ المشكلاتِ)).

المبحث الثاني

خصائص اللغة الولوفية من بين

اللغات السنغالية

تختص اللغة الولوفية –كلغةٍ مِنْ لُغاتِ السِّنغالِ– بالعديدِ من الخصائصِ، ويمكن إجمالُ ذلك في كونِهَا:

١/ هي اللغة القومية:

تختص اللغة الولوفية بأنها واسعة الانتشارِ، وتفوق في ذلك جميع اللغات السنغالية الأخرى؛ بل وتفوق في الانتشارِ حتَّى على اللغةِ الفرنسيةِ –اللغة الرسميَّة للبلاد– ويتحدث معظم الشعب السنغالي باللغةِ الولوفية، فهي لغة التجارة، والشارعِ، والسُّوق، والنوادي، والمقاهي، والتجمُّعات الكُبرى؛ وهيَ لُغَةُ التَّواصُلُ بين جميعِ القبائلِ السنغاليةِ، ولا تُوجد لغةٌ أُخْرَى في السنغال أدَّتْ الدورَ نفسَهُ؛ وَبذلك –وغيره من العواملِ– اكتسبت صفَةَ "القوميةِ". فإذا ألَمَّ الإنسانُ بها؛ فإنه بذلك يكون قد تخطَّى حاجزَ اللغة، وضمنَ التَّواصُلَ الجيد مع القبائلِ كافَّةً، ما عدا القليل منها والتي لا ترفعُ للولوفيةِ رأسًا، ولا ترضَى بَدَلًا عن لُغتِها الأم.[٥٤]

٢/ لغة مكتوبة بأحرفٍ هِجَائيةٍ وُلُوفِيَّةٍ عالميةٍ:

وقد تمَّ ذلك في ظلِّ السنواتِ الأخيرةِ الماضية بعدَ جُهودٍ مُضنيةٍ أُجريَتْ في هذا المِضْمارِ.

٣/ غنيَّة في مفرداتِها، وتراكيبها، وتحملُ دلالاتٍ ذات ظلالٍ غنيَّةٍ:

وسيظهَر ذلك عند التعرُّضِ للأمثالِ الولوفية الإيجابية، والسلبيَّةِ.

٤/ فيها الكثير من الكلمات العربية: فالولوفيون يقولون –على سبيلِ المثال–: سَلاَمَا لِكُم– السلام عليكم، مَا لِكُمْ سَلاَمْ– وعليكم السلام، أَلَمْدُلِلَايْ/ أو الهَمد لِلاَيْ–

---

[٥٤] مثل الفلان، والتكلور، والسونينكي ونحوها ... فهؤلاءِ من أكثرِ الناسِ اهتماماً بلغاتِهم، قد عضُّواْ عليها بالنَّواجذِ، وورِثواْ ذلكَ كابراً عنْ كابرٍ؛ ولكن فِي الآونةِ الأخيرةِ بدأ الحال يتغير شيئًا فشيئًا تجاه هذه القضية، وصار هناك تَسَاهُلٌ ملحوظٌ ما كان الآباء، ولا الأجدادُ يسمحون بهِ البتَّةَ، أعني رطانة القبائل المذكورة باللغةِ الولوفيةِ، وخاصَّةً في بيوتِهم !!!

الحمد لله، تباركَلاً- تبارك الله، بِسِمِ لأَيْ- بسم اللهِ (يقولون ذلك للضيفِ، أو للداخلِ عليهم: بمعنَى تفضَّلْ)، أو عند الشروعِ في شيءٍ ذي بالٍ، ما شَلاًّ/ ما شلاَّهْ- ما شاء اللَّهُ، ويخُصُّونَ كلمةَ: أَلَاَجِ – للحاجِّ أي: الذي حجَّ بيتَ اللهِ الحرامِ، وغيرها من الكلمات التي تُبيِّن أن هنالك كلمات عربية كثيرة في اللغةِ الولوفيةِ، وكل الذي حصل فيها هو ((التحريفُ))، وهو أمرٌ شائعٌ، ومعروف.[٥٥]

٥/ فيها الكثير من الكلمات، والجُمل الفرنسيةِ، والغربيَّةِ: ويقصد الباحث بالولوفية تلك التي يتحدثُّها الناسُ في العاصمةِ السنغاليةِ "داكار"، وما جاوَرَها، حيث يُدْخِلُ الناطقون بالولوفية عددا هائِلاً من كلماتِ اللغةِ الفرنسية "الرَّسمية"، ويكثر ذلك وسط الشبابِ –من النَّوْعَيْنِ–، والأطفال، ولدى الشريحة المثقفةِ ثقافةً فرنسية، وغربيةً، -غالباً-؛ حتَّى غَدَتِ اللُّغةُ "الولوفية المعاصرة" أمشاجاً مِن لُغاتٍ شتَّى، وأضحى جمعٌ كبيرٌ من الشبابِ غير قادِرين على فهمِ اللغةِ الولوفيةِ القُحَّةِ، والتواصل بها!

وأمثلة الكلمات الفرنسية التي درجوا على تضمينها حديثَهم -بصورةٍ اعتِيادِيَّةٍ- لا يحصِرُها قلمُ الحَاصِرِ، ولا لِسَانُ العَادِّ، وهذا جانبٌ يسيرٌ منها:

Bon, Oui, Non, Bonjour, Bonsoir, Bonne nuit, Encore, Pain. Buiscuit, demain, A ce soir, Coca Cola, Fanta, Pepsi, Boisson, chef, Directeur, Boutique, Papa, Maman, Pére. Mère, Pardon, Aller, Retour, Fonctionnaire, Professeur, Madame …

وهذه الكلمات وغيرها يستوي فيها الجاهل والمتخصص، أما الكلمات، والجمل الفرنسية الصعبة، فيستخدمها الطبقة المثقفة –غالباً–، ومن ذلك: الأمثال، والحِكَم.

ومن تلك الأمثال الفرنسية التي دَرَجَ الولوفيون إدراجَها عندما يتحدثون بالولوفية:

-(Tout debut est dufficil): كلُّ بدايةٍ صعبٌ -(De Pas à pas l'oiseau fait son nid): يصنع العصفور عشَّه خطوةً، إثْرَ خُطوةٍ، أو شيئا فشيئا.

---

[٥٥] ويمكن إجراء مصنف مستقل عن موضوعِ دراسة مقارنة بين اللغة العربية والولوفية، مع الوضعِ في الاعتبار أنه تناول جوانبَ مهمةً عن ذلك أساتذةٌ أجلاءُ، من أمثالِ الدكتور صامب، وأ. منصور صله السِّنِغالِيَّيْنِ ... –يحفظهما الله-، كما سيأتي في موضعِهِ من هذا البحث.

٦/ فيها الكثير من الكلمات، والجمل الإنجليزيةِ:

وأمثلة الكلمات الإنجليزية كثيرة، منها:

Boy, girl friend, Farther, Mother, Brother, Oncle, Football, ok, Fine, line, Go, Enjoy, Sometimes, Everyday, Everybody, Town, Everything, Sir, No, Very, Nice, Verygood, Happy birthdy to you, Think you, See you tommorow, Dog, Joice, Don't cry, Computer, I am a muslim …

والكلام في هذه النقطة مثل السابق؛ فأغنى عن الإطالةِ فيها.

٧/ تضم كلمات كثيرة من لغاتِ ولهجاتِ القبائلِ السنغالية الأخرى؛ ولعلَّ الاندماج الشديد بينها؛ من أهم العواملِ التي أفضَت إلى ((التَّداخلِ اللغويِّ المذكورِ)).

٦/ تلجأُ إلى الكناية، بدلاً من التصريحِ، والعكس:

أ/ فأمَّا الكناية: فمِثْلَ قولِهم: (Guinaw keur)، أي: وراء البيتِ، يقصدونَ بذلك مكانَ الغائطِ؛ تأدُّباً. وقولِهم (Toor ndokh)، أي: إراقة الماءِ، يقصدون التَّبوُّلَ؛ تأدباً. وقولهم: (Kharafal)، أي: الخِتان، أو (Doogoona négoo gor): بمعنى دخلَ بيتَ الرِّجالِ: أي خُتِنَ، أو طُهِّرَ. وهذا التعبير أستَرُ من الكلمةِ الكاشفةِ: (Diongoona)، -مثلاً-.

ويمكن إجراء بحوث علمية مستقلة في هذا البابِ.**ب/ وأمَّا التَّصريحُ:** فقد يحصل استخدامُهُ بدلاً من الكنايةِ في أحيانٍ أخرى كثيرةٍ. ولا يمكن القول بأنَّ الولوفية أكثر حشمة من اللغات السنغالية الأخرى، بل تفوقُها في ذلك غيرُها مثل: الفلانية، وغيرها … كما أن هناك لغات أخرى لا تستحِي من ذكرِ العوراتِ، والأمور التي تُستَهجَن ذكرُها.وقد تعرَّضَت بعضُ الدراساتِ[٥٦] لأصواتِ اللُّغةِ الولوفيةِ، ووظائفها، وقواعد توزيعها في الكلمة مقارنة بالعربية فيما يُعرَف بـ (التقابل الصوتي)، كما تناول بالدراسةِ تراكيب اللغة مع اختلافاتها بالعربية –أيضا–، وغير ذلك، مُستخدما اللغة الإنجليزية في توضيح كيفية قراءة الصوت إذا لزم الأمر.

---

١ - منصور صله، التقبل الصوتي بين اللغتين الولوفية والعربية، موقع مجالس الفصحى لعلوم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٨م، بتصرف.

الأصوات الولوفية:

الأحرف الولوفية تسهل قراءتها بحيث يمثل كل حرف صوتا واحدا، وليس هناك أحرفا تكتب ولا تقرأ، وكل صوت مرتبط ارتباطا وثيقا برمزها أي الحرف المحدد لها، ولا تتغير قراءتها في اختلاف موقعها في الكلمات، كما نجد ذلك في الإنجليزية، أو الفرنسية وغيرها من اللغات اللاتينية والجرمانية.

وبوجود الأصوات الصائتة الطويلة والقصيرة والصوائت المماثلة؛ ظهرت هناك غزارة في رسم الأصوات الصائتة: فالصوتُ الواحدُ في الرسمِ يمثل قصره، ومضاعفته في الرسم، مع زيادة بعض الحركات البسيطة على الحرف أحيانا للدلالة على إمالتها، وطول الصوت أو قصره له أهمية بالغة، بحيث لو أطيل الصوت -بدل قصره في كلمة من الكلمات-؛ يؤدي ذلك إلى تغيُّرِ المعنَى جذريا، كما أن إمالة الصوت أيضا تؤدي إلى تغيير معناها، وسيتضح ذلك في الدراسات القادمة.

وفي الأسطر التالية سنتعرف على الأصوات الولوفية وطريقة رسمها وقراءتها مستخدما اللغة الإنجليزية؛ لتوضيح الصوت بجدة، كما سنحدد الأصوات التي لها مثيل في العربية، بوضع رمز الصوت المقابل له في العربية، أما الأصوات التي لا مثيل لها في العربية سنكتفي بتوضيح كيفية قراءتها بإيراد الصوت المقابل لها بالإنجليزية في كلمة، ثم وضع خط تحت الصوت المراد.

الأصوات الصائتة:

Vowels, and the Nearest English Equivalent Wolof Examples

absorb bant ـَـ a

far laaj, naaj ـَـا aa

e get dem,

ee where seet, weer

éé sane wéér, réér

ë bird kër,

in, pit timis ـِـ i

meet siis, lii ـِـي ii

o moment xob
ó no dór
oo door soob
óó phone góór, fóót
cook nuyu ـــُ u
moon tuuru, yuuxu و ـــُ uu

الأصوات الصامتة:

CONSONANTS

في هذه الأصوات سأكتفي برسم الحرف بالولوفية ومقابله بالعربية، والإتيان بكلمة إنجليزية، مع وضع خط تحت الصوت المراد، وأورد –أيضاً- الأصواتَ التي لا مقابل لها في العربية.

رسم الحرف بالولوفية ومقابله بالعربية:

A أ
B ب
C ch in church
D د
F ف
G good
J ج
K ك
L ل
M م
N ن
Ñ onion
P park
Q ق

R	ر
S	س
T	ت
W	و
X	خ
Y	ي

PRENASALIZED CONSONANTS

Mb
Nd
Ng
Nj
Mp
Ŋ

أما هذه الأصوات، فمن النادر أن تجدها في لغات أخرى غير الأفريقية، و تكاد تكون فريدة فيها، وكما أنها ترسم مزدوجا يقرأ كصوت واحد بين الصوتين ..

الأصوات العربية التي لا توجد في الولوفية فهي: (ث ، ح ، ذ ، ز ، ش ، ص ، ض، ط ظ ،ع ،غ ، هـ).

وعند قراءة الولوفي لهذه الأصوات؛ يواجه مشكلات بشكل مضطرد، فهناك بعض الأصوات لم تكن في اللغة السائدة، -والتي نستطيع أن نسميها باللغة الفصحى-، ولكنها موجودة في لهجاتها حسب المناطق، وهذا النوع من الصوت قد لا يواجه المدرس عند تدريسه في المناطق الولوفية، وسيتبين ذلك في الأسطر القادمة عندما نقف لكل صوت.

ويستبدل الولوفيون الصوت بأقربِ صوتٍ له في "السمع"، وليس بالضرورة الأقرب له من حيث "المخرج"، فمثلا الأحرف التالية: (ث ، ذ ، ز ، ش ، ص ، ظ) يقرؤونها "سِيناً" على الرغم منْ أن بعضَها ليست بتلك القرابة مع "السين" من حيث المخرج، ولو طلبت

من أحدهم قراءة الكلمات التالية لقرأها كالتالي:

ثمرة- سمرة

ذكر- سكر

زلزال- سلسال

صالح- سالح

ظهر-سهر

ولكن حين ندرس هذه الأصوات نجد بأن بعضها أسهل من الأخرى، فالزاي مثلا يستطيع أن يجيده الولوفي مع قليل من الجهد، ولكن إجادة هذا الصوت ستحجب الطالب تماما من إتقان صوت الذال، ولا ينفك من ذلك إلا بجهود مضاعفة، كما أنه أيضا في أغلب الأحيان يستبدل الظاء زايا بعد أن يجتهد كل الإجتهاد، ويقول في كلمة "الظلام ــ الزلام". ونفس الحكم ينطبق على صوت الثاء فيكاد يكون شبه مستحيل أن يجيدَها؛ لشبهها من صوت "السينِ" في سمعهم، وبناء على ذلك؛ لا يفرق بين كلمتي "الثمر، و السمر" في القراءة أو السماع؛ ولكن ليس على نفس الصعوبة مع صوت "الصاد"؛ رغم قرابتها من السين مَخرجًا، وكذلك الأمرُ في "الشين"، الذي سيقرأه "سينا" –أيضا-، ولا يفرق بين "الشكر، والسكر".

أما "الضَّادِ"، فرُبَّما أكثر الأصوات صُعوبَةً وأغربها من حيث الاستخدام في الولوفية؛ حيثُ نجد الكبار -الذين درسوا في الكتاتيب قديما، أو الذين تخرجوا منها حديثا- يقرَؤُونها "لاَمًا"؛ إذا لم تكن في بداية الكلمة، فمثلا في نهايةِ سورة الفاتحة كثيرا ما تسمع الأئمة في المساجدِ يقرؤونها "ولا اللَّالين" !!! بدلًا من "ولا الضَّالِّين"، أما إذا كان في بداية الكلمة؛ فيقرؤونها "دالاً"، مثلَ كلمة "ضلالة، دلالة".[٥٧]

---

[٥٧] ولا يقتصر ظاهرة قلب الضاد لاما في السنغال؛ بل يطال ذلك بعض دول الجوار كما هو الحال في غينيا (كوناكري)؛ حيث يوجد العديد من الناس الذين تأثروا بها، -وبخاصة كبار السن-، وكان لهم دورُهم البارزُ في نقلِها إلى الأجيالِ الصَّاعدةِ؛ ولكنَّ مُعظم الشبابِ قد سَلِمَ منها، ومن أهمّ من يتمتَّعونَ بالنُّطقِ السليمِ للأصواتِ العربيَّةِ في غينيا قبيلةُ الفُلَّانِ، ويشبهون العربَ شكلاً، ولونًا، وعادةً، وثقافةً إلى حدٍّ كبيرٍ؛ وفي هذا

والبحثُ عن ظاهرَةِ قلبِ "الضادِ" "لامًا" لا تتضح ملابساتها، وربما يرجع إلى الخطأ المتوارث؛ حيث أن الإسلام لما دخل في السنغال كان التعليم الديني موجهًا إلى الكبارِ الذين دخلوا فيه، ولتحجر أعضاء النطق عندهم؛ عجزوا عن إعطاء الأصوات حقَّها من الصفات، ودرَّسُوا أبناءَهم على كيفيتهم؛ فبقيتِ الظاهرةُ هكذا حتَّى اليوم! أما المتخرجون من المعاهد الدينية الحديثة -والتي يُعتَبَرُ أكثر مُعلِّميها من خريجي الجامعات في الدول العربية-، يقلبون "الضاد" "دالاً" في كثير من الأحايين، ولا يتخلص عن ذلك إلا بجهد كبير. أما صوت الطاء فيستبدل بالتاء، ولا يواجه المتعلم كثيرا من عناء لإجادتها إذا درب بصفة جيدة.[٥٨]

أما صوتُ العينِ فيستبدل بالهمزة؛ -إذا كان في بداية الكلمة أو في نهايتها- ففي عبد الله سيقول الولوفي أبد الله، وفي "سمع": سمىء، أما إذا كان في وسط الكلمة فقد يقرأها "همزةً" وفي الغالب إلى صوت صائت أو يحذفها نهائيا، فمثلا لفظ "معمر، فسيقرؤه المجتهد منهم بعد جهد جهيد بـ"مأمر"، والأغلب "مومر" أو "ممر"؛ ويرجع ذلك إلى أن الهمزة في الولوفية تأتي في البداية -فقط-، ولكن إتيانها في آخر الكلمة أخف عندهم من نطقهِ في الوسط حسب ملاحظةِ الباحثِ. أما صوت "الغين"، فينطبقُ عليها ما ينطبق في "العين" إلاَّ أنَّ تدريسَها أسهلُ بكثيرٍ مِن تدريسِ صوتِ العينِ.

أما "الهاء"، فلا نجد مشكلة في تعليمها، وربما يرجع ذلك في وجودِهِ في اللهجات الولوفية -وبوجْهٍ خاصٍّ- في سكان مناطق الوُسطَى، فكثيرًا ما تجدهم يُبَدِّلُون الهمزة في اللغة السائدة بالهاء، فمثلا APPU: بمعنى زيادة ينطقونها HAPPU ولصغر مساحة الدولة والهجرة نحو المدن الكبرى سبب في التقارب بين اللهجات.

تأييد لكلام عبد الله بن فوديو المتقدم: ((وعُقبةُ جَدُّ الفُلَّانِ من عرب))؛ وإن وُجد من أرجعهم إلى مجموعاتٍ عرقيَّةٍ أُخرى فإن ما تقدم من إرجاعِ أصولِهم إلى العربِ قولٌ قويٌّ يؤيِّدُهُ الكثيرونَ، والله تعالى أعلمُ بالصَّوابِ.

٢ منصور صله، التقبل الصوتي بين اللغتين الولوفية والعربية (٢٠٠٨م)، مرجع سابق، ٢٠١٢/٤/١٠م، بتصرف.

حالات خاصة:

هناك بعض الأصوات العربية الموجودة في الولوفية، ولكن ليس في لغتها السائدة أي الفصحى، وهي: (ح، هـ) فأهل الشمال والمناطق الشاطئية من جنس "لِيبُو" LEBU يستبدلون "الهمزة" "حاءً"، وكذلك أهل المناطق الجنوبية –أيضا–، أما المناطق الوسطى، فيستبدلون "الهمزة" "هاءً". وهذه الظاهرة تتضح في لغة الكبار أكثر، ومن أهم الحالات الخاصة، حالتي "الهمزة و القاف"، فالهمزة لا تظهر في الولوفية إلا في أول الكلمة؛ ولذلك يضطرُّ الولوفيُّ إلَى حذفِها، أو تحويلها إلى صوت صائت –كما تقدم–.

أما "القاف" فهو عكسُ "الهمزةِ"، لا يأتي في البداية؛ وإنَّما في الوسط، أو في النهاية. ويضطرُّ الولوفيُّ إلى قلب "القاف" "خاءً"؛ إذا وقع في بداية الكلمة، فيقرأ كلمة "القرآن" "الخران"، ولكن لو طُلِب منه قراءة كلمة "بقرة" أو "مرق"؛ لقرأهما بشكل صحيح. ثم تكلم عن ظاهرةِ "التجمع العنقودي"، ووصفها بأنها ليست ظاهرة تلفت الانتباه في اللغة الولوفية، وأنَّ الكلماتِ التي تظهرُ فيها تكادُ تكونُ محدودةً، وذلك مثل الكلمات التالية: nawle : ندّ، welbit انقلب، أو استدار، jallarbi قلب، ولكن هناك شيء يستحق التوقف وهو أن التجمع لا يأتي إلا في وسط الكلمة؛ ولذلك في الألفاظ الفرنسية التي تبدأ بالتجمع العنقودي مثل: travaux sport stade يضطر الولوفي إلى زيادة صوت صائت في بدايتها مثل: esport estade أو فصل التجمع مثل:taravaux . أما لو جاء في الوسط فلا يواجه مشكلة في ذلك مثل كلمة: reflexion.

التقابل النحوي بين العربية والولوفية الأزمنة:

كجميع اللغات نعبر عن الحوادث في الماضي والحاضر والمستقبل، لكن تعبير الأزمنة تختلف نوعا ما عن اللغة العربية، إذا كان العربية تتمتع بزمن واحد للتعبير عن الماضي، ففي الولوفية أزمنة للتعبير عن الحوادث الماضية، وذلك بزيادة لواحق وسوابق أو إقحام

زيادة داخل الفعل، فمثلا فعل demna في الماضي بزيادة na في الأخير، تماثل "ذهب" في العربية، وقد يعني أنه ذهب ولم يرجع بعد، أو أنه ذهب ورجع منذ فترة، أما إذا قلنا demonnaبزيادة on قبل الضمير تدل على أقدمية الزمن من الفعل الأول، أي أن هذا الفعل حدث في فترة سابقة دام مدة من الزمن، أما لو قال mosonadem :بزيادة السابق mosona على الفعل فهذه الزمن يعبر عن الماضي القديم، أي أن الفعل حدث منذ زمن بعيد قد يرجع إلى أشهر عديدة أو سنوات مضت .

أما الأزمنة التي تعبر عن المضارع في العربية فهي لا تختلف كثيرا عن الولوفية، فقولنا mangidemبزيادة السابق mangi على الفعل dem يساوي قولك "أَذْهَبُ" بالعربية بزيادة السابق (أ) على الفعل "ذهب"، و قولك dinadem بزيادة السابق dina على الفعل المجرد يساوي "سأذهب في العربية"، أي بزيادة "سأ" أو "سوف أ" على الفعل المجرد – أيضا–، ويوجد في الولوفية زمن يعبر عن مستقبل أبعد لا لا يعرف له مثيلاً في العربية، وهو dinamusadem ، كما يمكننا ملاحظة السابق الطويل على الفعل، ويعبر هذا المصطلح على مستقبل غير محدد.[٥٩]

الرتبة:

اللغة الولوفية تبدأ بالفاعل عند تكوين الجملة، ونستطيع أن نقول بأن هذه هي القاعدة الأساسية، وخاصة مع الأفعال اللازمة فنقول modu toogna : أي محمد جلس، فلا يقبل على الإطلاق toogna modu بتقديم الفعل على الفاعل على الغرار العربي جلس محمد، أما إذا كان في الأفعال المتعدية فلا بأس في التقديم والتأخير وخاصة في الأغراض البلاغية فقولنا modu demna ca jaba : محمد ذهب إلى السوق، وإذا أردنا أن نؤكد الذهاب نقول modu demna ca jaba mom ذهب إلى السوق محمد؛ ولكن نلاحظ ظهور الضمير قبل الاسم كأننا نقول: ذهب إلى السوق هو محمد. أما إذا أردنا التركيز على المكان الذي ذهب إليه محمد نقول: jaba la modu dem : السوق ذهب محمد ، هنا نقدم كلمة السوق، وفي الجملة الأخيرة نلاحظ زوال الضمير

---

[٥٩] منصور صله، مرجع سابق، ٢٠١٢/٤/١٠م، بتصرف.

المتصل na في آخر الفعل dem وظهور ضمير آخر"la " منفصلا يرجع إلى كلمة jaba أي: السوق.

ومع هذه المرونة، فلا نستطيع أن نجزم بوجود علامات الإعراب في نهاية الكلمات مثل العربية؛ إلا أن الضمائر تُؤدِّي دورًا مهما في تحديد وظيفة الكلمة داخل الجملة بصفة دقيقة. .

التذكير والتأنيث:

اللغة الولوفية لا تفرق بين التذكير والتأنيث عند الخطاب، لا في الصفات ولا في الضمائر، إلا أن هناك بعض الصفات أو الأفعال اختص بها جنس ما بين الجنسين، وتكثر في الأسماء. ففي الصفات –مثلا– كلمة: "jongama" تعني جميلة، و"diryankee" وتعني جسيمة، هذه الألفاظ لا تطلق على الرجل –لا لأن هناك علامة تدل على ذلك–؛ ولكن لاختصاصها بالنساء، بخلاف العربية التي تستخدم علامات التأنيث مثل "التاء" أو "الألف المقصورة".

أما في الأفعال فهي مقسمة إلى أفعال مشتركة وهي الأكثر، وأفعال خاصة بالرجل وهي ما تتعلق بالأفعالِ التي لا يقوم بها إلا الرجل، وأفعال خاصة بالمرأة، وهي التي لا تقوم بها إلا المرأة كالحمل، والرضاعة. ونفس الحكم ينطبق على الأسماء فليس هناك علامةٌ تفرق بين الاسم المؤنث، والمذكر؛ بل هناك أسماء خاصة بالرجل، وبالمرأة، وغيرها تحتاج إلى تمييز؛ لتحديد الخصوصية، فمثل كلمة "waxambanee" تخصُّ الرجل، وهي تحدد مرحلة من مراحل عمر الرجل و يعني شاب، والكلمة المقابلة لها في التأنيث هي"njagamaar" أي شابة، ولكن كلمة gonee بمعنى "ولد"؛ لتحديد ذكورتها أو أنوثتها لا بد من إتيان تمييز لها، فنقول:gonee gu goor أي: ولد مذكر، و gonee gu jigeen: ولد مؤنث؛ ولهذه الأسباب قد يواجه الولوفي مشكلات؛ عندما يدرس العربية فيتداخل لغته الأم مع لغة الهدف "اللغة العربية"، وبوجهٍ خاصٍّ في ((التأنيث والتذكير))، ويظهَرُ ذلك –دائماً–؛ عند ما نتحدث بيننا بالعربية؛ فتَجدُ أننا –جميعا– نذكر المؤنث في كثير من الحالات قبل أن نستدرك الخطأ، والعكس صحيح؛ إلا من رحم الله

من الولوفيين.[٦٠] وكلامُ الرجل صحيحٌ؛ ومَنْشَأُ الإشكال عندَ الوُلُوفِيِّ الذي يريد تعلم اللغة العربية هو أنه لم يعتَد على التفريق الدقيق بين ((المذَكَّر والمؤنث)) في لغتِهِ الأم كما هو موجودٌ في اللغة العربية. ولا يشفعُ له في ذلك حتَّى تضلعه لقواعد النحوِ، والصرفِ، وحفظُهُ لألفيَّةِ ابنِ مالكٍ، وشُروحِهِ؛ لعدمِ إتْبَاعِ النظريةِ بالتطبيقِ العمليِّ في كثيرٍ من الأحيانِ؛ ولا أعمِّمُ؛ لأنَّه قد نجَا من ذلك أساتذةٌ أفاضلُ لا يُشَقُّ لهم غبارٌ في العربيةِ وعلومِها. وبعبارةٍ أخرى: التداخل اللغوي ناتجٌ لدى الوُلُوفِيِّ عن البونِ الشاسعِ بين اللغتين: ((العربية، والولوفية)) في هذه القضية، وعلى ذلك فَقِسْ ...

التعريف، والتنكير:

تأتي أدوات التعريف في اللغة الولوفية في آخر الكلمة خلافاً عند العربية، فمثلا كلمة "goor"، بمعنى "رجل" نزيد عليها اللاحق الآتي"gi"؛ فيصبح "goorgi" "الرجل"، والمعضلة في أدوات التعريف الولوفية هي كثرتها، وتقريبا لكل لفظ تعريفه الخاص به، كأن الصوت الأول في الكلمة يملي عليك الأداة في بعض الأحايين، وأحيانا تختلف تماما، ونستطيع أن نلاحظ ذلك في الأمثلة التالية:

Jigeenji , goneegi , banŋbi , garabgi , soxnasi , waarwi , في هذه الكلمات نلاحظ تشابه الحرف الأول و الحرف قبل I في آخر التعريف، أي الصوت الواقع قبل صوت الأخير يتغير حسب تغير حرف الأول في الكلمة.
Toolbi, daqaargi , xarmi , ceebbi , faswi , ngoorsi, doomji
أما في هذه المجموعة المشترك الوحيد بين أداة التعريف هو الصوت الأخير، ولا علاقة لصوت ما قبل الأخير بالصوت الأول.

أسماء الإشارة:

إذا أتقنت استخدام أدوات التعريف فلا شك أنك لا تجد عناء في إجادة أسماء الإشارة، فكل ما تحتاجه هو نقل اللاحق في الاسم المعرف إلى سابق وتزيد في طول صوت

---

[٦٠] منصور صله، التقبل الصوتي بين اللغتين الولوفية والعربية (٢٠٠٨م)، مرجع سابق، ٢٠١٢/٤/١٠م، بتصرف.

الصائت، فتقول gi – gii، وفي . sii - si إلا أن الولوفية تستخدم إشارة للقريب، و أخرى للبعيد، ثم الأبعد كما في الجدول التالي:

الإشارة للقريب	الإشارة للبعيد	الإشارة للأبعد
Gelee	gee	gii
Belee	bee	bii
selee	see	sii
melee	mee	mii

الجمع:

فيما يتعلق بالجمع يمكننا أن نقول بأنه أسهل أبواب النحو في الولوفية، وما عليك إلا زيادة Ay، فتقول: ay mag، فتعني كبار. الجمع معرفا أي الكبار، أما إذا كان الجمع نكرة فنزيد من الكلمة ňi أو yi؛ ولهذا السبب يصعب من الولوفي هضم قاعدة الجمع في العربية بأنواعها الثلاثة. [٦١]

وقد أثبتُّ ما تقدَّمَ؛ لأهمِّيتِهِ البالغةِ؛ ولأنَّه يُعْطِي مُقارَنَةً جَيِّدةً بينَ اللغتينِ: الولوفيةِ، والعربيَّةِ؛ الأمرُ الذي يُفيدُ القارئَ الكريمَ في فَهمِ الأمثالِ الولوفيةِ.

---

١ - موقع مجالس الفصحى لعلوم اللغة العربية وآدابها، مرجع سابق، ٢٠١٢/٤/١٠م.

المبحث الثالث

الولوف وعلاقتهم باللغة العربية

(ظلّ الإسلام فيئًا تستظل به اللغة العربية حيث ما حل وأينما ارتحل في ربوع السنغال -البلد المسلم غير المستعرب- فقد واكبت حركة الإستعراب تاريخ انتشار الدين الإسلام، فكلما تمكن الإسلام؛ ذاعت لغة يعرب، واكتسحت مساحات جديدة، فلم يحل بعد ديارها الأصلية دون تعاظم شأنها في السنغال البعيد، حيث لم تكن رمال الصحراء عائقةً بازدهارها واطراد التبادل الثقافي بين شطأنها عبر القرون والأجيار، وكانت هذه الحركة تلقى التأييد والدّعم من مسلمي ضفاف المحيط الرملي: ملوك كبار من امبراطوريات القرون الوسطى تبادل السفارات مع جانبي الصحراء، مثلما استقدم ملوك من مملكة مالي فنّيين وعلماء للاستفادة من التقنية والفن الإسلاميين.

وتأثر الشعب السنغالي بمختلف عشائره أيما تأثر بللغة العربية، سواءً في حياته الروحية أو في مظاهر حركاته الإجتماعية، ونشاطاته الاقتصادية وأنظمته السياسية؛ وكان للاحتكاك بين السنغاليين والتجار والسياح العرب والبربر دورٌ وفضل كبيرٌ؛ ومن أجل ذلك تسرّبت كلمات وعباراتٌ كثيرةٌ من العربيةِ إلى اللغاتِ السنغالية.

وليس ببعيدٍ أن يكون انتشار لغة العربية في منطقة غربي أفريقيا متزامنًا مع ظهور طلائع أصحاب عبد الله بن ياسين الذين أقاموا في إحدى جزر السنغال في القرن الحادي عشر الميلادي؛ حيث انطلقوا لإخضاع قبائل بربرية بصحراء الكبرى، وسيطرة على مملكة غانا الواقعة مباشرةً على المواجهة الجنوبية من المحيط الرملي، وذلك بقيادة أبي بكرٍ ابن عمر، وابن عمه- يوسف بن تاشفين. منذ ذلك العهد البعيد ما فتئ التعليم العربي الإسلامي مطردًا، ولم يتقهقر قيد أنملة يومًا من الأيام حتى أصبحت لغة العربية لغة الثقافة، والإدراة، والتجارة، والمرسالات ووسيلة للاتصالات الدولية في السنغال، ودامت هيمنتها واحتواؤها للحياة العامة إلى أن تمت السيطرة للقوى المعادية للإسلام ابتداء من النصف الأخيرِ من القرن التاسع عشر.

على أن تطور التعليم الإسلامي العربي لم يسلك طريقا ذا اتجاهٍ واحدٍ؛ وإنما كان أخذا وعطاءً، فكان المسلمون يرسلون أولادهم إلى موريتانيا للدراسة، ولما كثر المتخرجون في مجالس تلك البلاد؛ أسسوا بدورهم المدارس العربية التي أصبحت تستقبل طلبة العلم.ومن مراكز العلم في السنغال مدن: ((فوتا))، وقرية ((بير))؛ فضلاً عن جامعة ((تومبكت)) في مالي التي كان (أحمدو بابا) أحد علمائها، وممن اضطلعوا بمهام التدريس بجامع الكتبية بمدينة مراكش بالمغرب، وكان يحضر دروسه جمع غفيرٌ من طلبة العلم المغاربة).[٦٢]

ثم ذكر "سيلا" العواملَ التي أسهمت في انتشارِ العربية في السنغال، وشؤوناً أخرى ذات صلة، فقال: (ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في السنغال: كونها تقوم بعددة وظائف في آنٍ واحدٍ، فهي صالحة لمجالات الحياة المعاصرةِ من إدارةٍ، وتربيةٍ وتعليمٍ، وسياسيةٍ، واقتصادٍ، وفنونٍ، شأن اللغات الأوروبية الحديثة، فاللغة العربية- علاوةً على وظائفها الدنيوية- لغةَ دين سماويٍ، يتمسك بها عددٌ كبيرٌ من المسلمين، يقدسونها؛ لنزول القرءن الكريم بها؛ يتعلم كل مسلم على الأقل بعض العبارات العربية: كالتحية، والأدعية، وصيغة الشهادةِ، والكلمات التي تصاحب شعائر الصلاة، وغيرها ... ويحفظ بعضَ آياتِ الذكر الحكيم؛ هذا عدا ضرورة معرفة اللغة العربية لأي دارسٍ جادٍّ للإسلامِ.ونجم عن هذا المركز المرموق للعربية؛ أن الشعوب التي اعتنقت الإسلام لم تكن تنظر إليها كلغة أجنبية، ولا عجب حينئذ أن نرى هذه الشعوب –عبر الأجيال- تساهم في نشرها، وتعملُ على إغنائِها، وتتخذها- خلال فترات من تاريخها- أداةً للتعبيرِ عن ثقافتها الوطنية، وشغلت العربية هذه الوظيفة في السنغال قبل أن تتغلبَ عليها اللغةُ الفرنسيةُ إثرَ سقوط البلاد تحت نيِّرِ الاستعمار،[٦٣] وظلت إلى ذلك الحين اللغة الوحيدة التي يستطيع الإنسان السنغالي بواسطتها أن يتصل مع الخارج.

---

[٦٢] عبد القادر سيلا، مرجع سابق، ص ص: ١٤٤-١٤٥.

[٦٣] الاستعمار كلمة تدل على الإيجابية؛ لذا ينبغي اسبدالُها بالاحتلال، أو نحوها من الكلماتِ النظيرة التي تحمل في طيَّاتِها المضامينَ السلبيةَ المعروفة.

وكان المستعربون قد احتلّوا في مختلف العصور مناصب رؤساء الدواوين في بلاطات ملوك السنغال الأرواحيين منهم، أو المسلمين، وكان تحرير المراسلات، والأوامر، والقرارتِ باللغةِ العربيةِ، أو باللغاتِ الأهليةِ المكتوبة بالحروف العربية.

لقد استغرق وجود اللغة العربية حقبةً طويلة من الزمن، امتدت من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة؛ لدرجة أن أصبحت الثقافة الإسلامية العربية جُزءًا لايتجزأ من التكوين العقليِّ للإنسانِ السنغاليِّ، وثقافته، وسواءً تعلق الأمر قبل اتصاله بالغرب أو خلال فترة الاستعمار، أو بعدها، وانطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية؛ رأت الجهات السنغالية المسؤولة ضرورة دراسة ثقافة وتاريخ البلاد بالاستعانة بالمخطوطاتِ العربيةِ التي دونها العرب والأفريقيون بالعربية، أو باللغات المحلية بواسطة الحرف العربي.

لا تزال ملامح اللغة العربية جليةً في عددٍ من مجالات حياة العام: فمنذ عهد قريب كانت الإرشادات تكتب- بمختلف أنواعها بالعربية، الصحية، وتعليمات العامة في الأماكن العمومية وكثيرًا ما كانت تخَطّ تلك التوجيهات بالحرف العربي مع استهدام اللغة المحلي، وبلغ من ذيوع الحرف العربي هذا إلى حدّ أن جهات تناصب الإسلام العداء كانت تستخدمه لجاذبيته كوسيلة للاتصال بالجماهير، وذلك بهدف التشويش والخداع؛ لأن العامة تعتبر إسلامًا كل ما يكتب بالحروف العربية، واستغلت الجماعة القاديانية هذا الوضع الممتاز لهذه الحروف ووقعها في نفوس الأفارقة المسلمين؛ فنشرت كتبها بها كما فعلت الجماعات التنصيرية التي ترجمت الأناجيل إلى عددة لغات أفريقية مع استعمال الحرف العربي فليس من المبالغة – والحالة هذه – أن نقول بأن الحرف العربي لم ينهزم أمام الحرف اللاتيني؛ بل قاومه بادئ الأمر ثم عايشه، وظل يؤدي وظيفته كاملة ملبيًا الحاجات الثقافية، والتطلعات الدينية، والدنيوية للمسلمين ...). [٦٤]

(وبخصوص السنغال، جاءت اللغة العربية من موريتانيا، حيث كان يرسل المسلمون أبنائهم لحفظ القرآن الكريم، والتبحُّرِ في لغة الضاد.

---

[٦٤] عبد القادر سيلا، مرجع سابق، ص ص: ١٤٥ -١٤٧.

ومرّت حركة الاستعراب بثلاث مراحل أساسية:

أ/ مرحلة ما قبل الاستعمار الفرنسي.

ب/ مرحلة فترة الإستعمار.

ج/ مرحلة ما بعد الإستقلال السياسي.

ثم فصّل في ذلك تفصيلاً طويلاً إلى أن قال: ويعدّ الحاج محمود به من الطلائع الأولى التي نجحت في اختراق الرضاء الحديدي لاستعماري، فحج بيت الله الحرام ثم انتصب إلى مدرسة الفلاح بمكة المكرمة، ولدى عودته ابتنى مدارس عربية في عددٍ من مدن السنغال، وموريتانيا،ومالي، وحين ما اجتمع عليه عددٌ كبيرٌ من الطلبة أرسل بعدهم إلى القاهرة بهدف مواصلة الدراسة هناك؛ وما إن علمت الإدارة الإستعمارية بذلك حتى وجهت أمراً بإعادة الطلاب فوراً، ولم تكتف بالتهديد؛ بل حرّشت أولياء التلاميذ على الحاج محمود، وزعمت أن أفلاذ أكبادهم معرضة للبيع في أسواق النخاسة في الشرق الإسلامي؛ مما اطر الحاج محمود إلى إعادة المبتعاثين وسحبهم من الأزهر الشريف.

ثم جاءت بعد الحاج محمود أفواجٌ تمكنت من الإفلات من قبضة إدارة الاحتلال التي أظهرت نوعًا من التراخي، وخففت من حدة خنقها على الحركة الاستعرابية وذلك بعد ما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ... [٦٥]

وفيما يتعلق بعلاقة جماعة "الولوف" باللغة العربية، فهي علاقة قديمة وحديثة وذلك منذ فترة ما قبل الاحتلال، حيث كانت مراسلاتُ الملوكِ تُكتب بها، -مثل: "لتجور"، وغيره كما أن تجار العرب قاموا بدورٍ كبيرٍ في إرساء اللغة العربية في القارةِ الإفريقية السمراءِ. وقد كان الولوفيون -قديمًا وحديثًا- يكتبون رسائلهم الخاصة باللغة الولوفية عبر الأحرف العربية، ولا زال هذا الأمر موجودًا حتى الآن. وإن دلّ هذا على شيء؛ فإنما يدلّ على شدّة تعلّقِ الولوفيين -بوجهٍ خاصٍّ- والسنغاليون-بوجه عام- باللغة العربية، أضف إلى ذلك أن السنغال تحدّها شمالاً جمهورية موريتانيا العربية التي أسهمت -بدورها- بنشر العربية والإسلام في السنغال بصورةٍ واضحةٍ.

---

[٦٥] عبد القادر سيلا، مرجع سابق، ص ص: ١٤٩-١٥١.

نماذج من علماء وأدباء الولوف:

عُرِفَ من جماعةِ الولوف علماء وأدباء نبَغواْ في مجالاتِ العلمِ والمعرفةِ المختلفةِ - وهم خلقٌ كثيرٌ، لا يُحصَوْنَ-:

- ففي مدرسةِ "عينُ ماضِي" نجد: ممر صاصم جَخَتِ، والقاضي مَجَختِ كَلَ، وابنهِ عثمان جختِ، والشيخ الحاج هادي توري.

- وفي مدرسة "كولخ" نجد: الحاج محمد نياس، الحاج إبراهيم انياس، ورقية نياس.

- وفي مدرسةِ طوبَى" نجد: الشيخ أحمد مختار سك، والشيخ إبراهيم جوب المصري، والشيخ أحمد بمبه امباكي -وإن كانتْ أصولُ الأخيرِ ترجع إلى أصول تكلورية-.

-وغيرها من المدارس الأدبية العديدة.

ومن العقول الولوفية -أيضا-: شيخ أنت جوب، دافيد جوب، شيخ تيجان غي، وغيرهم كثير.

وسأكتفي في هذا المقام بذكر نموذجين اثنين؛ لِضِيقِ المقامِ، واحدٌ من القدماء، والآخرُ مِنَ المعاصرينَ.

١/ فمن القدماء:

القاضي مجخت كَلَ: (١٨٣٥- ١٩٠٢م):

أ- وُلِدَ ((مَكَلَ بن موسى جَخَتِ)) الذي اشتهر فيما بعد بالقاضي مجخت كلَ في قرية كَرْمَكَلَ بيَاكُلْ، وقد نزح أهله من انْجَامبُر، واستقرّوا بـ (بَاكِلْ) في القرية المذكورة، وشبّ وترعرع من والده موسى جميع ما تعلم، ويقال إن والده أول من أتى بعلم النحو إلى باكل اعتنق مكل جخت الطريقة التيجانية بواسطة شخصية غير مشهورة وذلك في سن متأخر؛ وذلك عقب مقتل أحمد الشيخ الشهير بالتجاني انتقل من قرية جدّه كرمكل وأسس قرية "عين ماضي" اتصل بلتجور الذي عيّنه قاضيًا فأظهر في هذا المنصب براعةً نادرةً. وقيل إن السبب ذلك هو أنه دعا الله في بعض حوائجه وأجيبت الدعوة؛ فأراد لتجور تقريبه إليه وجعله من خاصته فأولاه القضاء.

ومن أشهر أعماله في القضاء فتواه بوجوب الدفع الزكوات إلى لتجور؛ وذلك عقب عودة هذه الأخير من "سالُم" بعد وفات تفسير مابه جخُ وإعلانه نفسه أميرًا للمؤمنين في كجُورْ؛ فامتنع كبار العلماء، وعلى رأسهم العالم الشهير مَسِلَهْ مانِ عن دفع الزكوات إليه؛ فقاضاهم إلى القاضي مَكَلَ جَخَتِ، وكان قضاؤه:إنّي قرأتُ في الكتب أن الزكاة تدفع للإمام. ويشهرُ كذلك قضاؤه بين السلّهيين، والسُّركِيين في شأن اختلافهم في الأرض بعد رجوعهم من "سالمْ" قادمين من حملة التهجير التي شنّها "تفسير مَبَه" على شيوخ كجُور بحجة إخراجهم عن دار الكفر وتأديبهم على التخلف عن الجهاد معه، والتقاعس عن مجاهدة من يليهم من كفار كجور بينما هو يقوم بواجبه في "سالمْ".ومن أبرز الوقائع في حياة القاضي إباءهم دفع الزكاة لِـ ((دمبَ وارْ سَل))؛ فقد أرسل إليه ذات يوم جابيا لجمع الزكوات، فقال القاضي للجابي: قل لدِمْبَ وارْ لا أوتيه الزكاة، وإنِّي لساعٍ في منع النهب والسلب باسم الزكاة، و نظم في ذلك قصيدةً مشهورةً، وذهب بها إلى الحاكم الفرنسي في ((سانْ لُوي))؛ فمنع هذا النوع من السلب، وأكد في المنع. ومع اشتهار القاضي بالبراعة القضائية؛ فقد كان صوفيًا زاهدًا، ولم يقبل السكنى مع الملك طول حياته؛ بل كانت القضايا العامة ترسل إليه في مقره بِـ ((عَيْن ماضي)) ويدعى إلى العاصمة؛ للفصل في القضايا الخاصة ثم يعود. ومع سعة أفق القاضي العلمية في الفقه، والأدب، والتصوف، وعلوم الفقه؛ فلم يأخذ منه العلم إلا القليلون؛ وذلك لتشدده في إصلاح الطالب من الجهات ((العقلية))، و((النفسية))، و((الدينية))، وقل من بين الطلبة المتحملون لهذا المسلك المُثلَّثِ في التربيةِ والتعليمِ -الذي كان يخالف تمامًا ما شاع في مدارس ذلك العهد-؛ فقد كان المعلم لا يهتم إلا بإلقاء الدرس على الطالب ويهمل ما سوى ذلك! والاطلاع على القائمة المحتوية لأسماء تلاميذه كافٍ للتدليل على صحة هذا القيل؛ فهم قليلو العدد؛ ولكنهم جميعًا من الوجوه البارزة في مجال الأخلاق والعلم والزهد والتربية.[٦٦] ألا يكفيكَ أنَّهُ (الذي دَرَّبَ ((الشيخَ الخديمَ أحمدَ بَمبَ))[٦٧] على

[٦٦] عامر صامب، الأدب السنغالي العربي "الهدية السنغالية من المرجان في العقود الأدبية للعربان"، ص ص: ٤٨-٥٠، بتصرف.

[٦٧] شيخ الطريقة الموريدية، ورائدُها، ويلقَّبُ بِالشَّيْخِ الخديمِ، وخادمِ الرَّسولِ، وبروم طوبى: أي صاحب مدينة طوبى.

قرضِ الشِّعرِ-بإذن من والده الشيخ ((ممر أنت سل))-. وما زال القاضي يدربه على النظم، ويُقَوِّمُ شعرَهُ؛ إلى أن برع، واتقن؛ فزكاه. وما زالت العلاقات الشعرية تتمتن بين الخديم ومُدربه ((كَلَ)) ما بقيا.

ولقد نقلت عن ثقة روى عمن حضر المجلس أن القاضي أرسل إلى الخديم هذا البيت: حق البكاء على سادات أموات تبكي الأراضي عليهم كالسماوات

فجعله مطلعًا لقصيدته الموسومة بالكلمة الأولى من البيت، وهو من أروع ما قيل في الندب على السادات الصوفية. ولما أرسل الشيخ القصيدة إلى القاضي؛ استبشر، وقال: (الحمد لله الذي حبب إليه النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فإنه لا ينظم قصيدةً إلاّ ولِي منها أجر). وقد توفي القاضي عام (١٣١٩هـ) وهوسنة عودة الشيخ أحمد بمب من الغَابُونْ قبل ذلك بأشهر قليلة -برد الله عظام القاضي وأسكنه فسيح جنانة. ومن أبرز صفات القاضي الشخصية: الذكاء، والشجاعة الأدبية، والفصاحة ببلاغة، وحضور البديهة، وصفاء الذهن، والعقلية القضائية، والحرية العقلية، والاعتداد بشخصيته العلمية. وكان يحب التحرش بالعلماء، ومناظرتهم، ومساجلة الشعراء. وبالإيجاز، فقد كان فيه أهم الصفات التي يتميز بها أصحاب الشخصيات العالية وكان نابغة زمانه في العلم والأدب والقضاء؛ فخلدت مناقبه العقلية، والعلمية، وتناقَلَها الناسُ مُتواترة يتحفون جلساءهم؛ حتى جاب صيتُه آفاق القطر السنغالي. [٦٨] ثم ذكرَ المؤلِّفُ تلك الحادثة الشهيرة التي حدثت في ١٢ من شهر كانون الثاني سنة ١٨٦٤م، حيثُ انهزم ((لَتْجُورْ)) في ((لُورُ))؛ فالتجأ إلى ((سَالُمْ)) عند ((مَابَهْ جَخُ))، وبايعه وقال القاضي في هذا الانهزام لِلَتْجُورْ هذه القصيدة الرائية:

أَصَادِقٌ في ادّعاءِ الدِّيـنِ لَتْـجُورْ	أم إنمـــا هـمّــه في ذاك كَـــجُورْ
مُرُوهُ يُذْعِنُ ويخضع كالملوك معًا	وهـل بُـرَازُ النَّصَـارَى البـيضِ مقـدورُ
ما اهتمّ مذ شبّ إلا باحتساء طـلا[٦٩]	حتـى مَضَـى يومُـهُ المعـروف في لُـورُ

[٦٨] عامر صامب، الأدب السنغالي العربي الهدية السنغالية من المرجان في العقود الأدبية للعربان، ص ص: ٥٠ -٥١.

إذ جاءه عسكر إفلِيزُ[٧٠] قائدهم … فيهم كُمَنْدًا٣ وكَبْتِينٌ ودُكْتُورٌ[٧٣]

وهم ينادي بأسماء المجوس إلى … أن جاء لَتِرْ وَدَرْكَنْ ثُمَّ مَاجُورْ

حتى إذا اجتمعو طرًّا فرموا … بِكَنُ ٤ فافترقوا والجيش مكسور

وهم يقولون ماذ العد حلّ بنا … حيث الرصاص مع البارود منشور

فجاءه (مَيْسَ امبَايْ يدمي) فقال له … ها أن جد النصاري اليوم منصور

وأننا لا أرى إلا هزيمتنا … فجلَّ جيشك مقتول ومأسور

فثمّ ولّوهم الأدبار فانهزموا … بالذلّ فادعوا الإسلام في جُورُه٥

وظنّ أنّ له منجا ومعتجما … إذ صار جُورُ له سكنى وكُوُورُ٧[٧٦]

فجاء بالدين حلق الرأس عمدته … هل ذو حلاق بدون الحج مأْجور

وكان يأمن هنا من مكائدهم … حتى أغار علينا وهو مغرور

فقام لَبْرَادُ٨ يومًا في عساكره … لم يبق سَنْدَرْمَرِ٩ ولا تِلاَيُورُ١٠

حتى لقوه لدى يوم الخميس الضحى … في لُوكَ ٦ أيضًا كلا اليومين مشهور

مثلاً بمثل فقد حلّ القدير لهم … من بعد تحريمة ايّاه والسير

فللنصارى شؤون من عجائبهم … فلا تقل عوض إن أخبرتها زور

لله درّهم في كلّ معركة … أميرهم مستطير الشّرّ محذور

فهل أمير نحييه بدَوْ وجَمَم١١ … بل التحية فينا يوم بُنْسُورْ١٢

---

[١] الطلا: هو الخمر. [٢] افليز : كان قائدًا فرنسيا. ٣ كمندا: وكبتين ودكتور أسماء فرنسية. ٤ كَنُ: مدفع بالفرنسية. ٥ جور: اسم بلد وهو عاصمة ما به جخُ. ٦ لوك: مدينة. ٧ كوور: اسم قرية. ٨ لبراد: هو قائد فرنسي. [٩] سندرمر: هو دركي الفرنسي. ١٠ تلايور: رامي البندقية الأسود. ١١ دو و جمم : اسمان من الولفية معناهما: (هل أنتم بعافية ؟). ١٢ بنسور: أي: (مساء الخير) في الفرنسية.

فهذه القصيدة لم تكن لتطيبَ لِـ"دَمِيل لتجور" مع ما فيها من الأمورِ الحقيقيةِ، وما يقتضيهِ التاريخ من الموضوعية. ويقال بأن "لتجور" أوعد القاضي لَمَّا عثر على القصيدة؛ فصنع الشاعر صنيعَ كعب بن زهير مع الرسولِ عليه الصلاة والسلام، ففدى نفسَه بقصيدة رائية جعل فيها لتجور ملكاً ينصر الإسلامَ، وينشره في كَجور، وهازما لجيوشِ أعدائِهِ، إلى آخرِ ما ذكرَ:

بُشرَى لقد شادَ دينَ اللهِ لتجورُ	فأحيَى اليومَ بالإسلامِ كَجُورُ
تلفيه يأمر بالمعروف عسكرَه	كأنَّما جاءَه من ربه النـورُ

إلى آخرِ قصيدتِهِ الطويلةِ ... [1]. ثم ذكرَ المؤلف بأنَّهُ قد عثرَ على مائة رسالة من "لَتْجُور" إلى أمير "اندر" مكتوبة بالعربية أملاها دميل بالولوفية ... [2].

٢/ ومن المُحدَثين:

شيخ تجان غاي -رحمه الله-:

لم أعثر الباحث على ترجمةٍ لهذا الشاعر؛ ولكنه من شعراءِ السنغالِ المُفلقينَ، والمجيدين كما شهد له بذلك الخبراءُ، والنقاد، والقاصي، والدّاني، وقد أفضى الرجل إلى ربه قبل نحوِ عامين أوثلاثا -تقريبا-؛ فرحمه الله رحمةً واسعةً – هو، وشاعرنا الأول وجميع شعراء السنغال المسلمينَ-.

وهذه مقتطفات من شعرِهِ، قالَها في مواقف مختلفة، وذلك بإيجازٍ: ولتكن البدايةُ بقصيدةٍ سطرها الشاعر في مدينة لوغا، بتاريخ: ٧/ أكتوبر/ ٢٠٠٠م، بعنوان:

أ/ (نصحوني):

نصحوني أن أستريحَ قليلاً	ورجوني أن لا أنامَ قليلا
ثم قالوا عزل الكتاب زمانا	حائل دون أن أكون عليلا

[1] عامر صامب، مرجع سابق، ص ص: ٥٤.

[2] عامر صامب، المرجع سابق، ص ٣٦.

منعوني المحاضرات وقالوا	هي تعني عبئا عليَّ ثقيلا
خوَّفوني في صحتي رحمة بي	وأثاروا عليَّ قالاً وقيلا
ففلانٌ قد كان مثلك يوماً	فلهُ اليومَ لا تكونُ مثيلا
صدقواْ؛ غير أنهم جهلوني!	مُستَراحِي في أن أكون شَغولا
كيفَ أغدو بدونِ ذكرٍ كثيرٍ؟	كيف أبقَى دون الكتابِ طويلا؟
كبف يأتي إليَّ طالب علم	فيُرَى خائباً يعود خمولاً؟
كيف أمسي ولا أبلغ شيئاً	عن رسول قد كان حقا دليلا؟
كيف يأتي المنكوب يطلب عونا	فيراني لعونِه مستقيلا؟
كتبي راحتي أطالع فيها	واجدا ما يفيد نفعا جزيلا
صحتي في الذكر الكثير وفي أن	أرتجي اللهَ أن أنال قبولا
فإذا متُّ في احتسابِ ثوابٍ	كان موتا عند الإله جميلا

وواضحٌ أنه كان الشاعر قد أنهك نفسَه بكثرةِ المطالعةِ في الكتبِ، والعبادةِ؛ حتَّى خافَ الناس عنه؛ فنصحوهُ بأن يستريحَ قليلاً، ورَجَوْهُ بأن يأخذَ قسطاً من النَّومِ كافياً، بالإضافةِ بأن يبتعدَ عن الكتبِ زماناً، وكذلك المحاضراتِ التي تسبب له عبئاً ثقيلاً، بل وخوَّفواْ من صحَّتِهِ، وأثارواْ عليهِ قيلاً وقالاً، ثم ضربواْ له مثالا من واقعهِ الذِي يعرفه حقَّ المعرفة، فقالوا له:

ففلانٌ قد كان مثلك يوماً	فلَهُ اليومَ لا تكونُ مثيلا

غيرَ أنَّ الشاعرَ ردَّ عليهم ردًّا مؤدَّباً، وجميلاً، فقال:

صدقواْ، غير أنهم جهلوني	مُستَراحِي في أن أكون شَغولا!
كيفَ أغدو بدونِ ذكرٍ كثيرٍ	كيف أبقَى دون الكتابِ طويلا؟!

إلى أن قال لهم:

كيف أُمسي ولا أبلغ شيئاً	عن رسول قد كان حقا دليلا؟

كيف يأتي المنكوب يطلب عونا	فيراني لعونِه مستقيلا؟
كتبي راحتي أطالع فيها	واجدا ما يفيد نفعا جزيلا[83]

أما عن صحتة، فقد قال لقومه:

صحتي في الذكر الكثير وفي أن	أرتجي اللهَ أن أنال قبولا

ثم ختمَ ببيتٍ يُكتَبُ بماءٍ من ذهبٍ في صحائفَ من نورٍ:

فإذا متُّ في احتسابِ ثوابٍ	كان موتا عند الإله جميلا !!!

ب/ متفرِّقاتٌ من آرائهِ ومواقفهِ:

ولقد كان للرَّجلِ آراءٌ مختلفةٌ منها ما يُوَفَّقُ فيها للصوابِ، ومنها غيرُ ذلك، وليسَ هذا البحث لمناقشةِ عقيدتِهِ، أو ما يتَّصلُ بذلك؛ وإنَّما الغرضُ هو بيانُ شاعريَّتِهِ. وليذكر الباحث طرفاً من ذلك:

- قال مُشدِّداً الهجمةَ على يقلِّدُ شعراءَ العرب في مُخاطبتِهم لأسماء "عربية" مثل "سلمى/ وليلى"، وَيدَع ثقافتَه الإفريقية التي فيها من أسماءِ النساءِ الشيءَ الكثيرَ الكفيلَ بإبرازِ حضارتها مثل "أَرَمْ/ وِيِنْدَ/ وكُمْبَ":

يا مَنْ يخاطبُ "سلمَى" دونما خجَل	ورُحْتَ تبحثُ عنها دونما ملل
وإن عجزتَ تماماً قلتَ إنَّ "مَنَى"	هيَ المُنَى ما لها في الناسِ من مثل
وإن تعرج على "ليلى" تحدثنا	فإنها الحب معبوداً بلا بدلِ
كُنْ واعياً خاطبَنْ إن لم تجد هرباً	"أَرَمْ" و"يِنْد" فما في ذاك من ثقل
إن كنت معتقداً أنَّ "سُعاد" لها	فضلٌ على "كُمْبَ" هذا غايةُ الخَطَلِ
هل تستَوي "نْدِيْ" و"سُعدَى" إن درستَهما	ياقوتَـةٌ قُـورِنَتْ برَوْثَـةِ الإبلِ

إلى أن قال منكراً البكاء على الأطلال في "ثهمد"، أو في "سقط اللوى":

أراك تستوقف الأصحابَ إذا رحلواْ	مُـستَبْكِياً بـاكياً في دارسِالطـللِ

---

[83] شيخ تجان غي، من وحيِ الواقع "ديوان شعري"، ط/ ١، لوغا، السنغال، دار النشر (بدون)، ص: ١٤٧، بتصرف.

تـبكي بثهمدٍ تـستبكِي بذي ظلمٍ	تجـثو بسِـقطِ اللِّوَى مِن خيبةِ الأمَلِ
تدعـو لِوَجْرَةَ أن تبقـي بظبيتِها	هذا جـنونٌ شفاك اللـه في العـجلِ
وإن كان لا بُدَّ من دمعٍ تفيقُ بهِ	فاصبُبْهُ في "وَالْ" أو صبَّنَّهُ في "بُولْ"
ما دمت تسجد تبكي عندَ منطقةٍ	فاجعل "جُلُف" مسجداً في أسرعِ الأجلِ
وليسَ "انجامبُرْ" بعيداً مثلَ كاظمةٍ	حـتَّى تكـلف مـثلي رفقة الـرحـل
يا مَن تقمصتَ جهلاً غيركم فرطا	جـاوزتَ في الأمـرِ حدَّ العقلِ والعلل
آنَ الأوانُ –إذا مَا لَمْ يَفُتْ-؛ لِنَرَى	مَنْ نَحنُ، والدَّهرُ برقٌ مُفرطُ العجلِ
إهمالُكمْ لغةَ الأجدادِ ليس له	مبرِّرٌ غير ضيقِ الأُفقِ والخطلِ
إنَّ الجهود التي بُذلت –وا أسفا-	في رفعِ غيركم تُعلِيكَ للزُّحَلِ
كنْ زنجيّاً مسلماً ولا تذُبْ أبداً	مَن ذابَ أصبَح مفقوداً بلا أملِ

إلى أن قال:

دعايةٌ تستغلُّ الدين هادفة	تعريبنا، إنَّها تسعَى بلا ملَلِ
إن كان فردوس يأبى من يقول "ولف"	لا مرحباً بجنانِ اللهِ ذي الأزَل[٨٤]!!!

إلى آخر ما قال من الشعرِ، ولا يخفى أن البيتينِ الأخيرتين فيهِ من ألوانِ الأخطاءِ الدِّينيِّةِ، والعقائديَّةِ الشيءَ العظيم، كما أنَّ البيتَ الأخيرَ:

إن كان فردوس يأبى من يقول "ولف"	لا مرحباً بجنانِ اللهِ ذي الأزَلِ !!!

لَيْسَ فِيهِ مِن التَّأدبِ مَعَ جلال اللهِ تعالَى الشيءَ الذي يليقُ به، ولا يَغُرُّنَا أن قال في آخرِ شطرِ البيتِ الثاني (بجنانِ اللهِ ذي الأزَل). وعجيبٌ أمرُ الشاعرِ؛ فحينَ تسمعهُ يقول مثل هذا الكلامِ السَّاقطِ؛ تراهُ يمدحُ لغةَ الضّادِ، ولغةَ القُرآن، والأدبِ في مواضِعَ متباينة من ديوانِهِ، كما في: قصائدهِ: "اللغة العربية"، وبيت جبريل، وآنَ الأوانُ" وغيرها ...

[٨٤] شيخ تجان غي، مرجع سابق، ص ص: ١٣٣-١٣٥.

وليتَ شِعري هل يمثِّلُ ذلكَ تناقضاً، وتلوُّناً منهُ؛ حيث يلبس لكلِّ محفلٍ لباساً يليقُ بهِ، شأن الشُّعراء الذين يتَّبِعُهم الغاوُون؟! أَمْ أنَّهُ تنازلَ عن هذه الآراء -كما يُشِيرُ إلى ذلكَ في مُقدِّمةِ كتابِهِ-؟ وهذا هو المُرْتَجَى منه، وأنَّ اللَّه قد غفرَ له، وأدخلَه فسيحَ جناتِه.[٨٥]

[٨٥]أسأل المولى -تبارك وتعالى- أن يصونني، ويحفظَ القراءَ الأفاضلَ من التأثُّر بتلك الآراء التي تدعو للقومية الضيقة، والعصبيةِ، وغيرها من الدعواتِ السلبيةِ الواردة في الديوانِ، كما أسأله أن يغفر له ما بدر منه، وأن يُعاملَنا -وإياهُ- بلُطفهِ، ومنِّهِ، وكرمه، ورحمته، وأن يتقبل منه ما انتصر فيه للِّسانِ العربيّ، ولسانِ القرآنِ الكريمِ؛ فأجادَ. رحم اللهُ شاعرنا، ورحم سائر موتى المسلمين.

الفصلُ الثالث

الأمثالِ المؤلُوفيةِ

الإيجابيات والسلبيات

المبحث الأول

مفهوم الأمثال، ونشأتها، وأقسامها

أولا: مفهوم الأمثال:

ذكر المشتغلون بهذا الفن تعريفات عديدة للأمثالِ يحاول الباحث إيرادَ طَرَفٍ منها، وقبل ذلك يحسُن إيراد مفهوم المَثَلِ في لغةِ العربِ، ثم في الاصطلاحِ، (وقد وُجِدَ المثلُ قبلَ أن يُعرَف بهذا الاسم، وعرف بالمعنى اللغوي قبلَ المعنَى الاصطلاحي له)[86]..

أ/ الأمثال لغة:

مَثل، مِثل، كلمة تسوية. يُقَال: هذا مِثلهُ، ومَثَلُه؛ كما يُقال: هذا شِبْهُهُ، وشَبَهُه بمعنًى، ثم ذكر معاني للأمثالِ كثيرة منها: الحديث، والشيء الذي يضرب لشيء مثلاً؛ فيجعل مثله، ما يضرَب به الأمثال، صفة الشيءِ، ومثلُهُ، والخبرُ عنها، وقد ردَّ أبو علي أن يكون معنى المثل هو الصفة؛ معلّلاً بأنَّ ذلك غيرُ معروفٍ في كلامِ العربِ؛ إنَّما معناه التَّمثيل، وفي هذا نزاعٌ قديم كما أورده بن منظور عن مقاتلٍ صاحبِ التفسيرِ، ونقل عن محمد بن يزيد الثمالي في "المقتضب" قولاً آخر، ثم قالَ: إن مثل لا يوضع في موضع صفة؛ إنما يقال: صفة زيد إنه ظريف، وإنه عاقل. ويقال: مثل زيد مثل فلانٍ؛ إنما المثل مأخوذ من المثالِ، والحذوِ، والصفة تحليةٌ، ونعتٌ. ثم ذكر بن منظور معاني أخرى للمثل، مثل:

---

١ - إميل بديع يعقوب، موسوعة أمثال العرب، ج/١، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص١٧.

القصاص، الفراش، وجمعه مُثُلٌ. والمثالُ: حجرٌ قد نُقِرَ في وجههِ نقرٌ على خلقةِ السمة سواء. والأمثال: أَرَضونَ ذات جبال يُشبِه بعضُها بعضاً؛ ولذلك سميت أمثالاً، وهي من البصرةِ على ليلتينِ، والمثل: موضعٌ.[87]

أ/ الأمثال في الاصطلاحِ:

للمثلِ تعريفات متعددة، تضيق دائرته، وتتسع بحسب الباحثين، وما هو مثل عند بعضهم قد لا يكون كذلك عند آخرين، وقد يُصنف بعض ما جاء في الأمثال العربية في دائرة الأقوال التقليدية، أو التعابير الاصطلاحية.

(المثلُ في مصطلحِ الأدبِ هو القولُ السائر الممثَّل بمضربِهِ، أي المشبَّه حالةَ ضربهِ بحالةِ موردِهِ).[1] و(الأمثال غرسُ الحكمةِ، ونبتُ الخبرةِ، ومقياسُ الأدبِ. وهي تنبت في كل أرض، وتظهر في كل عصر، ولا تكاد تجنح أمة إلى العمران أو تتالف لها لغة؛ إلا تنطق بالأمثال).[2] والمثلُ -على حدِّ تعبيرِ الإمامِ المبرِّدِ-: ("قولٌ سائرٌ، يشبّه به حال الثاني بالأوَّل، والأصلُ فيه التشبيه، وهو مأخوذ من المثال". و"يجتمع في المثلِ أربعٌ لا تجتمع في غيرِهِ من الكلامِ: إيجازُ اللفظِ، وإصابةُ المعنى، وحُسنُ التَّشبيهِ، وجَوْدةُ الكتابةِ؛ فهو نهايةُ البلاغةِ"! وهو وصفٌ للمثلِ في غايةٍ من الرَّوعةِ، والدِّقَّةِ.

و"الأمثالُ حِكَمٌ قصيرةٌ مُستقاةٌ من تجربةٍ طويلةٍ، إنَّها حكمةُ الشعوبِ منذُ أقدمِ الأزمنةِ..."، و"المثلُ حكمةٌ مفرَّغةٌ بكلماتٍ قليلةٍ، وقد أصبحت شعبيةً؛ ومن هنا وُصِفَ المثلُ بأنَّه سائدٌ. و"إنَّ الأمثالَ"وشي الكلام، وجوهرُ اللفظ، وحُلِيُّ المعاني التي تخيّرتْها العربُ، وقدَّمتها العجمُ، ونطقَ بها في كلِّ زمانٍ، وعلى كلِّ لسانٍ، فهِيَ أبْقَى منَ الشِّعرِ، وأشرَفُ من الخِطابةِ، لم يَسِرْ شيءٌ مَسِيرَها، ولا عمَّ عُمُومَها؛ حَتَّى قيلَ: "**أسْيَرُ مِن مَثلٍ**).[3] وفي هذا تفضيلٌ لِـ ((المثلِ)) على كُلٍّ من ((الشِّعرِ))، و((الخطابةِ)).

وقال أراسموس: "المثلُ قولٌ مشهورٌ يشيرُ إلى قصةٍ لطيفةٍ"، فاشترطَ فيهِ الشُّهرة، وإشارتُه إلى قصَّةٍ تتصفُ باللُّطفِ! وقال سرفنتس: "المثل زُبدةُ اختبارٍ طويلٍ مفرغة في قالب صغيرٍ"، وهذا صحيحٌ؛ لأنَّ المثلَ نتيجةٌ لعُصارةِ تجارُبِ الشُّعوبِ، يُفرَّغُ في قالبٍ صغيرٍ، أو عبارةٍ

---

[87] محمد بن مكرم بن منظور، مرجع سابق، ص ص ٢١ -٢٥، بتصرف.

مختصَرةٍ، وجَزْلَةٍ؛ لكنَّ مضامينَها تحملُ خبراتٍ بالغةً في العظمةِ –إن كان إيجابيا– أو متناهية في الخطورة –إن كان سلبيًّا–، وسيأتي في موضعه من البحثِ. وقال أرسطو: "وكأن الأمثال متخلفات حِكَمٍ قديمةٍ أدركها الخرابُ؛ فسلمت هي من بين تلك الحكم لمتانتِها، وجزالةِ ألفاظِها"[4]. ويقابلُ مصطلح "المثل" في الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية المصطلحاتُ التالية: ((Proverbe)) - ((Proverb)) – ((Sprichwort))

كلامُهم في الفرق بين ((المثل)) و((الحكمة)):

وهنالك من اعتبر المثلَ والحكمةَ أمراً واحداً، وهناك مَنْ غايَرَ بينَهُما، وجعلَ الضَّابطَ في ذلك (**السيرورة**)، فـ"**المثلُ**" سائرٌ بينَ الأنامِ، ولا تبلغُ "**الحكمةُ**" مبلغَ المثلِ في ذلك؛ ولكنَّ بعض المشتغلين في هذا المجال تعقَّبوا على هذا الكلام بأنه ليس هنالك معيار محدد ودقيقٌ لمعنى ((السيرورةِ)) .. وذَكَرَ مَنْ فرَّقَ بينَ "المثل"، و"الحكمة" بأن أوجهَ الفرق بينهما كالتَّالي: ١/ **الشيوع**: بخلافِ الحكمةِ، فلا تسيرُ سيرَها؛ وإلا أصبحت مثلاً. فليست كل حكمة مثلاً، ولكن كل حكمة شائعة مثل.

٢/ **صدق النظرة، وصواب المضمون**: فالحكمة تصدق –غالبا– في كل زمان ومكان؛ لأنها وليدة تجربة، وعقل مفكر. أما المثل، فربما لا يتضمن فكرة ثاقبة، أو رأياً سديداً. وإذا كانت كل حكمة شائعة مثلاً؛ فليس كل مثل حكمة شائعة.

٣/ **المضمون الفكري**: فالحكمة رأي سديد، أو فكرة صادقة، أثبتتها التجربة، وصقلها العقل، وغايتها النصح، والإرشاد. أما المثل، فلا يشترط ذلك فيه؛ إذ قد يكون" تعبيراً مثلياً"، أو عبارة تقليدية.

٤/ **أساس المثل التشبيه**: أي تشبيه مضربه بمورده، أما الحكمة فأساسها إصابة المعنى.

٥/ **المثل موجز الأسلوب**: بخلافِ الحكمة فقد تكون كذلك، وقد لا تكون.

٦/ **الغاية من المثل الاحتجاج**: بخلاف الحكمة التي غايتها الوعظ، والإرشاد.

ورغم هذه الفروقات؛ فإن الكثيرَ من الحكمِ أصبحت أمثالا، وبعض الحكم لا نستطيع الحكم عليها بكونِها أمثالاً، أو غير أمثال؛ لأن ضابط السيرورة في المثلِ لا معايير دقيقة

---

١ - ٤ نعوم شقير، مرجع سابق، ص: ١٩، نتصرف.

له.[89] والأصل السامي العام لهذه الكلمة يتضمن حسب اشتقاقها معنى المماثلة[90]. (أصل المثل المثال بين الشيئين في الكلام كقولهم : (كما تدين تدان) وهو من قولك: هذا مثل الشيء ومَثَله ، كما تقول: شبهه ، وشبهه).[91]

وقد عرف العرب – من جهةِ الاصطلاحِ- ثلاثة أنواع من الأمثال ، وهي:

أ/ **المثل السائر**: وهو الذي نعينه في هذا البحث (Proverbe) بالفرنسية، وبالإنجليزية (Proverb).

ب/ **المثل القياسي**: وهو سرد وصفي، أو قصصي، أو تصويري؛ لتوضيح فكرة عن طريق تشبيه شيء بشيء؛ لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر؛ لغرض التأديب، أو التهذيب، إو الإيضاح، أو غير ذلك.

ويمتاز هذا النوع الأول، بالإطناب، وعنق الفكرة، وجمال التصوير.

وهذا النوع لم تعن به مصنفات الأمثال العربية القديمة، وهو موجود في القرآن الكريم، وحديث النبوي، وغيرهما.

ومنه في القرآن الكريم: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[92]، وقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[93].

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل علم لا ينتفع به؛ كمثل مال لا ينفق منه في سبيل الله"، وقوله: "مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق أوله إلى آخره".

---

١ - إميل بديع يعقوب، المرجع السابق، ص ص ٢٣ -٢٤ بتصرف.

٢ - روديلف زلهايم، الأمثال العربية القديمة، ص : ١٢

٣ - أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج/ ١، ط/١، ص ٢ .

١ - سورة البقرة، آية رقم: ١٧١.

٢ - سورة النور ، آية رقم: ٣٥.

وقد نسج حكماء الإسلام أمثالاً قياسيةً على من منوال أمثال القرآن والسنة، كتلك التي رويت عن الإمام علي رضي الله عنه: "مثل الدنيا كمثل الحية؛ لين مسها، والسم الناقع في جوفها، يهوي إليها الغرّ الجاهل، ويحذرها ذو اللبّ العاقل". [٩٤]

ج/ **المثل الخرافي:** ويقابله في الفرنسية "parable"، وفي الإنجليزية لفظة ((Parabole) وهو قصة قصيرة بسيطة، رمزية غالباً، لها مغزًى أخلاقي. وقد تكون على ألسنة الحيوانات: كقصص كليلة ودمنة لابن المقفع، وكقصص الشاعر الفرنسي "لافونتين" la fontaine، أو على ألسنة الناس: كأمثلة المسيح الواردة في الإنجيل. ثم ذكر الدكتور إميل بديع يعقوب أوجهة اختلاف بين الخرافي والقياسي.

وتعريفات المثل السائر –الذي نقصده من هذا البحث– عديدة، تختلف باختلاف الزاوية التي ينظر منها الباحث إلى المثل، ومن تلك التعريفات:

١/ الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق، بكناية غير تصريح؛ فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه.[٩٥] و"المثل لفظ يخالف اللفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يحمل عليه غيره".[٩٦] ويقول الفارابي: "المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه؛ حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السرّاء والضرّاء، واستدرّوا به الممتعة من الدرّ، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرّجوا به من الكرب والمكربة، وهو أبلغ من الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص، أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"[٩٧]. وقد خلص الدكتور إميل بعد سردِهِ لهذه التعريفات إلى التعريف الآتي:

---

٣ - إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص:١٧ -١٩، نقلاً عن كتاب نهج البلاغة، ج/٢ ، ص:٣٣٣.

٤ - إميل بديع يعقوب، المرجع السابق، ص: ٢٠، نقلا عن : السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج/١، ص:٤٨٦، وأبي عبيدة القاسم ابن سلام، والميداني.

"إن المثل عبارة موجزة، يستحسنها الناس شكلا ومدموناً؛ فتنتشر فيما بينهم، ويتناقلها الخلف عن السلف دون تغيير، متمثلين بها غالباً في حالات مشابهةٍ لما ضرب لها المثل أصلاً وإن جهل هذا الأصل". ووفقًا لهذا التعريف فإن المثل –عنده- يشمل ما شملته كتب الأمثال العربية القديمة، وتتلخص في أربعة أمور:

أ/ **المثل السائر**: وهو الذي نعينه في هذا البحث (Proverbe) بالفرنسية، وبالإنجليزية (Proverb). و بالألماني: (Sprichwort).

ب/ **التعبير المثلي**: "سكت ألفًا ونطق خلفًا". كما يندرج فيه ما يستمدّ على صيغة (أفعال من)، ومنه " أظلم من حية" و"أبصرمن غرابٍ".

ج/ **الحكمة المنتشرة بين الناس.**

د/ **العبارة التقليدية** المستخدمة في: الدعاء، واللعن، والخطاب، والتحية. ومنها: " بالرّفاء والبنين"، و"رماه بأقحاف رأسه".[98] ..

وقد فرق بعض الباحثين بين المثل والعبارة التقيليدية، فذكر معنى المثل كما سبق، وقالوا بأن العبارة التقليدية هي: التعبير الاصطلاحي، كما في قولهم "بالرّفاء والبنين"، وواضح الفرق بين هذا وبين المثل. و(الحكم والأمثال هي تلك الجمل التي أخذت شبه الاستقلال في المعنى، وتعكس موقفاً أو رؤية معينة. ومن الحكم والأمثال ما هو نثر، ومنها الشعر، ومنها ما هو جزء من بيت شعر، أو من آية قرآنية أو من حديث نبوي، ومنها ما يعد من العبارات السائرة، ولا ينطبق عليه مفهوم المثل. ولكنها –أياً كانت- مؤثرة على المستمع والقائل إيجاباً أو سلباً. وينطبق هذا الكلام على الأمثال والحكم التي تدرس في المدارس والموجودة في المقررات- وهي بالتأكيد تحتاج إلى مراجعة وتدقيق من حيث الإيجابية والسلبية –وعلى الأمثال الشعبية المنتشرة بين الناس).[99]

اتضح مما سبق أن هنالك فروقات جوهريةً بين المثل، والحكمة، و العبارة التقليدية. ولايخفى أن معرفة ذلك يعين على ضبط مفهوم المثل، وما يتعلق به.

١- ٣ إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص ص: ٢١ - ٢٢.

[99] موقع شعاع القمر، ٢٠١٢/٤/٨م.

وفيما يلي يقوم الباحث ببيان نشأة الأمثال، فإلى ذلك:

ثانيا: نشأة الأمثال:

وأمّا عن **نشأةِ المثل**، فلا يمكن الجزم في ذلك، والذي يجزِمُ بهِ الكاتبون والعلماءُ أنّه نشأ بظهورِ المجتمعات البشرية، فالأمثال –كاللغة– "وليدة المجتمع"، أو بتعبيرٍ أدق هي : وليدة التجربة الإنسانية في المجتمع".٢[١٠٠]

وقد اعتنى الأدباء بالأمثال في كل بلاد، وفي كل عصر، وجعلوا لها بابا خاصا في آداب اللغةِ، وجمعوا فيها الآدابَ الجمَّةَ.

وأول من جمع الأمثال –فيما نعلمُ– سليمانُ الحكيمُ بن داود، كتبها بالعبرانية في القرن العاشرِ قبل الميلادِ، وضمت إلى أسفارِ التوراةِ، وجعلت فيها سفرا على حدته. وأما القسمُ الأخيرُ من هذه الأمثال –أي من الفصلِ الخامس والعشرين إلى آخر السفر– فقد روى المحققون أنه ليس لسليمان، بل جُمع بأمرِ "حزقيا" ملك اليهودية في القرنِ السابعِ قبل الميلادِ.

ثم كان عصرُ اليونان؛ فنبغَ فيهم الفلاسفةُ؛ فتكلمواْ في المثلِ، وآدابِهِ، وجمعواْ من الأمثالِ كُتُباً جمَّةً ... وقد جمع "أرسطو" كراساً في الأمثالِ، وجمع "زنوبيوس" في القرنِ الثاني للميلادِ ٥٥٢ مثلاً، وجمع "ديوجينيانوس" –الذي عاش في نفسِ القرنِ المذكور– ٧٧٥ مثلاً.

ثم كان عصر الرومان، فاشتغل أدباؤهم بالأمثالِ، وكان "شيشرون" يستشهد في أقوالِهِ وكتاباته بأمثالِ اليونان. ثم كانت العصور المظلمة في أوربا؛ فدرست معالم الأدبِ، وطمست آثار العلمِ، فإذا كان القرن الخامس عشر للميلادِ؛ ظهرَ "ميخائيل أبوستوليوس" في مدينة القسطنطينية، وجمع ألفينِ من الأمثالِ القديمةِ، فطُبعت في ليدن سنة ١٦٥٣م، ومن ذلك الوقت ظهرت مجموعات جمة للأمثالِ في كل بلاد.

وأما الأمثال العربية، فلا نعلم أنها جُمِعَتْ في كتابٍ قبلَ عصرِ الخليفةِ هارون الرشيد في القرنِ الثاني للهجرةِ. فنبغ في هذا العصرِ كثيرٌ من العلماءِ منهم: أبو عبيد،

---

٢ - سمير شيخاني، مرجع السابق، ص: ٠٣

وأبو عبيدة، والأصمعي، والمفضل بن محمد، والمفضل بن سلمى، والمفضل الضبي، فكتبواْ في الأمثالِ العربية الجاهلية، والتي في صدرِ الإسلامِ، وردُّواْ كلَّ مثلٍ إلى أصلِهِ، فأتواْ على حكايتِهِ بما كانَ معروفاً عندَهم في ذلك الحينِ.

ثم جاءَ عصرُ المولدين، فنشأت عندهم أمثال غير التي جمعت في كتبِ القومِ. وأول من كتبَ فيها ابن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ، فضمن كتابه "العقد الفريد" عدداً منها.

وقام بعده أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ، فجمع "جمهرة الأمثال" ولم يدخل فيها شيئاً من الأمثالِ المولدة، ولكنه أجاد في تأليفِها؛ حتى كانت أحسن ما أُلِّفَ في الأمثالِ إلى عصرِهِ. وبقيت كذلك إلى أن قام أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني المتوفى سنة ٥١٨هـ، فطالع كتبَ الأدباء الذين تقدم ذكرهم، وكتبَ غيرِهم نحواً من خمسينَ كتاباً، وألف كتابه المسمى "مجمع الأمثال" جمع فيهِ ما ينيف على ستة آلاف مثل من الأمثال العربية الفصحى، والمولدة، وشرح الأمثال الفصحى منها شرحاً مستوفيا، وأحسن في التأليفِ حتى جاءَ كتابه أكبر وأفضل كتابٍ أُلِّفَ في الأمثالِ العربيةِ إلى أيامه، ولا يزال كذلك إلى اليوم.[١٠١]

وقد جاء في ترجمةِ حياةِ الميداني في كتاب "كشف الظنون" أن الزمخشري بعدما ما ألف "المستقصي في الأمثال" وقع له "مجمع الأمثال" للميداني؛ فأطال نظرَهُ فيهِ، وأعجبَهُ جدّاً، ويقال إنه ندم على تأليفِهِ "المستقصى" لكونه دون "مجمع الأمثال" في حسنِ التأليفِ والوضع، وبسط العبارة، وكثرة الفوائد. فكان كتاب الميداني قد أغلق على الأمثالِ العربية الفصحى، ولم يبق للقومِ مجالٌ للكلامِ في غيرِ الأمثالِ المولدة؛ لأن هذهِ تختلف في كل بلادٍ، وتتجدد في كل عصرٍ. وأول من كتب فأجاد في الأمثالِ المولدةِ بعد الميداني "شهاب الدين بن أحمد الأبشيهي" صاحب "المستطرف" ومن علماءِ القرنِ التاسع للهجرةِ، فضم إلى كتابهِ مجموعة لطيفة من أمثالِ أهلِ زمانهِ.ثم لم يكتب أحد بعد ذلك بعد ذلك في الأمثالِ المولدةِ حتى أوائلِ القرنِ الماضي، فظهرت فيهِ مجموعة لشرفِ الدين بن أسد ضمنها ألف مثلٍ ومثلاً، ومن الأمثالِ العامية فتناولَها بورخارت السائح الألماني الشهير عندَ مجيئِهِ إلى مصر في أوائلِ هذا القرنِ،

---

١ - نعوم شقير، مرجع سابق، ص ص: ١٨ -٢١، بتصرف.

وترجمها إلى لغتِهِ، ثم ترجمت إلى اللغةِ الانجليزية، وكانَ هذا آخرُ عهدِنا بالأمثال. أما ((الأمثال العصرية))، فلم يكن لها كتابٌ معروفٌ؛ ولذلك ولَمَّا كنت أشتغلُ منذ بضع سنوات في كتابِ "مرآة الأيام في مصر والسودان والشام"، وكان الغرض من هذا الكتاب بكل ما تجب معرفتُه عن هذهِ البلدانِ الثلاثة في التاريخ، والجغرافية، والأخلاق، والعادات، والخرافات، واللغة، والآداب، ونحو ذلك مما هو شبيهٌ بـ"أنسكلوبيدية عصرية"، وكانت الأمثال من أهم ما تجب معرفته من آدابِ القومِ؛ إذ هي مرآة تنعكس منها أخلاقهم، وعاداتهم، وشاهد عدل على حالةِ لغتِهم ... ثم ذكر نعوم بأنه جالَ ما بين البلاد الثلاثة من أنحائها إلى أنحائها، ومازج كثيرين من مختلف طبقات أهلِها؛ فجمع أكثر من عشرةِ آلاف، كما انتقى لمجموعتِه (٣٤٩٤) مثلاً، منها ١٤٣٥ مثلاً شاميا، و١٥٢٦ مثلاً مصريا، و٥٣٣ مثلاً سودانيا؛ فجاءت أكبر مجموعةٍ أُلِّفت في الأمثالِ العاميةِ إلى هذا اليوم، وسميتُها "أمثال العوام تفي مصر والسودان والشام".[١٠٢]

ثالثاً: أقسام الأمثال: تنقسم الأمثال نظراً لاعتباراتٍ شتَّى إلى الآتي: [١٠٣]

أ/ من حيث الطولِ وعدمِهِ: إلى طويلة، ومتوسطة، وقصيرة: ويمكن ملاحظة ذلك في أغلبِ أمثال العالمِ، بما في ذلك الأمثال الولوفية. وسيتضح ذلك عند التعليقِ على الأمثال.

ب/ ومن حيث اللغة إلى: عربية، وعجمية: فمن الأمثال –مثلاً، لا حصراً– ما هي عربية، وفرنسية، وإنجليزية، وإسبانية، وصينية، وتركية، وفلانية، وسيريرية، و"ولوفية"، والأخيرة هي موضوعُ البحثِ.

ج/ ومن حيث درجة الفصاحةِ إلى: فصيحة، وعامية: فأما الفصيحة فكالأمثال العربية الفصحى المعروفة، وأما العامية فهي التي تتفرع عنها، مثل الأمثال العامية السودانية، والشامية، والمصرية، والفلسطينية، واليمنية، والجزائرية، والمغربية، والتونسية، وغيرها.

د/ ومن حيث الصحة من عدمِها: إلى إيجابية وسلبية، وهذا هو الجانب الذي يعني الباحث في هذا البحث أكثر، وهو الذي يجري التركيز عليه أكثر.

هـ/ **وإلى اعتبارات أخرى،** ليس هذا البحث محلاً لبسطِها، ويمكن مراجعة ذلك في الكتب المختصة بالأمثالِ.

---

١ - نعوم شقير، مرجع سابق، ٢١ -٢٢.

٢- نعوم شقير، مرجع سابق، ص ص ١٨ - فما بعدَها.

المبحث الثاني

مقارنة بين الأمثال العربية والولوفية

يمكن عقد مقارنة بين الأمثال العربية والولوفية، وذلك من النواحي التالية:

١/ من حيث الأسلوب:

أولاً: أسلوب المثل العربي والولوفي:

أ/ أسلوب المثل العربي: يمتازُ أسلوبُ المثل العربي بمزايا عديدة، من أهمِّها:

أ- البلاغة.

ب- الإيجاز.

ج- إصابة المعنى.

د- حسن التشبيه.

هـ- جودة الكتابة.

و- الاستعارة.

ز- السجع.

ح- المبالغة.

ط- الطباق.

ي- الموسيقى.

ك- تنوع الصيغ اللغوية، وتتمثل في الآتي:

- صيغة أفضل التفضيل.
- صيغة الإخبار العادي.
- صيغة الأمر، والنهي.
- صيغة الدعاء.
- صيغة الاستفهام.
- صيغ أخرى: كالتمني، والتعجب، والشرط، والجملة الاسمية.

ل- عدم تغير المثل، مهما اختلفت الأحوال التي يضرب فيها.

م- تعدد روايات المثل الواحد.[١٠٤]

ب/ أسلوب المثل الولوفي:

ويلاحَظُ أن هذه الأمور مجتمعةً تكاد تنطبق على أسلوب الأمثال الولوفية، وهناك شَبَهٌ إلى حد كبيرٍ بينَها وبين الأمثالِ العربيةِ، كما سيتَّضح ذلك في المبحثين المتعلقينِ بالأمثالِ الولوفية الإيجابية، والسلبية.

ويمكن التوسعُ قليلاً والقولُ بأنَّ الأمثالَ الولوفيةَ -غالبا- ما تبدأُ بكلماتٍ مُعَيَّنةٍ -كما سيأتي-، كما أن يمكن ملاحظةُ أن الأمثالَ الولوفية متباينةٌ من حيث الطول، والتوسط، والقِصَرِ، ويأتِي توضيحُ ذلك من خلالِ الأمثلةِ التالية:

أ/ فمن أمثال اللغة الولوفية الطويلة:

ande bo dem fekfa boromam Kou wathi sa ande,

ومعنى المثل: أن كل من ترك ما يحسنه إلى ما لا يحسنه؛ ألفى الناس جميعهم متمسكين بما يحسنونه. ويضرب في ضرورة لزوم الإنسان ما يحسنه، وعدم التدخل فيما لا يحسنه.

ب/ ومن أمثال اللغة الولوفية المتوسطة:

Yemal thi koudou, gnou rofla thi ande

ويضرب في عدم مجاوزة الحد. ومثل:

Balma fadioul goom; waye sedna khol

يعني المثل أن مُجَرّدَ الاعتذارِ لا يَشفي الجُرحَ؛ ولكن مِن شأنِه أنْ يُرْضِيَ المظلومَ.

ج/ ومن أمثال اللغة الولوفية القصيرة:

Koo mougne mougne، ومعناه أنَّ: من صبر؛ تبَسم، أي أن من صبر حازَ على ما يريد؛ لأان الصبرَ مفتاح الفرج. ومن الأمثلة -كذلك-:

Mboloo moy dole : أي: الاتحاد قوة.

٢/ من حيث الدلالة أوالمعنى:

يُلاحَظُ أنَّ الأمثال الولوفية شبيهة مع الأمثالِ العربية إلى حدٍّ كبيرٍ، فقلَّ أن تجد مثلاً عربيًّا لا تجد له نظيراً في اللغةِ الولوفية؛ ولعل هذا أتى من مبدأ أنَّ الأمثالَ في أغلبِ بلادِ الدنيا

---

[١٠٤] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص ص: ٦٣ - فما بعدها.

-إن لم تكن كلَّها- متشابهةٌ، ويُعرَف ذلك بالتَّصفح في الكتب التي أودِعت فيها أمثالُ الأمم في اللغاتِ المختلفةِ.

٣/ من حيث اعتبارات أخرى:

تختصُّ كلٌّ من الأمثالِ العربية والأمثالِ الولوفية بخصائص؛ تَبَعاً لِطبيعةِ اللغتينِ، وهنا يأتي بعضُ أو الفروقِ، والاتِّفاقِ بينهما، وسيتَّضِح ذلك في المبحثين المتعلقينِ بالأمثالِ الإيجابية، والسلبية؛ فأغنى ذلك عن الإطالةِ.

المبحث الثالث

ما معيار كون المثل إيجابيا أو سلبيا في ظل المجتمع السنغالي المسلم؟

تقدم أن الأمثالَ تنقسمُ إلى إيجابية، وأخرى سلبية من حيث الصحة، والبطلان. وهنا سؤالٌ يطرح نفسَهُ: ما معيار كون المثل إيجابيا أو سلبيا في ظل المجتمع السنغالي المسلم؟

للإجابة على هذا السؤال، يمكن القول بأن هناك معايير يُعرف من خلالِها كونُ المثلِ إيجابيّاً، أو سلبيّاً في ظلِّ المجتمعِ المذكورِ.

أولاً: معيارُ كونِ المثلِ إيجابيًّا:

١/ يكون المثلُ إيجابيا إذا أبعدَ الناسَ من البطالةِ؛ وذلك بتشجيعِهِمْ على العملِ، وحملِهِم على الإبداعِ، والسير قُدُماً على تحقيقِ التنميةِ الشاملةِ؛ من أجلِ أن يعيشَ النَّاسُ في الرَّخاءِ.

٢/ إذا حثَّ على السلمِ الداعي إلى الأمنِ والاستقرارِ، وباعد منَ الحربِ الداعية إلى القلاقلِ والمشكلاتِ التي تودِي بالبلدِ إلى التخلفِ.

٣/ إذا حثَّ على طلبِ العلمِ النّافعِ الحاملِ أصحابه على العملِ والسلوكِ الصالحِ، ويدخل في ذلك العلوم الدنيوية (المادية)، والدينية (الروحية).

٤/ إذا دعا على الوحدة، وعدم التفرق؛ وذلك لأن الاتحاد قوة، والتفرق ضعف، وذهابُ رِيحٍ.

٥/ إذا دلَّ على الحياءِ، والعفةِ، والمروءةِ، والشجاعةِ، وقِرَى الضيفِ، وبرِّ الوالدينِ، وصلةِ الأرحامِ، واحترام الكبارِ، والرّحمة بالصغارِ.

٦/ إذا حض على العفوِ والتسامح، وكظمِ الغيظِ، ووصل من قطعك، وغير ذلك من الصفات التي لا يقدر عليها إلا أفاضل الرجال، وفضليات النساء ...

٧/ ويكون المثل إيجابيا –كذلك– إذا دلَّ على كريمِ العاداتِ الاجتماعية، وجميلِ التقاليدِ الأصيلة.

وهذه العادات الاجتماعية حسب "د. الرشدان" تُعتبَر بأنها الدعامة الأولى التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل بيئةٍ اجتماعيةٍ، كما تعتبر العادات الاجتماعية السلطة غير المكتوبة، بل هي الدستور المحفوظ في الصدور، والمطبق في المجتمع بصورة واضحة، ومتفق عليها.

واتفاق الناس على عاداتِها هو ما يميز العادات الاجتماعية على العاداتِ الفرديةِ غير الملزمة والتي لا يترتب عليها أي نوعٍ من العقاب. هذا، وتختلف جبرية العادات وإلزامها باختلافِ أنواعها: فهناك العادات الحتمية، فهذه لا تتهاون الجماعة مع من يخرُج ةعليها؛ فتعرضه للعقابِ: مثل عدم سماحِ الفردِ بالخروجِ عارياً، وهي لا تعارضُ أن يرتديَ زيًّا معيناً.

وتعتبر التقاليد بأنها من عناصر الثقافة التي ينقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيلٍ. ويشعر الناسُ نحو التقاليدِ بقدرٍ كبيرٍ من التقديسِ، ومن غيرِ الممكنِ العدول عنه، كما يعتبر التقليد سلوكاً يقبله المجتمع دون دوافع أُخرى عدا التمسك بسننِ السلفِ، ويستند التقليد إلى قوةِ الجزاءِ بمن يخرج عنه١[105].

٨/ ويكون المثل إيجابيا في ظل المجتمع السنغالي المسلم؛ إذا شجَّع على اعتناقِ الإسلامِ وتعاليمِهِ، وأمرَ بالبرِّ والتقوى -وهما مصطلحانِ جامعانِ لكل معاني الخير في الدنيا والآخرةِ- فعلاً كانَ أو قولاً، وكان مصدر ذلك الإيمان بالله، وما يتعلق بذلك من لوازمِ الدينِ.

وقد استخدم القرآنُ الكريم، والسنةُ الشريفةُ الأمثالَ، وكذلك فعلَ علماءُ الإسلام في مصنَّفاتِهم، والدعاةُ في خُطبِهم، ومحاضراتِهم، وندواتِهم، ومناظراتِهم، ودعواتِهم في المواقفِ المختلفةِ؛ فأوصلواْ بذلك رسالةَ الإسلام بشكلٍ واضحٍ، ومقنِعٍ للعقلِ والنقلِ، وموافقٍ للفِطَرِ السليمةِ؛ فدخل الناس في دينِ اللهِ وحداناً، وأفواجاً؛ بتوفيقِ الله، ثم بنصاعةِ تللك الأمثالِ، وأما من لم يردِ الله هدايتَهُ فقد اعترف على إيجابيتها على أقلِّ

١عبد الله الرشدان، علم اجتماع التربية، ط/١، ١٩٩٥، دار الشروق، عمان، الأردن، ص ص: ١٤٦ - ١٤٧، بتصرف. [105105]

تقديرٍ كما فعل عقلاء الغربين، والمنصفون منهم –ومن على شاكلتِهم من أهلِ المللِ الأخرى–.

ثانياً: معيارُ كون المثلِ سلبيا:

ويكون المثل سلبيا؛ إذا دعا إلى عكسِ ما تدعو إليهِ الأمثال الإيجابية، قولاً كان أو فعلاً، وذلك كأن يشجع على البطالةِ، والحربِ، والأمية، ويخدشَ من وجهِ الحياءِ، ويصفَ الأقارب بالعقارب، وعدم احترام الكبير، والرحمةِ بالصغير، والتفريق بين المرءِ وزوجه، والسحر، والنفاق، والشعوذة، ودلَّ على العادات والتقاليد الاجتماعية الضارة، وسواها من الأمورِ التي تضر بالمجتمعِ بصفةٍ عامةٍ. وما ذكره الباحث ينسحبُ على المجتمعاتِ الإنسانية الأخرى كافة.

وما تقدم يبين بصورة واضحة أن للأمثالِ الإيجابية والسلبية تأثيرُها في المجتمعاتِ الإنسانية المختلفة؛ حيث أن الإيجابية منها تشجع على كل أوجُهِ الخيرِ؛ وبالتالي يكون ذلك من أهمِّ أسبابِ الرُّقيِّ، والتقدُّم. وأما السلبية منها –أيضاً– تؤدِّي إلى عكسِ ذلك، فكم من أفرادٍ، وجماعاتٍ وقعواْ صريعَ تلك الأمثالِ السلبية؛ لما فيها من مضامين فاسدة تضرُّ بالدِّينِ والدنيا.

وقد عَنَّ[106] لي من خلالِ الاستقراءِ أن الأمثال السلبية أقل بكثيرٍ من الأمثالِ الإيجابية؛ وذلك أمرٌ لا يدعو إلى الدهشة؛ لأن المثل في الأصلِ يأتي للتوجيهِ، والتربية، والتعليمِ، والتثقيفِ من خلالِ كتابِ الكونِ المفتوحِ؛ وكل ذلك إيجابي، ولكن ثمَّةَ أمورٍ تضفي على المثل طابع السلبية؛ فيتصفَ بها، وذلك ما سيتضح عند الكلامِ عنِ الأمثالِ السلبية.

وما سبقَ هو ما ينطلي –أيضاً– على الأمثالِ الولوفية، –شأنُها في ذلك شأنُ الأمثال الإفريقية والسنغالية الأخرى–؛ ومن أجلِ ذلك؛ فإنها بحاجةٍ ماسةٍ إلى أن تُؤَصَّلَ تأصيلاً إسلاميا لمعرفةِ الموافقةِ لتعاليمِ الإسلامِ منها؛ للعملِ بها، والمخالفة لها؛ لتجنبها، وهذا ما يأتي في المبحثِ التالي.

---

[106] عَنَّ: ظهر.

المبحث الرابع

التأصيل الإسلامي للأمثال الولوفية

المقصود بالتأصيل هو: إرجاع الشيءِ إلى أصلِهِ، فالتأصيل الإسلامي للأمثال الولوفية بهذا المفهوم: هو إرجاعُها إلى أصولِها الإسلاميةِ، أوصبغتها الصبغةَ الإسلاميةَ؛ وذلك من أجلِ معرفةِ الصحيحةِ منها والفاسدةِ، أو بتعبيرٍ آخرَ ((الإيجابية)) منها و((السلبية)).

وذلك من الأهمية بمكانٍ؛ بل هو رُكْنٌ رَكِينٌ في التأصيلِ الإسلاميِّ وفي كلِّ ناحيةٍ من نواحي حياةِ المجتمعِ المسلمِ: فعلى سبيلِ المثال: يحتاج المجتمع المسلم إلى التأصيل الإسلامي في النواحي الاقتصادية، والسياسية، والثقافية –التي فيها تدخل الأمثال–، وغيرها من النواحي والأصعدة الحياتية الأخرى.

وتتكاملُ كلُّ ما ذُكرَ؛ من أجلِ أن تجعلَ حياةَ المجتمع كافة لِلَّهِ –دُونَ استثناءٍ–: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[107] فلا مجال للفصلِ بين الحياة العامة وبين أي ناحية من النواحي الحياتية الأخرى؛ إذ ذلك شأن العلمانية، وهو ما يرفضه النظامُ الإسلامي جملةً وتفصيلاً.

ويمكن القول بأنَّ الكثيرَ منَ الأمثالِ الولوفيةِ تتَّسمُ بالإيجابيَّةِ، شأنها في ذلك شأن أمثال العالمِ، وتوجد بإزاءِ تلك الأمثال الإيجابية أمثالاً أخرى سلبية، وسلبيَّتُها إمّا أن تكون ((ذاتيَّةً))، وإمَّا أن تكون ((متردِّدةً بينَ الإيجابية، والسلبية)) –أي: مُحتملة لِلمعنَيَيْنِ؛ حسب ما قصدَهُ الواضعُ، أو ما يحتملهُ السياقُ–، والمثلُ السلبي هو الخادشُ لِلْحَيَاءِ، أو تكشف العورات، أو التقليل من شأنِ الدِّينِ، أوِ المرأةِ، إلى غير ذلك من قائمةِ الأشياءِ المُنكَرَةِ التي قد يَحْوِيها بعضُ الأمثال. وليس هاهنا موضعُ بسطِ ذلك، وسيأتي بيانُه عند المبحثينِ المتعلقَينِ بالأمثال الإيجابية، والسلبيةِ، صميم البحث.

ومن المهم ألاَّ يركِّزَ النَّاظِرُ في الأمثال إلى واضِعِيها؛ بل الأهمُّ من ذلكَ النظرُ فِي مضمونِها وفَحْواهَا، ومن ثمَّ وزنها بميزانِ الشرعِ؛ فإن وافقتْه أخذَ بها، وإلاَّ؛ ضربَ بها عرض الحائطِ، أيًّا كانَ القائلُ –ولا كرامة–؛ ولكن البعض إذا سمعَ ببعضِ ((الرموزِ

---

١ - سورة الأنعام، آية رقم: ١٦٢.

السنغالية))، عزَّ عليهم مناقشة أقوالِهم، مثلَ ((كوتجِي بارما)) الشهير، -وإن كان البعض يرى أنه عبارة عن أُسطورة-، وغيره من مشاهيرِ واضعي الأمثالِ. والذي ينبغي هو مناقشة الأمثال؛ من أجلِ التوَصُّلِ إلى تمييزِ الغثِّ، والسَّمينِ منها؛ ومن ثم تبصيرُ المجتمع السنغالي؛ حتَّى لا يقعواْ ضحيَّةَ الغَثِّ أو السلبيِّ منها. وهذا أمرٌ منطقي؛ بل مُطالبٌ بهِ شرعاً؛ فكلٌّ يُؤخَذُ من كلامه ويُرَدُّ إلَّا الرسول -صلى الله عليهِ وسلم-.

وأما إحلالُ الناس فوقَ منازلهم، وتقديسهم لذاتِهم فذلك أمرٌ لا يسوغُ؛ لأن الإسلامَ لا يُلغي ((العقلَ))، وليس مثل المذاهب المنحرفة التي تقول لأتباعه: ((اعتنِق، ولا تُناقِشْ))!

والإسلام ((دينُ الفطرةِ))، وهو دينٌ مرتبطٌ بالأدلةِ ((العقليَّةِ))، و((النَّقليَّةِ))؛ وذلك يعني أن المرءَ مُطالَبٌ بالدليلِ في جميعِ ما يأتي بهِ أو يذَرُ، وممنوعٌ التقليدُ الأعمَى؛ فإنه يودي بالتابعِ والمتبوعِ، والطالبِ والمطلوبِ. ولشُيوعِ ظاهرةِ ((التقليدِ الأعمَى)) في السنغال، في الأمثالِ وغيرها من القضايا -شأنُها في ذلك شأنُ باقي بلادِ العالمِ؛ إلاَّ ما رحمَ ربِّي- أُفصِّلُ القولَ فيها، ذاكراً كيفَ صَوَّرَهُ القرآنُ الكريمُ؟ وكيفَ نعتَ الأتباعَ والمتبوعينَ -الذين استبدلواْ الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ- ذلك التصوير والنعتُ العجيبُ والمزري الذي تَتَوارَى دُونَهُ أقلامُ البُلغاءِ؛ خَجَلاً:

١/ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ. إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ).[١٠٨]

---

[١٠٨] سورة البقرة، الآيات رقم: ١٦٥ - ١٧٠.

و(التَّقْلِيدُ لَيْسَ طَرِيقًا لِلْعِلْمِ وَلَا مُوَصِّلًا لَهُ، لَا فِي الْأُصُولِ وَلَا فِي الْفُرُوعِ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُقَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، خِلَافًا لِمَا يُحْكَى عَنْ جُهَّالِ الْحَشْوِيَّةِ وَالثَّعْلَبِيَّةِ مِنْ أَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْوَاجِبُ، وَأَنَّ النَّظَرَ وَالْبَحْثَ حَرَامٌ، وَالِاحْتِجَاجُ عَلَيْهِمْ فِي كُتُبِ الْأُصُولِ. وفَرْضُ الْعَامِّيِّ -الَّذِي لَا يَشْتَغِلُ بِاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ مِنْ أُصُولِهَا؛ لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ فِيمَا لَا يَعْلَمُهُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ- أَنْ يَقْصِدَ أَعْلَمَ مَنْ فِي زَمَانِهِ وَبَلَدِهِ فَيَسْأَلُهُ عَنْ نَازِلَتِهِ فَيَمْتَثِلُ فيها فتواه، لقوله تعالى:" فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"، [109] وَعَلَيْهِ الِاجْتِهَادُ فِي أَعْلَمِ أَهْلِ وَقْتِهِ بِالْبَحْثِ عَنْهُ، حَتَّى يَقَعَ عَلَيْهِ الِاتِّفَاقُ مِنَ الْأَكْثَرِ مِنَ النَّاسِ. وَعَلَى الْعَالِمِ أَيْضًا فَرْضُ أَنْ يُقَلِّدَ عَالِمًا مِثْلَهُ فِي نَازِلَةٍ خَفِيَ عَلَيْهِ فِيهَا وَجْهُ الدَّلِيلِ وَالنَّظَرِ، وَأَرَادَ أَنْ يُجَدِّدَ الْفِكْرَ فِيهَا وَالنَّظَرَ حَتَّى يَقِفَ عَلَى الْمَطْلُوبِ، فَضَاقَ الْوَقْتُ عَنْ ذَلِكَ، وَخَافَ عَلَى الْعِبَادَةِ أَنْ تَفُوتَ، أَوْ عَلَى الْحُكْمِ أَنْ يَذْهَبَ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْمُجْتَهِدُ الْآخَرُ صَحَابِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ. السَّابِعَةُ- قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى إِبْطَالِ التَّقْلِيدِ فِي الْعَقَائِدِ. وَذَكَرَ فِيهِ غَيْرُهُ خِلَافًا كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ وَأَبِي عُمَرَ وَعُثْمَانَ بْنِ عِيسَى بْنِ دِرْبَاسٍ الشَّافِعِيِّ. قَالَ ابْنُ دِرْبَاسٍ فِي كِتَابِ "الِانْتِصَارِ" لَهُ: وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ يَجُوزُ التَّقْلِيدُ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ خَطَأٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ"؛ فَذَمَّهُمْ بِتَقْلِيدِهِمْ آبَاءَهُمْ وَتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَ الرُّسُلِ، كَصَنِيعِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فِي تَقْلِيدِهِمْ كُبَرَاءَهُمْ وَتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دِينِهِ، وَلِأَنَّهُ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ تَعَلُّمُ أَمْرِ التَّوْحِيدِ وَالْقَطْعُ بِهِ، وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي آيَةِ التَّوْحِيدِ، وَاللَّهُ يهدي من يريد. [110]

قَالَ ابْنُ دِرْبَاسٍ: وَقَدْ أَكْثَرَ أَهْلُ الزَّيْغِ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ تَمَسَّكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّهُمْ مُقَلِّدُونَ. وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُمْ، بَلْ هُوَ بِهِمْ أَلْيَقُ وَبِمَذَاهِبِهِمْ أَخْلَقُ، إِذْ قَبِلُوا قَوْلَ سَادَاتِهِمْ وَكُبَرَائِهِمْ فِيمَا خَالَفُوا فِيهِ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَإِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ

---

[109] سورة النَّحْلِ: آية رقم: ٤٣.

[110] تفسير القرطبي، مرجع سابق، سورة البقرة، آية ١٦٥ - فما بعدها، ج/٢، ص: ٢٠٣.

عَنْهُمْ، فَكَانُوا دَاخِلِينَ فِيمَنْ ذَمَّهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: "رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا" إِلَى قَوْلِهِ: "كَبِيراً."وَقَوْلِهِ: "إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ". ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ: "قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ". ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ "فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ" الْآيَةَ. فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْهُدَى فِيمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَلَيْسَ قَوْلُ أَهْلِ الْأَثَرِ فِي عَقَائِدِهِمْ: إِنَّا وَجَدْنَا أَئِمَّتَنَا وَآبَاءَنَا وَالنَّاسَ عَلَى الْأَخْذِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الْأُمَّةِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا وأَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا بِسَبِيلٍ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ نَسَبُوا ذَلِكَ إِلَى التَّنْزِيلِ وَإِلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُول، وَأُولَئِكَ نَسَبُوا إِفْكَهُمْ إِلَى أَهْلِ الْأَبَاطِيلِ، فَازْدَادُوا بِذَلِكَ فِي التَّضْلِيلِ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَثْنَى عَلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ حَيْثُ قَالَ: "إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا وَعَلَى النَّاسِ". فَلَمَّا كَانَ آبَاؤُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْبِيَاءَ مُتَّبِعِينَ لِلْوَحْيِ وَهُوَ الدِّينُ الْخَالِصُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ، كَانَ اتِّبَاعُهُ آبَاءَهُ مِنْ صِفَاتِ الْمَدْحِ. وَلَمْ يَجِئْ فِيمَا جَاءُوا بِهِ ذِكْرَ الْأَعْرَاضِ وَتَعَلُّقَهَا بِالْجَوَاهِرِ وَانْقِلَابَهَا فِيهَا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لَا هُدَى فِيهَا وَلَا رُشْدَ فِي وَاضِعِيهَا. قَالَ ابْنُ الْحَصَّارِ: وَإِنَّمَا ظَهَرَ التَّلَفُّظُ بِهَا فِي زَمَنِ الْمَأْمُونِ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ لَمَّا تُرْجِمَتْ كُتُبُ الْأَوَائِلِ وَظَهَرَ فِيهَا اخْتِلَافُهُمْ فِي قِدَمِ الْعَالَمِ وَحُدُوثِهِ. وَاخْتِلَافُهُمْ فِي الْجَوْهَرِ وَثُبُوتِهِ، وَالْعَرَضِ وَمَاهِيَّتِهِ، فَسَارَعَ الْمُبْتَدِعُونَ وَمَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ إِلَى حِفْظِ تِلْكَ الِاصْطِلَاحَاتِ، وَقَصَدُوا بِهَا الْإِغْرَابَ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، وَإِدْخَالَ الشُّبَهِ عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ. فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ ظَهَرَتِ الْبِدْعَةُ، وَصَارَتْ لِلْمُبْتَدِعَةِ شِيعَةٌ، وَالْتَبَسَ الْأَمْرُ عَلَى السُّلْطَانِ، حَتَّى قَالَ الْأَمِيرُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَجَبَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَضُرِبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ على ذلك؛ فَانْتُدِبَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ كَالشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُلَّابٍ وَابْنِ مُجَاهِدٍ وَالْمُحَاسِبِيِّ وَأَضْرَابِهِمْ؛ فَخَاضُوا مَعَ الْمُبْتَدِعَةِ فِي اصْطِلَاحَاتِهِمْ، ثُمَّ قَاتَلُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ بِسِلَاحِهِمْ. وَكَانَ مَنْ دَرَجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُتَمَسِّكِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُعْرِضِينَ عَنْ شُبَهِ الْمُلْحِدِينَ، لَمْ يَنْظُرُوا فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ، عَلَى ذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ. قُلْتُ: وَمَنْ نَظَرَ الْآنَ فِي اصْطِلَاحِ

الْمُتَكَلِّمِينَ حَتَّى يُنَاضِلَ بِذَلِكَ عَنِ الدِّينِ؛ فَمَنْزِلَتُهُ قَرِيبَةٌ مِنَ النَّبِيِّينَ. فَأَمَّا مَنْ يُهَجِّنُ مِنْ غُلَاةِ الْمُتَكَلِّمِينَ طَرِيقَ مَنْ أَخَذَ بِالْأَثَرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَحُضُّ عَلَى دَرْسِ كُتُبِ الْكَلَامِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ الْحَقُّ إِلَّا مِنْ جِهَتِهَا بِتِلْكَ الِاصْطِلَاحَاتِ؛ فَصَارُوا مَذْمُومِينَ لِنَقْضِهِمْ طَرِيقَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَاضِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَأَمَّا الْمُخَاصَمَةُ وَالْجِدَالُ بِالدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ فَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي الْقُرْآنِ.[111]

و(قَوْلُهُ تَعَالَى:"إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا" يَعْنِي السَّادَةَ وَالرُّؤَسَاءَ تَبَرَّءُوا مِمَّنِ اتَّبَعَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ. عَنْ قَتَادَةَ وَعَطَاءٍ وَالرَّبِيعِ. وَقَالَ قَتَادَةُ أَيْضًا وَالسُّدِّيُّ: هُمُ الشَّيَاطِينُ الْمُضِلُّونَ تَبَرَّءُوا مِنَ الْإِنْسِ. وقل: هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَتْبُوعٍ." وَرَأَوُا الْعَذابَ" يَعْنِي التَّابِعِينَ وَالْمَتْبُوعِينَ، قِيلَ: بِتَيَقُّنِهِمْ لَهُ عِنْدَ المعاينة في الدنيا. وقيل: عند العرض والمسألة فِي الْآخِرَةِ. قُلْتُ: كِلَاهُمَا حَاصِلٌ، فَهُمْ يُعَايِنُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَوَانِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَذُوقُونَ أَلِيمَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ. قَوْلُهُ تَعَالَى:"وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ" أَيِ الْوُصُلَاتُ الَّتِي كَانُوا يَتَوَاصَلُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ رَحِمٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ. الْوَاحِدُ سَبَبٌ وَوُصْلَةٌ. وَأَصْلُ السَّبَبِ الْحَبْلُ يَشُدُّ بِالشَّيْءِ فَيَجْذِبُهُ، ثُمَّ جُعِلَ كُلُّ مَا جَرَّ شَيْئًا سَبَبًا. وَقَالَ السُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ الْأَسْبَابَ أَعْمَالَهُمْ. وَالسَّبَبُ النَّاحِيَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ رام أسباب السماء بسلم

وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ.[112]

قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً: "أَنَّ" فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، أَيْ لَوْ ثَبَتَ أَنَّ لَنَا رَجْعَةً" فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ" جَوَابُ التَّمَنِّي. وَالْكَرَّةُ: الرَّجْعَةُ وَالْعَوْدَةُ إِلَى حَالٍ قَدْ كَانَتْ، أَيْ قَالَ الْأَتْبَاعُ: لَوْ رُدِدْنَا إِلَى الدُّنْيَا حتى نعمل صالحا ونتبرأ منهم" كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا" أي تبرأ كَمَا، فَالْكَافُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى النَّعْتِ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا عَلَى الْحَالِ، تَقْدِيرُهَا مُتَبَرِّئِينَ، وَالتَّبَرُّؤُ الِانْفِصَالُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ

---

[111] تفسير القرطبي، مرجع سابق، سورة البقرة، آية ١٦٥ - فما بعدها، ج/٢، ص: ٢٠٣.

[112] سورة البقرة، آية رقم: ١٦٧.

حَسَرات عَلَيْهِمْ الْكَافُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، أَيِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. أَيْ كَمَا أَرَاهُمُ اللَّهُ الْعَذَابَ كَذَلِكَ يُرِيهمُ اللَّهُ أعمالهم. و" يُرِيهمُ اللَّهُ" قيل: هِيَ مِنْ رُؤْيَةِ الْبَصَرِ، فَيَكُونُ مُتَعَدِّيًا لِمَفْعُولَيْنِ: الْأَوَّلُ الْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي" يُرِيهِمُ"، وَالثَّانِي" أَعْمالَهُمْ"، وتكون" حَسَراتٍ" حال. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ رُؤْيَةِ الْقَلْبِ، فَتَكُونُ" حَسَراتٍ" الْمَفْعُولَ الثَّالِثَ."أَعْمالَهُمْ" قَالَ الرَّبِيعُ: أَيِ الْأَعْمَالُ الْفَاسِدَةُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا فَوَجَبَتْ لَهُمْ بِهَا النَّارُ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَالسُّدِّيُّ: الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي تَرَكُوهَا فَفَاتَتْهُمُ الْجَنَّةُ، وَرُوِيَتْ فِي هَذَا الْقَوْلِ أَحَادِيثُ. قَالَ السُّدِّيُّ: تُرْفَعُ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَإِلَى بُيُوتِهِمْ فِيهَا لَوْ أَطَاعُوا اللَّهَ تَعَالَى، ثُمَّ تُقَسَّمُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ فَذَلِكَ حِينَ يَنْدَمُونَ. وَأُضِيفَتْ هَذِهِ الْأَعْمَالُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ مَأْمُورُونَ بِهَا، وَأَمَّا إِضَافَةُ الْأَعْمَالِ الْفَاسِدَةِ إِلَيْهِمْ فَمِنْ حَيْثُ عَمِلُوهَا. وَالْحَسْرَةُ وَاحِدَةُ الْحَسَرَاتِ، كَتَمْرَةٍ وَتَمَرَاتٍ، وَجَفْنَةٍ وَجَفَنَاتٍ، وَشَهْوَةٍ وَشَهَوَاتٍ. هَذَا إِذَا كَانَ اسْمًا، فَإِنْ نَعَتَّهُ سَكَّنْتَ، كقولك: ضخمة وضخمات، وعبلة وعبلات. والحسرة أعلا درجات الندامة على شي فَائِتٍ. وَالتَّحَسُّرُ: التَّلَهُّفُ، يُقَالُ: حَسِرْتُ عَلَيْهِ (بِالْكَسْرِ) أَحْسَرُ حَسَرًا وَحَسْرَةً. وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشَّيْءِ الْحَسِيرِ الَّذِي قَدِ انْقَطَعَ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ، كَالْبَعِيرِ إِذَا عَيِيَ. وَقِيلَ: هِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ حَسَرَ إِذَا كَشَفَ، وَمِنْهُ الْحَاسِرُ فِي الْحَرْبِ: الَّذِي لَا دِرْعَ مَعَهُ. وَالِانْحِسَارُ. الِانْكِشَافُ. قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ" دَلِيلٌ عَلَى خُلُودِ الْكُفَّارِ فِيهَا وَأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا. وَهَذَا قَوْلُ جَمَاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِهَذِهِ الْآيَةِ، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: (**وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ**).[١١٣]

٢/ وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً -وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ-، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً؛ لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ).[١١٤] قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) هَذَا مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: "وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً. وَإِنَّمَا قَالَ:" ضُرِبَ مَثَلٌ" لِأَنَّ حُجَجَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ أَقْرَبُ إِلَى أَفْهَامِهِمْ. فَإِنْ قِيلَ: فَأَيْنَ الْمَثَلُ

[١١٣] سورة الأعراف، آية رقم: ٤٠.

[١١٤] سورة الحج، آية رقم: ٧٣.

الْمَضْرُوبُ، فَفِيهِ وَجْهَان: الْأَوَّلُ- قَالَ الْأَخْفَشُ: لَيْسَ ثَمَّ مَثَلٌ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى ضَرَبُوا لله مَثَلًا فَاسْتَمِعُوا قَوْلَهُمْ، يَعْنِي أَنَّ الْكُفَّارَ جَعَلُوا لِلَّهِ مَثَلًا بِعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ جَعَلُوا لِي شَبِيهًا فِي عِبَادَتِي فَاسْتَمِعُوا خَبَرَ هَذَا الشبيه. الثَّانِي- قَوْلُ الْقُتَبِيِّ: وَأَنَّ الْمَعْنَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَثَلُ مَنْ عَبَدَ آلِهَةً لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَخْلُقَ ذُبَابًا وَإِنْ سَلَبَهَا الذُّبَابُ شَيْئًا؛ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَسْتَنْقِذَهُ مِنْهُ. وَقَالَ النَّحَّاسُ: الْمَعْنَى ضَرَبَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا، قَالَ: وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِيهِ، أَيْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكُمْ شبها وَلِمَعْبُودِكُمْ. (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُون اللَّهِ) قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ" تَدْعُونَ" بِالتَّاءِ. وَقَرَأَ السُّلَمِيُّ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَيَعْقُوبُ:" يَدْعُونَ" بِالْيَاءِ عَلَى الْخَبَرِ. وَالْمُرَادُ الْأَوْثَانُ الَّذِينَ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُون اللَّهِ، وَكَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَهِيَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا. وَقِيلَ: السَّادَةُ الَّذِينَ صَرَفُوهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وجل. وقيل: الشياطين حَمَلُوهُمْ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْأَوَّلُ أَصْوَبُ. (لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً) الذُّبَابُ اسْمٌ وَاحِدٌ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالْجَمْعُ الْقَلِيلُ أَذِبَّةٌ وَالْكَثِيرُ ذِبَّانٌ، عَلَى مِثْلِ غُرَابٍ وَأَغْرِبَةٍ وَغِرْبَانٍ، وَسُمِّيَ بِهِ لِكَثْرَةِ حَرَكَتِهِ. الْجَوْهَرِيُّ: وَالذُّبَابُ مَعْرُوفٌ الْوَاحِدَةُ ذُبَابَةٌ، وَلَا تَقُلْ ذِبَّانَةٌ. وَالْمِذَبَّةُ مَا يُذَبُّ بِهِ الذُّبَابُ. وَذُبَابُ أَسْنَان الْإِبِلِ حَدُّهَا. وَذُبَابُ السَّيْفِ طَرَفُهُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ. وَذُبَابُ الْعَيْنِ إِنْسَانُهَا. وَالذُّبَابَةُ الْبَقِيَّةُ مِنَ الدِّين. وَذَبَّبَ النَّهَارُ إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا بَقِيَّةٌ. وَالتَّذَبْذُبُ التَّحَرُّكُ. وَالذَّبْذَبَةُ نَوْسُ الشَّيْءِ الْمُعَلَّق فِي الْهَوَاءِ. وَالذَّبْذَبُ الذَّكَرُ لِتَرَدُّدِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ (مَنْ وُقِيَ شَرَّ ذَبْذَبِهِ). [وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ، أَعْنِي قَوْلَهُ: وَفِي الْحَدِيثِ]. (وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ) الِاسْتِنْقَاذُ وَالْإِنْقَاذُ التَّخْلِيصُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانُوا يَطْلُونَ أَصْنَامَهُمْ بِالزَّعْفَرَان فَتَجِفُّ فَيَأْتِي فَيَخْتَلِسُهُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانُوا يَجْعَلُونَ لِلْأَصْنَامِ طَعَامًا فَيَقَعُ عَلَيْهِ الذُّبَابُ فَيَأْكُلُهُ. (ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) قِيلَ: الطَّالِبُ الْآلِهَةُ وَالْمَطْلُوبُ الذُّبَابُ. وَقِيلَ بِالْعَكْسِ. وَقِيلَ: الطَّالِبُ عَابِدُ الصَّنَم، وَالْمَطْلُوبُ الصَّنَمُ، فَالطَّالِبُ يَطْلُبُ إِلَى هَذَا الصَّنَمِ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَالصَّنَمُ الْمَطْلُوبُ إِلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ:" وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً" رَاجِعٌ إِلَى أَلَمِهِ فِي قَرْص «٣» أَبْدَانِهِمْ حَتَّى يسلبهم الصبر لهم وَالْوَقَارَ مَعَهَا. وَخُصَّ الذُّبَابُ لِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ تَخُصُّهُ: لِمَهَانَتِهِ وَضَعْفِهِ وَلِاسْتِقْذَارِهِ وَكَثْرَتِهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الَّذِي هُوَ أَضْعَفُ الْحَيَوَان وَأَحْقَرُهُ لَا

يَقْدِرُ مَنْ عَبَدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِ مِثْلِهِ وَدَفْعِ أَذِيَّتِهِ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا آلِهَةً مَعْبُودِينَ وَأَرْبَابًا مُطَاعِينَ. وَهَذَا من أقوى حجة وأوضح برهان.

٣/ وقوله تعالى: (**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ. إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ. إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**).[١١٥]

(وَهَذَا أَيْضًا مِنْ قُدْرَتِهِ التَّامَّةِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ فِي تَسْخِيرِهِ اللَّيْلَ بِظَلَامِهِ، وَالنَّهَارَ بِضِيَائِهِ، وَيَأْخُذُ مِنْ طُولِ هَذَا فَيَزِيدُهُ فِي قِصَرِ هَذَا فَيَعْتَدِلَانِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مِنْ هَذَا فِي هَذَا، فَيَطُولُ هَذَا وَيَقْصُرُ هَذَا، ثُمَّ يَتَقَارَضَانِ صَيْفًا وَشِتَاءً وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ أَيْ وَالنُّجُومَ السَّيَّارَاتِ، وَالثَّوَابِتَ الثَّاقِبَاتِ، بِأَضْوَائِهِنَّ أجرام السموات، الْجَمِيعُ يَسِيرُونَ بِمِقْدَارٍ مُعَيَّنٍ، وَعَلَى مِنْهَاجٍ مُقَنَّنٍ مُحَرَّرٍ، تَقْدِيرًا مِنْ عَزِيزٍ عَلِيمٍ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَيْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ أَيِ الَّذِي فَعَلَ هَذَا هُوَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أي من الأصنام والأنداد الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةِ مَنْ تَزْعُمُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَعَطَاءٌ وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ: الْقِطْمِيرُ هُوَ اللِّفَافَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى نواة التمرة، أي لا يملكون من السموات والأرض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير). ثم قال تعالى: (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ) يَعْنِي الْآلِهَةَ التي تدعونها من دون الله لا تسمع دُعَاءَكُمْ، لِأَنَّهَا جَمَادٌ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ أَيْ لَا يَقْدِرُونَ على شيء مما تَطْلُبُونَ مِنْهَا وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ أَيْ يتبرؤون مِنْكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

[١١٥] سورة فاطر، الآيات رقم: ١١- ١٦.

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ وَإِذا حُشِرَ النَّاسُ كانُوا لَهُمْ أَعْداءً وَكانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ)[116] وَقَالَ تَعَالَى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا).[117] وَقَوْلُهُ تعالى: وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ أَيْ وَلَا يُخْبِرُكَ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَآلِهَا وَمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ مِثْلُ خَبِيرٍ بِهَا. قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي نَفْسَهُ تَبَارَكَ وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محالة). [118] وكل ما تقدم يدلل على ما حقيقةِ ما حررناه من حتميَّةِ تحرُّرِ الإنسانِ من قيودِ التقليدِ الأعمَى، ولزوم الاهتداءِ بتعاليمِ القرآن الكريم، والسُّنَّةِ الشَّريفةِ في جوانب الحياةِ كافة –بما في ذلك الجانب الثقافي والذي يحوي موضوعَ الأمثالِ–، وقد اجتهدتُ في تأصيلِها؛ من أجلِ أن ينسجمَ مع رُوحِ الشرعِ، ويتناغم مع ثقافةِ الإنسانِ السنغالي خاصةً، والإفريقي عامة؛ بل ويشمل ذلكَ جميعَ البشرية أينما وجدوا؛ لتشابُهِ الأمثالِ في جميعِ أنحاءِ المعمورةِ –كما أسلفتُ–؛ مما يدل على ضرورتِها لكل مجتمعٍ.

وفي تقديري، أنَّ الأمةَ الإسلاميةَ لا تحتاج إلى التأصيلِ الإسلاميِّ في الثقافةِ – فحسبُ–؛ بل في الاقتصادِ، والإعلامِ، والسياسةِ، وشتَّى الجوانبِ؛ سِيَّمَا في هذه الأزمنة المتأخرة التي دخل الغثُّ والسمينُ فيها علينا؛ نتيجةً لعواملَ كثيرةٍ، من أهمِّها: الغزوُ الفكري، والثقافي من أعداءِ الإسلامِ في الدَّاخِلِ، والخارجِ، ووسائل الإعلام الجماهيري غيرِ الهادفِ كالصحافةِ، والمجلَّةِ، والراديو، والتلفاز، والسينما، والهاتف، والشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)/ (Internet)، و((الإعلام الجديدِ)) الذي أضحى فيه المتلقي مُشَارِكاً في صُنعِ الخبرِ؛ بل صانعاً له كما شُوهِدَ ذلك في أحداثِ ((الربيع العربي)) ...، مثل الفيسبوك، والتويتر، واليوتيوب، والإسكايبي، ورصيفاتِها من شبكاتِ التواصل الاجتماعي ((Social Media))، وقس على ذلك العوامل الأخرى التي قَضَّتْ على مضجعِ الكثيرِ من تعاليمِ الإسلام وقِيَمِهِ السمحةِ؛ الأمرُ الذي يُحتِّمُ علينا مزيداً من العنايةِ في هذا البابِ. و((التأصيلُ الإسلاميُّ)) مسلكٌ صعبٌ، يَحتاجُ لعلومٍ كثيرةٍ، ومهاراتٍ

---

[116] سورة الْأَحْقَافِ: الآيات رقم: ٥ - ٦.

[117] سورةُ مَرْيَمَ: الآيات رقم: ٨١ - ٨٢.

[118] تفسير ابن كثير، ج/ ٦، ص: ٤٧٨.

عديدةٍ، لا تقوَى عليها مثل بضاعتِي المزجاةِ؛ ولكنِّي لَمَّا رأيتُ ندرةَ الكتاباتِ في هذا المجال –حسب علمي–، وخشيتُ كتمان العلمِ؛ تَطَفَّلْتُ على أهلِ العلمِ الرَّبَّانيين؛ لعلِّي أُنظَم في سلكهم، وأحشرَ في عدادِهم؛ فقد بلغنا عن نبيِّنا محمد –صلى الله عليه وسلم بأنَّهُ ((يُحشَرُ المرءُ مع من أحبَّ)).

هذا، وقد نازعَ البعضُ في مصطلح ((التأصيلُ الإسلاميُّ))، وخاضَ في ذلك؛ ولكن المقصود هاهنا هو إرجاعُ الأمثال إلى أصولِها الإسلامية، ولا مشاحة في الاصطلاح.

وقد تبين لي؛ بعدَ استقرائِي للأمثالِ التي انتهيتُ إليها –بما في ذلك الأمثال الولوفية–؛ أنها تنقسمُ إلى ((إيجابيةٍ)) مُوافقةٍ للقِيَمِ الإسلاميةِ، و((سلبيةٍ)) مُخالفَةٍ لها، وذلك شأنُ أمثالِ العالمِ كافةً.

وفي السطورِ التاليةِ شُرُوعٌ في بيانِ الأمثال الولوفية ((الإيجابية)) وذلك هو المقصودُ من الكتابِ؛ ولكنَّ ما تقدَّمَ من الأهميةِ بمكانٍ؛ من أجلِ وضعِ القارئِ الكريم في صُورَةِ حيثيَّاتِ تلك الأمثال؛ حتى يتسنى له ربط ما تقدم بما سيأتي؛ الأمرُ الذي سيُعينُهُ على الفهم الصحيح لها بعيداً عن اللَّبْسِ، والغموضِ. ولتتشابهِ أمثالِ العالمِ؛ كان لا بدَّ من ربطِ بعضِها ببعضٍ، كوصلِ الأقطارِ بعضِها ببعضٍ؛ لأن العالَم قد أصبحَ في العصرِ الحديثِ ((قريةً كونيةً صغيرةً)) على حَدِّ تعبيرِ عالمِ الاتِّصالِ الشَّهيرِ ((مارشال ماكلوهان))؛ لا بل ((شاشةً صغيرةً)) في يومِ النَّاسِ هذا، كما نَبَّهَ عليهِ جهابذَةُ أساتذةِ الاتِّصالِ.

المبحث الخامس

الأمثال الولوفية الإيجابية

لا يُمكن الإحاطةُ بأمثالِ مجتمعٍ من المجتمعاتِ في مثلِ هذا البحث -أو غيرِهِ، وليس ذلك من أغراضِ البحث؛ لأنَّ ذلك يحتاجُ إلى أسفارٍ وأسفارٍ، أو مجلداتٍ ضخامٍ؛ وإنَّما المقصودُ ذكر بعضِها، والتدليلِ بها على باقيها، مع بيانِ المثلِ وشرحهِ شرحًا متوسطًا؛ تجنباً للإطالةِ المملةِ، والاختصارِ المخلِّ، ولا يطنب البَاحثُ؛ إلا إذا تطلَّبَ الأمرُ ذلك؛ فيأتي بما يُناسبُ المقامَ.

والمنهج الذي ارتأيتُهُ في عرضِ الأمثالِ هو أنِّي أذكر موضوعَ المثلِ، وأُتبِعُ ذلك بالترجمةِ الحرفيةِ له؛ من أجلِ أن يقفَ القارئُ الكريمُ على طرائِقِ تعبيرِ جماعةِ الولوف للُغتِها –عامَّةً-، ولأمثالِها- خاصة-؛ وليس بالضرورةِ أن يكون هنالك تطابُقٌ بين اللغتينِ (الولوفية، والعربيَّةِ)؛ للأسبابِ التاليةِ:

١/ لاختلافِ طبيعةِ اللغتينِ: ومعرفةُ ذلك أمرٌ في غايةِ الأهميَّةِ؛ من أجلِ أن يستفيدَ الباحثونَ منه في مجالِ علمِ اللغة التطبيقي -خاصةً-؛ لإجراءِ المزيدِ من ((الدراساتِ التقابليةِ)) الجادة؛ من أجلِ استخراجِ أوجهِ الشبهِ بينَ اللغتينِ، ولتستفيد كل واحدة منهما من الأُخرى؛ مما يعزِّزُ مِن ثرائهما العجيبِ، وخاصة العربية التي لا تُضارعُها في الثَّراءِ، والجمالِ لغةٌ أُخرَى، بشهادةِ العربِ، والمنصفينَ من الناطقين باللغاتِ الأُخرى.

٢/ ثم من عوامل عدم التطابقِ: أنَّ ((من ترجمَ خَانَ)) -لا محالةَ- كما يقول المثل الفرنسي الشهير: (Qui traduit; trahuit).

٣/ وقضية ثالثة: فحواها أنِّي عمدتُ إيرادَ الترجمةِ الحرفيةِ؛ من أجلِ أن أوردَ بعدها دلالةَ المثلِ، وتأصيلَهُ، وفي ذلكَ من الأبعادِ، والظلال ما لا يخفى على القارئِ الكريمِ.

٤/ ثم إن هناك أمور أُخرى في نفسِ يعقوبَ قضاها، نحيل المطلع على الكتابِ على كشفِ جوانبِ تشويقِها، وجاذبيَّتِها، ورونقِها، وإبهارِها، واللَّهُ المُستعانُ، وبهِ التُّكلانُ:

١/ ما قيلَ في النيَّةِ:

Yéné Négla, boromamathiey fanane

الترجمة الحرفية للمثلِ:

النيّةُ دارٌ، صاحبُها هو الذي يبيتُ فيها.

دلالة المثل وتأصيله:

أن الجزاءَ من جنسِ العملِ، فإذا نَوى الإنسانُ لأخيهِ خيراً، أو أضْمرَ له شرًّا؛ فإنّ ما نواه لأخيهِ مُصيبُهُ لا محالةَ.

وهذا المعنَى في غايةِ الصِّحَّةِ، ويُؤيِّدُهُ آياتٌ كثيرةٌ من القرآنِ الكريمِ، منها قوله تعالى: ﴿**فمن يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً؛ يرَه، ومن يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ شرًّا؛ يرَه**﴾،[١١٩] ﴿**كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة**﴾[١٢٠]. ويدل على ذلك أحاديث كثيرة من السنة، منها: "**إنما الأعمال بالنياتِ، وإنما لكلِّ امرِئٍ ما نوَى**، ..."،[١٢١] ورُويَ: ((**بالنِّيَّةِ**)). والمعلوم أنَّ الناسَ يُبعَثون على نياتِهم. وهذا المثل من أكثرِ الأمثالِ تداولاً بينَ النّاطقينَ باللغةِ الولوفيةِ، ويرشدُ المثلُ إلى أن يحبَّ وينوي المرءُ لأخيه الخيرَ، وعليه أن يبتعدَ من أن ينويَ لهُ الشرَّ؛ فإنّ ذلك لامَحالةَ سينالُهُ، أو سيُصيبُهُ، وإنّ الملائكةَ قائلةٌ لهُ –في الحالتينِ-: ((ولك بمثلٍ)). ويؤيد هذا المثل المثلُ الولوفي الآخر الذي يقول:

Deretoo nop doomoye mbagoom borom

أي: أنه إذا جرح الإنسانُ أذنيهِ مما يقابل كتفيه؛ فلا يتجاوز ذلك كتفيهِ. كما يوافق ذلك المثل الولوفي الآخر القائل: Looway rendi; moonathi thi lokhom

أي: كل ما ذبحه الإنسان، فإن الدم سيسيل في يَدَيْهِ. وكل هذه الأمثلة بمعنًى. والمعلومُ أنه بـ((النِّيةِ))؛ تنقلبُ العادات إلى عباداتٍ، وبسببِ عدمِ اصطحابها؛ فإنَّ العباداتِ تتحوَّلُ إلى عاداتٍ؛ واشتُهِرَ عن بعضِ السَّلفِ: ((إني لأحتسبُ نَوْمَتِي؛ كما أحتَسبُ قَوْمَتِي))، ومن القواعدِ الفقهية الكليةِ الكُبرى الشهيرة قاعدةُ: ((الأمور بمقاصدِها))، ويندرجُ تحتها العديدُ من القواعدِ الجزئيةِ كما هو معلوم في ((القواعدِ الفهيةِ))؛ فالنيةُ شأنُها عظيمٌ؛ إذ ما من عمل إلا ويفتقرُ إلى النية، ثم إنها هي التي تحدد المصير، وبها قَبُولُ

---

[١١٩] سورة الزلزلة، الآيات رقم:٧- ٨.

[١٢٠] سورة المدثر، الآية رقم: ٣٨.

[١٢١] متفق عليه، النووي، الأربعون النووية، وغيره من كتب السنن..

الأعمال، وردُّها. وإنَّ مدارَ الإسلامِ على بضعِ أحاديث منها الحديث المذكور كما صـرَّحَ بذلك غيرُ واحدٍ من أهلِ العلمِ.[١٢٢] ويكفـي ذلـك في الدلالـة علـى فضـلِها، ومكانتِهـا، وشرفِها؛ ولذلك كانَ العلمـاء يفتتحـون بـه مصـنَّفاتِهم؛ لكـي يَتَنَبَّهُـواْ عـن هـذا الشـأن العظيم؛ ولأنه لا يقبل الله من الأعمال؛ إلا ما كان لهُ خالصاً، وعلى السُّنَّةِ صَـوَاباً. وقـد حُقَّ لي -بعد ما تقدم- أن أُصَدِّرَ الأمثالَ الولوفية بتلـك الـتي تشـيرُ إلى موضـوعِ النيـةِ، وتحثُّ عليهِ؛ جريا على سنة علمائنا الأفاضل:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا ياجرير المجامعُ

وصدقَ الشاعرُ حينَ قالَ:

أَبي الإسلامُ -لا أبَ لي سواهُ- ... إذا افتَخروا بقيسٍ وتميمٍ

٢/ ما قيلَ في السعيِ والحركة، والحذر منْ ضدِّهِ:

Keur Keuri moy taxa am keur

الترجمة الحرفية للمثلِ:الحركةُ إثرَ الحركةِ أو بمعنى آخر: السعيُ مرّةً بعدَ أخرى؛ من شأنِهِ أن يُكسِبَ صاحبَهُ داراً.

دلالة المثل وتأصيله:

يُرشدُ المثل إلى السّعيِ من أجلِ تحصيلِ الأرزاقِ، وعدم الرُّكون إلى سُؤالِ النّاسِ -أعطوهُ أوْ منعوهُ-؛ لأنّ من تحلَّى بالنّشاط، والحيوية، وباعدَ من الخمولِ، والكسلِ، ومسألةِ النّاسِ؛ فإنَّ ذلك يُذْهِبُ عنهُ ذلَّ السّؤالِ، ويَحميهِ من ذَهابِ ماءِ الوجهِ؛ وبالتّالي سيكسي اللهُ وجهَهُ بالنّضارةِ، وسيكون مرفوعَ الهامةِ، محبوباً في المجتمعِ؛ لأنَّهُ عضوٌ بنَّاءٌ، وقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يُقبِّل يدَ العاملِ، ويقول: ((هذه يدٌ يحبُّها اللهُ ورسولُه))، وكان كثير من علماءِ الإسلام -قديما وحديثا- ذَوي حِرَفٍ.

ويُقَالُ بأنَّ موردَ المثلِ: أنَّ أحدَهُم قابَلَ شيخاً من شيوخِ التّصوف في السنغال، فقال له: "يا شيخُ! أريد منك أن تدعوَ لي؛ من أجلِ أن أجدَ داراً آوِي إليهِ، وأسكن فيهِ"، فقال لهُ الشيخُ: يا هذا! قُلْ: "كُورْ" -وهي الكلمة الأولى من المثلِ-؛ فقالها، فأمرَهُ بإعادتِها، فإذا

[١٢٢] للاستزادة في هذا البابِ –راجع غير مأمور - مقدمة الأربعين النووية، وكتب شروح الحديث، وغيرها من كتب الشريعة.

بالرَّجلِ يقول: (**Keur keur keur keur keur**)، أي حركة، حركة، حركة، حركة، حركة/ أو سعي، سعي، سعي، سعي، سعي، فقال له الشيخ –وقد أحسنَ-: "إن لم تنقطع عن ذلك (أي من الحركة، أو السعي)؛ فستنالُ داراً عمّا قريبٍ"! ولا يخفى أن هذا أسلوبٌ تربويٌّ جيِّدٌ؛ حيث أرشده إلى السعي، والنشاط، وعدم الاتكالِ على الخلائقِ؛ فالواجبُ هو الاعتماد على النفسِ؛ طالما الإنسانُ سليمٌ، ومعافىً، وقادرٌ على العملِ.

وكلمة "كور/ Keur" في الولوفية المذكورة تعني "السعي، والحركة"، -وهو المقصود هنا-، كما تعني الدار -أيضاً-. فمن أخذ بأسبابِ بناءِ الدّارِ –بالسعيِ ، مع الدعاءِ للهِ-؛ كان له ذلك –إذا كتب اللهُ له ذلك-؛ وإن قدِّرَ له أنه يعيشُ عمرة مؤجِّراً، فعليه أن يصبرَ، ويرضى بما قسمَ اللهُ له، ولا يتضجَّر؛ لأنَّ المال مالُ الله، والكونُ كونُهُ لا يون فيهِ إلا ما يريدُ، وحسبُ الإنسانِ شرفاً أنه امتثل أمرَ الله له بالسعيِ، والضربِ في الأرضِ؛ لتحصيلِ المعايشِ، والأرزاقِ؛ خلافا لمن لم يرفع لذلك رأساً؛ فاتَّكلَ على الخلائقِ، وتذرَّعَ بالذَّرائعِ الواهيةِ، ثم تمنى على اللهِ الأماني. فالأوَّلُ: كيِّسٌ فَطِنٌ، والثاني: عاجزٌ قد فُتِن.

وعلى العموم؛ فالمطلوبُ من الإنسانِ هو السعي لتحصيلِ الرِّزقِ، والله هو الذي يبسطُ الرزقَ لمن يشاءُ، ويقدرُ لحِكمة يعلمُها، والمؤكَّدُ أنه لن يوارَى أحدُنا الثرى؛ إلا بعد استكمالِ رزقِهِ، ومُحالٌ أن يتداخلَ زرقُ عمرٍ مع رزقِ زيدٍ البتَّةَ؛ فالأرزاقُ مقسومةٌ.

٣/ ما قيلَ في حسنِ التدبير:

Gni mona kott amoognoo mbam

الترجمة الحرفية للمثلِ:

الذين يقدرون على الادخارِ، أو التدبيرِ، لا حمارَ لهم.

دلالة المثل وتأصيله:

أي: إنّ الذين يُحسنون التّدبيرَ مُبتَلَوْنَ بالإفلاسِ، والفقرِ -غالبا-؛ ولذلك لا يظهرُ أثرُ حسن التدبير في حياتِهم؛ ولكنّهُ لو قُدِّرَ لأحدِهم أن يملكَ رأسَ مالٍ؛ فإنّه سيُينجزُ إنجازاً حقيقيّاً، ولَتَحوَّلَ إلى ميسورِى الحالِ، بعدَ أن كان مُصنَّفاً في عدادِ الفقراءِ، وزُمرتِهم، وهذا ما يُفتقدُ في الكثيرِ من أهلِ الغنى الذين لا يهتدونَ إلى حُسنِ التدبيرِ

سبيلاً؛ وإنّما مِن أخصِّ سِماتِهم التبذيرُ، وجُلُّ همومِهمْ مُنصبّةٌ في تجاوزِ الحدِّ في المأكلِ، والمشربِ، والمنكحِ؛ شأنُهم في ذلك شأنُ الأنعامِ؛ بل هي أهدى منهم سبيلاً ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.[١٢٣] وعلى العموم، فإن هذه قضية إلهية، و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾،[١٢٤] وهو الحكيم الذي يضع كلَّ شيءٍ في موضعهِ اللائقِ بهِ، الخبيرُ الذي لا تَخْفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يعلم ما يصلحُ لِكلِّ أحدٍ من خلقِه: غنًى كان، أو فقراً، وهلم جرًّا ... فبعضُ الناسِ لا يصلُحُ لهم إلا الغنى، ولو ابتُلواْ بالفقرِ؛ لفسدت أحوالُهم، كما أن من الناس من لا ينفعُ معه إلا الفقر، ولو كانوا من الأغنياءِ؛ لبغَواْ في الأرضِ، وتجبَّرواْ على الخلقِ، ولقالوا مقولةَ قارونَ، وفرعون، وغيرهما من الغاوين، وكان الأجدرُ بهم أن يشكرواْ للمنعمِ –سبحانه وتقدَّستْ أسماؤُهُ– الذي أسبغَ عليهم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً، وأن يتواضعواْ لهُ –محبة، وتعظيما، وإجلالاً–، ولِلخَلْقِ –رفقاً، ومعاملةً طيبةً، وقياما على عونِهم–؛ وبذلك يتحقق لهم شُكر النعمة، والمحافظة عليها من الزَّوال، وتكتب لهم الرفعةُ، والسُّؤدُدُ، ونيل مرضاةِ اللهِ. وكلُّ ما قدر للناسِ، فهو في سابقِ علمِ اللهِ، ومُسَطَّرٌ في اللوحِ المحفوظِ: أعني أنَّ اللهَ قد علمَ في سابقِ علمِهِ أنَّ فلانًا سيَغْنَى، وأن علانًا سيفتقرُ، وأن عمرا سيكون من أهلِ الطاعة؛ فيوفق لدخولِ الجنة؛ برحمةِ اللهِ، وأنَّ زيداً سيشْقَى؛ لاختياره طريق الغواية؛ فُيحشرَ في زمرةِ أهلِ النارِ، وهكذا فمن نجا؛ فإن ذلك برحمةِ اللهِ، ومن كانَ من جملةِ الهلكى؛ فبعدلهِ، فقضى اللهُ لكلٍّ بما تسبَّبَ له بعد أن هداهُ النجدين، (وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)[١٢٥] قليلاً كان أو كثيراً كما قال العلامةُ القرطبيُّ –رحمه الله– في تفسيرِ الآيةِ: (نَفَى الظُّلْمَ عَنْ نَفْسِهِ –جَلَّ وَعَزَّ– قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ، وَ((إِذَا انْتَفَتِ الْمُبَالَغَةُ؛ انْتَفَى غَيْرُهَا))، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ الْحَقُّ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً".[١٢٦] وروى العُدول الثِّقاتُ، وَالْأَئِمَّةُ الْأَثْبَاتُ، عَنِ الزَّاهِدِ الْعَدْلِ، عَنْ أَمِينِ الْأَرْضِ، عَنْ أَمِينِ السَّمَاءِ، عَنِ الرَّبِّ جَلَّ

---

[١٢٣] سورة الفرقان آية رقم: ٤٤

[١٢٤] سورة الأنبياء، آية رقم: ٢٣

[١٢٥] سورة فصلت، آية رقم: ٤٦.

[١٢٦] سورة يونس، آية رقم: ٤٤.

جَلَالُهُ: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا)) الْحَدِيثَ. وَأَيْضًا فَهُوَ الْحَكِيمُ الْمَالِكُ، وَمَا يَفْعَلُهُ الْمَالِكُ فِي مُلْكِهِ لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ، إِذْ لَهُ التصرف في ملكه بما يريد).[127] وحاشاه –جل جلاله– أن يظلمَ الخلقَ وهو الحقُّ، والرحمن، والرحيم!

وكأنَّ المثلَ المذكورَ –بمفهومه– يقول: يا من آتاكم الله الأموالَ، والنِّعمَ المختلفة عليم بالاستهلاكِ الرشيدِ لها؛ وعليكم الأخذ بحسن التدبير المُتمثِّلِ في التخطيط السليم لها، والقيام بما يلزم تجاهها، ولا تكونوا من المبذرين؛ فيسخطَ اللهُ عنكم، وقد يسلبُها منكم، وإن أبقاها؛ فإنه يستدرجكم من حيث لا تعلمون. وهذا ثابت في القرآنِ الكريمِ، والسنةِ المشرَّفةِ، ومعلوم، فقد قال الله: (**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**)،[128] وقد ذكر العلامة القرطبي فِي هذهِ الآيةِ أَرْبَعَ مَسَائِلَ شديدةَ التعلُّقِ بالمثلِ الولوفيِّ –الذي نحنُ بصددِ الدندنةِ حولَهُ–: الْأُولَى– قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ) هَذَا مَجَازٌ عَبَّرَ بِهِ عَنِ الْبَخِيلِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ من قلبه على إخراج شي مِنْ مَالِهِ، فَضَرَبَ لَهُ مَثَلَ الْغُلِّ الَّذِي يَمْنَعُ مِنَ التَّصَرُّفِ بِالْيَدِ. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ من حديه قَدِ اضْطَرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تَغْشَى أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ بِمَكَانِهَا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِأُصْبُعَيْهِ هَكَذَا فِي جَيْبِهِ، فَلَوْ رَأَيْتَهُ يوسعها ولا تتوسع. الثانية– قوله تعالى: (وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ) ضَرَبَ بَسْطَ الْيَدِ مَثَلًا لِذَهَابِ الْمَالِ، فَإِنَّ قَبْضَ الْكَفِّ يَحْبِسُ مَا فِيهَا، وَبَسْطَهَا يُذْهِبُ مَا فِيهَا. وَهَذَا كُلُّهُ خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ، وَكَثِيرًا مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا كَانَ سَيِّدَهُمْ،

---

[127] القرطبي، المرجع السابق، ج/١٥، ص: ٣٧٠.

[128] سورة الإسراء، آية رقم: ٢٩.

وَوَاسِطَتَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؛ عَبَّرَ بِهِ عَنْهُمْ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ.[١٢٩] وَ-أَيْضًا- فَإِنَّهُ عَلَيْهِ -الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمْ يَكُنْ يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ، وَكَانَ يَجُوعُ حَتَّى يَشُدَّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ مِنَ الْجُوعِ. وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَمِيعَ أَمْوَالِهِمْ، فَلَمْ يُعَنِّفْهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ؛ لِصِحَّةِ يَقِينِهِمْ وَشِدَّةِ بَصَائِرِهِمْ؛ وَإِنَّمَا نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْإِفْرَاطِ فِي الْإِنْفَاقِ، وَإِخْرَاجِ مَا حَوَتْهُ يَدُهُ مِنَ الْمَالِ؛ مَنْ خِيفَ عَلَيْهِ الْحَسْرَةُ عَلَى مَا خَرَجَ مِنْ يَدِهِ، فَأَمَّا مَنْ وَثِقَ بِمَوْعُودِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَجَزِيلِ ثَوَابِهِ فِيمَا أَنْفَقَهُ؛ فَغَيْرُ مُرَادٍ بِالْآيَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.[١٣٠] وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، عَلَّمَهُ فِيهِ كَيْفِيَّةَ الْإِنْفَاقِ، وَأَمَرَهُ بِالِاقْتِصَادِ. قَالَ جَابِرٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ: جَاءَ غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ أُمِي تَسْأَلُكَ كَذَا، وَكَذَا. فَقَالَ: "مَا عِنْدَنَا الْيَوْمَ شيٌ". قَالَ: فَتَقُولُ لَكَ اكْسُنِي قَمِيصَكَ، فَخَلَعَ قَمِيصَهُ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَجَلَسَ فِي

---

[١٢٩] ومعلومٌ أن ((كلَّ خطابٍ للنبيّ محمدٍ -ﷺ- فهو خطابٌ لأمته؛ إلا ما اختُصَّ بهِ))، مثل زواجِهِ بأكثرَ من أربعِ زوجاتٍ، ونحو ذلك مما هو خاصٌّ به. وقد يأتي الخطابُ للنبي -عليه الصلاةُ والسلامُ- ويكون المقصود عمومُ الأمةِ -لا شخصه الكريم-؛ لاستحالةِ وقوع ذلك منه؛ فيكون ذلك من بابِ المثلِ العربيّ الشهيرِ: ((إياكَ أعني، واسمعيني يا جارة))، وتلك مسائلُ معلومة، وفيها خلافٌ لدى بعضِهم؛ وعند التأمُّلِ يتضحُ أنَّ ذلك خلافُ تنوُّعٍ لا نزاعُ تضادٍ، وقد كفانا علماؤُنا مؤنة تحريرِ ذلك في كُتُبِهم -جزاهم الله خيرًا-؛ وراجع -غيرَ مأمورٍ- كُتبَ التفاسيرِ، وشروحَ الحديثِ، والفقهَ الإسلاميَّ، وأصولَهِ، والقواعدَ الفقهيَّة -خصوصا-، وعلوم الشريعة، والعربية ... -عموماً-، والله أعلى، وأجل، وأعلم.

[١٣٠] وهذا كصنيعِ سيدنا أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، وكثير من الصحابة -رضي اللهُ عنهم وأرضاهُم- ساعةَ أنفقوْا جميعَ أموالِهم، تاركين أهاليهم للهِ ورسوله، فمن كان إيمانه مثل إيمان أبي بكر ونحوِهِ، وأمِنَ بذلك عدمَ الافتتانِ من أهلِهِ؛ جازَ له أن ينفقَ جميعَ ماله كما جازَ لمن قبلهُ من الصحابةِ الكرامِ المذكورين، وهذا ما نصَّ عليهِ العلامةُ القرطبيُّ، وقد أشارَ إليهِ غيرُ واحدٍ من أهلِ العلمِ. وهذا واضحٌ وضوحَ الشَّمسِ في رابعةِ النَّهارِ؛ ولكنَّهُ من الواضحِ أنَّ الذينَ يبلغونَ منزلةَ أبي بكرٍ -وأضرابِهِ- في هذا البابِ هم قليلون؛ لا بل نادرونَ، وإن وُجدواْ فأنَّى لنا أن نأمَنَ مِن أنَّ عيالَهم بذلك لا يفتَتِنونَ، وقُصارَى القول في هذا المقامِ هو: أنه ينبغِي عدم صرف جميع ما تملك؛ ودَعْ شيئا لأهلك؛ وبذلك تكون قد حَصَّنْتَهُم من وُرودِ المهالك؛ فإن كان عمرُ الفاروقُ قد عجز عن لُحُوقِ أبي بكرٍ؛ فكيفَ بمن دونَه من متقدّمٍ أو متأخِّرٍ؟!

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فتشبَّهواْ إن لم تكونو مثلهم ... إن التشبُّه بالكرامِ فلاحُ

الْبَيْتِ عُرْيَانًا. وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ: فَأَذَّنَ بِلَالٌ لِلصَّلَاةِ وَانْتَظَرَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَخْرُجُ، وَاشْتَغَلَتِ الْقُلُوبُ، فَدَخَلَ بَعْضُهُمْ فَإِذَا هُوَ عَارٍ؛ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَكُلُّ هَذَا فِي إِنْفَاقِ الْخَيْرِ. وَأَمَّا إِنْفَاقُ الْفَسَادِ فَقَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ حَرَامٌ.

الثَّالِثَةُ- نَهَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَنِ اسْتِفْرَاغِ الْوُجْدِ فِيمَا يَطْرَأُ أَوَّلًا مِنْ سُؤَالِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِئَلَّا يَبْقَى مَنْ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ لَا شي لَهُ، أَوْ لِئَلَّا يُضَيِّعَ الْمُنْفِقُ عِيَالَهُ. وَنَحْوُهُ مِنْ كَلَامِ الْحِكْمَةِ: مَا رَأَيْتُ قَطُّ سَرَفًا؛ إِلَّا وَمَعَهُ حَقٌّ مُضَيَّعٌ. وَهَذِهِ مِنْ آيَاتِ فِقْهِ الْحَالِ فَلَا يُبَيِّنُ حُكْمُهَا؛ إِلَّا بِاعْتِبَارِ شَخْصٍ شَخْصٍ مِنَ النَّاسِ.

الرَّابِعَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً) قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: يَقُولُ لَا تُسْرِفْ، وَلَا تُتْلِفْ مَالَكَ؛ فَتَبْقَى مَحْسُورًا مُنْقَطِعًا عَنِ النَّفَقَةِ، وَالتَّصرُّفِ، كَمَا يَكُونُ الْبَعِيرُ الْحَسِيرُ، وَهُوَ الَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ؛ فَلَا انْبِعَاثَ بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:" يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ"[131]، أَيْ كَلِيلٌ، مُنْقَطِعٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَيْ نَادِمًا عَلَى مَا سَلَفَ مِنْكَ؛ فَجَعَلَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ، وَفِيهِ بُعْدٌ.[132]

كما نهى عن التبذير أشدَّ المنع فقال: (**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**).[133] (وَلا تُبَذِّرْ) أَيْ: لَا تُسْرِفُ فِي الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ حَقٍّ. قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: وَالتَّبْذِيرُ إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَلَا تَبْذِيرَ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ. وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ. وَقَالَ أَشْهَبُ عَنْ مَالِكٍ: التَّبْذِيرُ هُوَ أَخْذُ الْمَالِ مِنْ حَقِّهِ، وَوَضْعِهِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَهُوَ الْإِسْرَافُ، وَهُوَ حَرَامٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُواْ إِخْوانَ الشَّياطِينِ) وقوله: (إِخْوانَ) يَعْنِي أَنَّهُمْ فِي حُكْمِهِمْ؛ إِذِ الْمُبَذِّرُ سَاعٍ فِي إِفْسَادٍ، كَالشَّيَاطِينِ، أَوْ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا تُسَوِّلُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ، أَوْ أَنَّهُمْ يُقْرَنُونَ بِهِمْ غَدًا فِي النَّارِ، ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ. وَالْإِخْوَانُ هُنَا جَمْعُ أَخٍ مِنْ غَيْرِ النَّسَبِ، وَمِنْهُ قوله تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**).[134] وقوله تعالى: (وَكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً) أي احذروا متابعة وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي

---

[131] سورة الملك، آية رقم: ٤.

[132] القرطبي، مرجع سابق، ج/ ١٠، ص: ٢٤٩، بتصرف.

[133] سورة الإسراء، الآيات رقم: ٢٦ - ٢٧.

[134] سورة الحجرات، آية رقم: ١٠.

الْفَسَادِ. وَالشَّيْطَانُ اسْمُ الْجِنْسِ. وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ" إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ" عَلَى الِانْفِرَادِ، وَكَذَلِكَ ثَبَتَ فِي مُصْحَفِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-. الثَّالِثَةُ- مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الشهوات زائدة عَلَى قَدْرِ الْحَاجَاتِ وَعَرَّضَهُ بِذَلِكَ لِلنَّفَادِ؛ فَهُوَ مُبَذِّرٌ. وَمَنْ أَنْفَقَ رِبْحَ مَالِهِ فِي شَهَوَاتِهِ وَحَفِظَ الْأَصْلَ أَوِ الرَّقَبَةَ فَلَيْسَ بِمُبَذِّرٍ. وَمَنْ أَنْفَقَ دِرْهَمًا فِي حَرَامٍ فَهُوَ مُبَذِّرٌ، وَيُحْجَرُ عَلَيْهِ فِي نَفَقَتِهِ الدِّرْهَمَ فِي الْحَرَامِ، وَلَا يُحْجَرُ عَلَيْهِ إِنْ بَذَلَهُ فِي الشَّهَوَاتِ إِلَّا إذا خيف عليه النفاد).[136]

وإن تعجَبْ –أيها القارئ الكريم-؛ فعجبٌ من ((ظاهرة التبذير)) التي فاقت وصفَ الواصفينَ في زماننا المعاصر؛ وقد عُدَّتْ دليل إكرامٍ، وطيبٍ، وخيرٍ، وسَعَةٍ –مع شديدِ الأسفِ-، ولم يسلَمْ من ذلك حتى العديد من الثقافاتِ العربيةِ، والإسلاميةِ، سواءً في الأفراحِ، أو أتراحِ، أو المناسباتِ العامةِ، والخاصةِ، وهم يتلون الكتابَ أفلا يعقلونَ؟!

وقد تَحَوَّلَ كثيرٌ مِن المآتِمِ في كثيرٍ من الأريافِ والعواصمِ إلى شِبْهِ أعراسٍ وولائمَ؛ من كثرةِ ما فيها من البَذَخِ والتبذير، مخالفينَ في ذلك تعاليمَ القُرآنِ العظيم، وسُنَّة البشيرِ النَّذير؛ ما أفضَى إلى حُلولِ نكباتٍ قاصمةٍ للظُّهور مُتمثِّلةً في الأزمةِ الاقتصاديةِ العالمية التي ذاقَ النَّاسُ ويلاتِها-ولا يزالونَ-، وغير ذلك من الكوارثِ الطبيعية، والبيئيَّةِ، والسياسية، والدينية، والاجتماعية، والثقافية...، ولن تُرفعَ إلَّا بتوبةٍ! ومن خفيَ عليهِ التلازمَ الشديدَ بينَ القِيَمِ وبينَ ما عليهِ أحوالُ الشعوبِ والأمم؛ فليُراجِع قولَ الباري في التنزيل: (**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا؛ لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ مَا يَعْمَلُونَ**).[137] (لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: يَعْنِي الْمَطَرَ، وَالنَّبَاتَ،

---

[135] ومن هذا قولُ المثل العربي الشهير: ((رُبَّ أخٍ لك لم تلِدْهُ أمُّكَ)). وقد عُلِمَ من واقعِ تجاربِ النَّاسِ مصداقية هذا المثلِ، وأضرابِهِ، وكلُّ ذلك يعضِّدُ معنًى أهميَّةِ الأُخُوَّةِ من غيرِ النَّسَبِ، وأنَّهُ فائقٌ في أحيانٍ كثيرةٍ أُخُوَّةَ النَّسبِ!

[136] القرطبي، مرجع سابق، ج/ ١٠، ص: ٢٤٧ فما بعدها.

[137] سورة المائدة، الآيتان: ٦٥ - ٦٦.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا فِي جَدْبٍ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لوسَّعْنَا عليهم في أرزاقهم، ولأكلوا أَكْلًا مُتَوَاصِلًا، وَذِكْرُ فَوْقَ وَتَحْتَ لِلْمُبَالَغَةِ فِيمَا يُفْتَحُ عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ: (**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**)، [138] (**وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ مَاءً غَدَقاً**)،[139] (**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ**)؛ [140] فَجَعَلَ تَعَالَى التُّقَى مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَوَعَدَ بِالْمَزِيدِ؛ لِمَنْ شَكَرَ، فقال: (**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**). [141] ثم أخبر تعالى أن منهم مقتصدا- وهم الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ كَالنَّجَاشِيِّ وَسَلْمَانَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سلام اقتصدوا فلم يَقُولُوا فِي عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَّا ما يليق بهما. وقد: أَرَادَ بِالِاقْتِصَادِ قَوْمًا لَمْ يُؤْمِنُوا؛ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْذِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالِاقْتِصَادُ: الِاعْتِدَالُ فِي الْعَمَلِ، وَهُوَ مِنَ الْقَصْدِ، وَالْقَصْدُ إِتْيَانُ الشَّيْءِ، تَقُولُ: قَصَدْتُهُ وَقَصَدْتُ لَهُ وَقَصَدْتُ إِلَيْهِ بِمَعْنًى. (ساءَ مَا يَعْمَلُونَ) أَيْ بِئْسَ شي عَمِلُوهُ، كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَحَرَّفُوا الْكُتُبَ وَأَكَلُوا السُّحْتَ). [142] وفي تفسير القرطبي -كذلك- قوله: تعالى: (**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ؛ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ**)،[143] (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى) يُقَالُ لِلْمَدِينَةِ قَرْيَةٌ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا. مِنْ قَرَيْتُ الْمَاءَ إِذَا جَمَعْتُهُ. (آمَنُوا) أَيْ صَدَّقُوا. (وَاتَّقَوْا) أَيِ الشِّرْكَ. (لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ) يَعْنِي: الْمَطَرَ وَالنَّبَاتَ. وَهَذَا فِي أَقْوَامٍ عَلَى الْخُصُوصِ جَرَى ذِكْرُهُمْ. إِذْ قَدْ يُمْتَحَنُ الْمُؤْمِنُونَ بِضِيقِ الْعَيْشِ وَيَكُونُ تَكْفِيرًا لِذُنُوبِهِمْ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: (**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً** ...)،[144] وَعَنْ هُودٍ (**ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً**)؛[145]

---

[138] سورة الطلاق، آية رقم: ٢ - ٣.

[139] سورة الجن، آية رقم: ١٦.

[140] سورة الأعراف، آية رقم: ٩٦.

[141] سورة إبراهيم، آية رقم: ٧.

[142] القرطبي، مرجع سابق، ج/ ٦، ص: ٢٤١.

[143] سورة الأعراف، آية رقم: ٩٦.

[144] سورة نوح، الآيتان رقم: ١٠ - ١١.

فَوَعَدَهُمُ الْمَطَرَ وَالْخِصْبَ عَلَى التَّخْصِيصِ. يَدُلُّ عَلَيْهِ (وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أَيْ كذبوا الرسل. والمؤمنون صدقوا ولم يكذبوا.[146] وقد قال الله تعالى في هذا المعنَى -كذلك-: **(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا. وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)**.[147]

وعلى كلٍّ، فحسنُ التدبير ضروري للحفاظِ على المواردِ المتاحةِ؛ وإلا فإنَّ يدَ الإسرافِ ستطالُها، وبالمقابلِ فستُفسِدها عدم الإنفاقِ منه؛ لأنَّ ذلكَ سيمنعُ من نمائِهِ. وعليهِ، فلا بد أن تكون نفقة المنفقِ ((قَوَامًا)) -كما هو تعبيرُ القرآنِ الكريم-؛ وبذلك يتخلَّصُ من ((مطرقةِ)) الإسرافِ، و((سندان)) الإقتارِ؛ فسبحانَ من علَّمَ البشرية هذهِ المعادلةَ الدقيقةَ، وأرشدهم إلى ما يُصلحُهم في العاجل، والآجلِ.

وتتجلَّى لنا وسطيةُ الإسلامِ في هذا الصدد -والدينُ كله كذلك-: وسطيةٌ، واعتدالٌ، وموازنةٌ رشيدةٌ، تحفظُ للفردِ حقوقَهُ، وكذلك المجتمع والأمةِ، تدلُّ على أنه من حكيمٍ، خبيرٍ. وقد جعلَ اللهُ أمةَ الإسلامِ وسطا؛ ليكونواْ شُهداءَ على النَّاسِ، ويكونَ الرسول عليكم شهيدًا. ومن هنا نعلمُ مدى افتراء الذين يتقولونَ على الإسلامِ بأنَّهُ دينُ عُنفٍ، وسيفٍ، وإرهاب، وتخلفٍ ورجعيَّةٍ، وأنه ((أفيُونُ)) التقدم الماديِّ، والتكنولوجي، والحضاري، والعصري، وسواها من الأكاذيبِ، والتشويه لصورةِ الإسلامِ الوسطية – بقصدٍ، أو بغيرِ قصدٍ–.

ولا يغيبُ عن البالِ أن ((الوسطية الشرعية)) هي المطلوبة، ولا ينبغِي اتخاذُها مَطِيَّةً لتحريفِ الإسلامِ، وجعلها مصطلحاً ((فضفاضًا)) يؤتَى الإسلامُ من قِبَلِهِ، كما أَساءَ كثيرونَ العديدَ من المصطلحاتِ الشَّرعية؛ فأخرجواْ منها ما هو من صميمِها،

[145] سورة **هود، آية رقم: ٥٢.**

[146] القرطبي، مرجع سابق، ج/ ٧، ص: ٢٥٣.

[147] سورة النساء، الآيتان: رقم: ٥- ٦.

وأدخلواْ فيها معانِيَ ليستْ منها. وليسَ لأحدٍ الحقُّ في ذلك؛ إنما ذلك حقُّ اللهِ –تعالى–، وحقُّ رسولِهِ، وأولي الأمر (وهم العُلماء، والأمراء)؛ وذلك شريطةِ أن يُطيعواْ الله، ورسوله؛ إذ طاعتُهم ليست مُستقلة؛ ولذلك لم يكرِّر اللهُ العاملَ (**وأطيعواْ**)؛ وإنما اكتفى بقوله: (**وأولي الأمر منكم**)؛ بينما كرَّرَها في قوله: (**أطيعواْ اللَّهَ**)، (**وأطيعوا الرَّسولَ**)؛ [148] وذلك لأنَّ طاعتَهما مُستقلَّةٌ، أعني: اللَّهَ، ورسولَهُ –كما بيَّنَ علماءُ الشرعِ، واللغةِ العربيةِ–، وهذا من أماراتِ تناهي دقةِ العبارةِ القرآنيةِ، وعظمةِ اللسانِ العربيِ الذي بهِ نزلَ القرآن الكريم، وقد أطبَقَ على ذلكَ عُقلاءُ العالمِ، ((والحقُّ ما شهدتْ بهِ الأعداءُ)).

هذا وقد وردَ في السنةِ الشريفةِ أحاديثُ كثيرةٌ في هذا المعنَى، تبيِّنُ للناسِ وسطيةَ الإسلامِ، وليكن المثالُ في بابِ ((الإمارةِ)): ف(عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». [149] وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عمرو بن العاص جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال: «إنه لم يكن نبي من قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتَنٌ يَرْفُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تنكشف وتجئ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ منيته وهو يؤمن با لله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ،

---

[148] سورة النساء، آية رقم: رقم: ٥٩.

[149] رَوَاهُ مُسْلِمٌ في بابِ الإمارةِ.

قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ، وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً**)، [١٥٠] قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ». [١٥١]

وكل ما ذكرته لك من مظاهرِ وسطية الإسلامِ، وما ذلك؛ إلَّا لحُسنِ تدبيرِهِ في جميعِ قضايا المادةِ والرُّوح، أو الدنيا والدِّينِ، وما ذكره المَثَلُ لا يعدو أن يكونَ من بابِ ضربِ المثال؛ وإلَّا فتبيانُهُ يحتاجُ لُمصنَّفٍ مُستقِلٍّ في مجلَّداتٍ كثيرةٍ؛ لما علمتَ أنه ما من شأنٍ من شؤونِ الإسلامِ إلا وفيهِ الوسطية المذكورة بأبهى صُوَرةٍ، وأسمَى مكانةً، وهذا ما علَّمنا إياه القرآن الحكيم فقالَ: (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**). [١٥٢] وقد سَوَّدَ من أجلِ تفسيرِ هذهِ الجزئيَّةِ من الآيةِ زُهاءَ خمسينَ أو ستِّين صفحةً العلَّامةُ الشنقيطيُّ ذكَرَ فيها جُمَلًا وَافِرَةً فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هُدَى الْقُرْآنِ لِلطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ بَيَانًا لِبَعْضِ مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، تَنْبِيهًا بِبَعْضِهِ عَلَى كُلِّهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْعِظَامِ، وَالْمَسَائِلِ الَّتِي أَنْكَرَهَا الْمُلْحِدُونَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَطَعَنُوا بِسَبَبِهَا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، لِقُصُورِ إِدْرَاكِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ حِكَمِهَا الْبَالِغَةِ، فاستهلَّ ذلك بقولهِ –رحمه اللهُ تعالى: (ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَأَجْمَعُهَا لِجَمِيعِ الْعُلُومِ، وَآخِرُهَا عَهْدًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ وَعَلَا، يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ؛ أَيِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي هِيَ أَسَدُّ وَأَعْدَلُ وَأَصْوَبُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ وَالْكَلْبِيُّ وَالْفَرَّاءُ: لِلْحَالِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الْحَالَاتِ، وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَالْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَجْمَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِيهَا جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرِ الطُّرُقِ وَأَعْدَلِهَا وَأَصْوَبِهَا، فَلَوْ تَتَبَّعْنَا تَفْصِيلَهَا عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ لَأَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِشُمُولِهَا لِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرَيِ

---

[١٥٠] سورةُ النِّسَاءِ، آية رقم: ٢٩.

[١٥١] صحيح مسلم (إمارة حديث ٤٦).

[١٥٢] سورة الإسراء، آية رقم: ٩.

الدُّنْيَا وَالْآخِرَة ...)، ثم ذكرَ التوحيد، والقصاص، وتعدد الزوجات، وتفضيلُ الذكر على الأنثى في الميراث ... مبينا حكمة ذلك، خلافا لما تتناقله الأعداء المتربصين بالإسلام من مستشرقين، وعلمانين، وجهال قصدا أو عن غير قصدٍ، وغيرهم ممن طمسَ اللهُ بصيرتَهم، وحجبَهم عن إدراكِ ما في ذلك من الخيرِ العميمِ، والأسرارِ الحكيمةِ للخليقةِ.[١٥٣]

فكلُّ ما تقدم –إذاً– يدل على ((وسطية الإسلامِ))، وحسن تدبيره ليس في النفقةِ المنصوصةِ في المثلِ الولوفي المذكور؛ بل في شؤونِ الدنيا والآخرة كافَّةً، هذا كلُّهُ من جهةٍ، ومن جهةٍ أُخرى يُفهمُ من ذلك شمولية الإسلام، وواقعيته، وربوبيته، وهذا سرُّ خلودِهِ، وهيمنتِهِ لجميعِ الشرائعِ السابقةِ.

٤/ ما قيلَ في عدم احتقارِ القليل:

Wagne thi béne lay tambalé

الترجمة الحرفية للمثلِ:

العدُّ يبدأ مِن واحدٍ.

دلالة المثل وتأصيله:

يُوصي المثلُ إلى عدمِ احتقارِ القليلِ؛ لأن القليلَ بالقليلِ يكثُرُ، وهذا المثلُ يوافقُ –أيضاً– المثلَ الفرنسيَّ الشهيرَ: (De pas à pas l'oiseau fait son nid)، والمقصودُ بهذا أن الإنسان إذا كان لديه مشروع ما –مثلًا–، فإنَّ عليه أن يصبرَ على المردودِ القليلِ الذي يأتيهِ منه في بادِئِ الأمرِ؛ لأنّه معَ مرورِ الزمن سيتنامَى، ويصير كثيرا بعدَ قلةٍ، وقوة بعدَ ضعفٍ، ولأنّ من أراد العدَّ؛ فإنه –لا محالةَ– سيبدأ بواحدٍ، اثنان، ثلاثة ... وهكذا حتَّى يبلغَ العادُّ العشرات، والمئات، والألوف، والملايين؛ بل والبلايين وهكذا. ونظيرُ المثل الولوفي من الأمثالِ العربيَّةِ: ((الضربَاتُ الصغيرةُ تقطعُ الأشجارَ العالية)).

ولا يخفى أن هذا المثل يُلَخِّصُ لنا سنة الله في كونه في هذا البابِ، وهي معلومةٌ، فالصبرُ على البداياتِ المُتواضعةِ حتَّى يأذنَ اللهُ بنُمُوِّهَا شأنٌ لا بُدَّ منهُ، والصَّبرُ مِفتاحُ الفَرَجِ، وهو أحسن صنوفِ العطايا، وقد شهدَ التاريخُ أن اللهَ تعالى قد فتحَ وفرَّجَ عنِ

[١٥٣] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، باب/٩، ج/ ٣، ص: ١٧.

الصَّابرين. وأما المستعجلينَ، والذين لا يرضون بقدر اللهِ؛ فإن ذلك لا يُغيِّرُ من نفاذِ القضاءِ البَتَّةَ؛ بل يشقَى المستعجل، ويتعبُ، فأولى لهؤلاءِ أن يصبرواْ عند الصدمةِ الأولى، ثم إنَّ ((من استعجَلَ الشيءَ قبلَ أوانِهِ؛ عُوقِبَ بحِرْمانِهِ)) كما تقول القاعدة الشهيرة.

ولو تأملت في تجارب العظماءِ، والخالدين، ورجالِ وسيداتِ الأعمالِ، والمشاهير في كل مجال؛ لوجدتَ أنَّ كثيرًا منهم لم يكونواْ شيئا مذكورا في الزَّمانِ الأوَّلِ؛ فقد أخرجهم الله من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، ثم بدأواْ يتدرجون شيئا فشيئا؛ حتى لمعواْ في سماءِ الميادين المختلفة كافة، ودخلواْ من أوسعِ الأبوابِ في عالمِ الشُّهرةِ، وتربَّعواْ على كرسي النَّجاحِ،[١٥٤] والأمثلةُ في هذا البابِ فوقَ الحصرِ، ودونكَ بضع أمثلة:

١/ فهذه أم المسيحِ لَّما حملت منه، وانتبذت به من أهلها ذلك المكان القَصِيّ، وبُليت ما بُليتْ بهِ من صنوفِ الاختبارِ؛ لدرجة أنها تمنَّت لو كانت نسيًا منسيًّا؛ ومع كل ذلك؛ صبرت ...؛ (**فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا**).[١٥٥] وهكذا، فقد واصلت في صبرها، وتدرجها مع قومها شيئا فشيئا؛ حتى أذن الله بمجيءِ اليومِ الذي يقتنعون فيه بصدقِ خبرِها؛ بل وبشرها بولادةِ ابنها المسيح عيسى –عليهما الصلاة والسلام–، وأكرمهما بأن جعله نبيا رسولاً، وقبلَ ذلك منَّ عليها بأن تكلَّم في المهدِ: (**قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا. ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ**

---

[١٥٤] وقد يكون ((النجاح)) حقيقيًّا، أو مزعومًا، فما كلُّ من وُصِفَ بالنجاحِ في الدنيا ناجحٌ؛ والمؤكَّدُ أنَّ النجاحَ الحقيقي هو الذي يحقق ويفوزُ بررضوانِ الله، ويكون سببا لأن يُزَحزَحَ صاحبُهُ عن النارِ، ويُدخلَ الجنةَ –بعد رحمةِ اللهِ تعالى -؛ ومن هنا نعلم أن النجاحَ في كرةِ القدم -مثلًا- ؛ إذا كان صاحبه للإسلامِ لا يرفعُ رأسا؛ لا يُجديه، وقِسْ على ذلك السينمائي، والمذيع، والروائي العالمي، والفنان الموسيقار، والمدرب المعتمد والمحترف والدولي ((الناجحون))، كلٌّ يُقاسُ عملُهُ بحسبِ قربه وبُعدِهِ لدين الإسلام، وتطبيقِ سنة سييد ولد عدنان، عليه الصلاة والسلام ومن تبعه إلى يومِ الدينِ بإحسان، فلا تكونَنَّ من الجاهلينَ.

[١٥٥] سورة مريم، الآيات رقم: ٢٤- ٢٦.

أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)؛ [156] وبذلك أزاحَ عيسى –عليهِ وعلى أمهِ السلام- جميعَ أضرابِ المُعاناةِ التي لاقتها، وكأنها لم تكن شيءٌ من ذلك البتَّةَ، وصارَ هو وأمها من عُظماءِ قومِهما؛ لا بل من عُظماءِ العالمِ، والخالدين في السطور والصدور أبدَ الآبدين، وقد علمتَ أن بدايتَهما كانت صعبة، ومتواضعة.

٢/ وقل مثل ذلك في نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، وإبراهيم، وبقية أولي العزم من الرسل، وسواهم، فقد كانت البداياتُ الأولى لدعوتِهم متواضعة بطبيعة الحال –شأنها شأن كل البدايات-؛ غيرَ أنهم تدرجواْ مع أقوامهم، وصبرواْ؛ حتَّى بلغ بهم الأمر إلى ما قد علمتَ ممَّا حكاهُ اللهُ عنهم في كتابهِ الكريم، وبلغت دعوتُهم ما بلغ َ الليلُ والنَّهار؛ فكانواْ فتحا عظيما للبلادِ، والعبادِ، إلى يوم التنادِ.

٣/ وكم من عالمٍ، أو مؤلف، أو محاضر عالمي، أو داعية، أو مدرب محترف، أو إعلامي مبَرَّزٍ، وشهيرٍ تسمع به، أو غيرهم ممن سلكوا طريق العلوم والمعارف والتجارب المختلفة في هذا العالم... كانت بداياته صغيرة؛ ولكنه لَمَّا عمل بمُقتضى المثل؛ أصبحَ نورَ هداية، ومصباحَ دُجًى، ورمزاً وطنيًّا، ومحليًّا، وعالميًّا.

وأعظم العظماء على الإطلاقِ محمد–صلى الله عليه وسلم-، ولقد صدقَ مايكل هارت المشتشرق الأمريكي المعروف؛ حينَ صرَّحَ قائلاً: (العظماء/ الخالدون مائة أعظمهم محمد –صلى الله عليه وسلم-) !!! ولا يخفى أن مثل هذه الشهادة لها وزنُها من مثلِ المستشرق المذكور؛ لذا عُدَّ من المنصفين؛ لأنه لا مصلحةَ له في الدفاع عن رسول الله محمد –عليه الصلاة والسلام- وهو مستشرق!

٤/ والعالم المُعاصرُ يشهدُ الكثيرَ من أصحابِ المشاريعَ العابرة للقاراتِ، أو متعدد الجنساتِ في العالم الإسلامي، والغربي، كانت بداياتُهم بأعمالٍ ومشاريعَ صغيرة، ولما علموا حقيقة هذه القضية، وعملوا من أجلها، وصبرواْ عليها؛ فتح الرحمن عليهم أبوابَ السماء، ودخلواْ التاريخ من أوسعِ أبوابهِ بعد أن كانواْ مجهولي الهوياتِ، وحققواْ بذلك أرقاما قياسية في الثراءِ !!!

---

[156] سورة مريم، الآيات رقم: ٣٠ - ٣٥.

٥/ وتنشأ البلدان متواضعة، فيجتهد الناسُ في تعميرِها –كل في موقعه، وتخصصه–؛ حتى يتحقق فيها من العمرانِ، وصنوف النهضة المادية، والصناعية، والتكنولوجية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية، والدينية ما هو فوقَ الوصفِ ... وما كان ذلك ليتحقق؛ لولا توفيق الله لهم، ثم بيقينهم بأنَّ العدَّ يبدأ مِن الواحدِ، ولذلك لا ينبغي احتقار صغائر الأشياء؛ فإن الجبال من الحصى، وصدق من قال:

كلُّ الحواثِ فمبدَأُهَا من النظر   ومعظم النار من مستصغر الشررِ

وعجزُ البيتِ ((ومعظم النار من مستصغر الشرر)) يُوافقُ تماما المثل الولوفي الذي أُدندِنُ حولَهُ.

وقد كانت جامعة إفريقيا العالمية بالخرطومِ، وجامعة أم درمان، ومعهد الخرطوم الدولي للغةِ العربية، وغيرها من جامعاتِ ومؤسسات السودانِ، والعالم مشاريعَ صغيرةً، فما لبثت أن أثمرت، وأينعت من كلِّ زوجٍ بهيجٍ مع مرِّ السنين. وما كان الذين خططوا لتلك المشاريع الناجحة يملكون كلَّ شيء؛ بل كانوا يفتقدونَ الكثير؛ وكثير منهم لم يخطر بباله مثل هذا النجاح والتوسع في الآفاق!

ولا يخفى أنهم آمنوا بالفكرة من أعماقهم، وصدقواْ بالمثلِ المذكور؛ ففاقَتِ الإنجازات فيما بعدُ كلَّ التَّوقُّعاتِ. وفي هذا عظة لمن يجول في خاطره تحقيق ما يفيد مجتمعَه، والعالَمَ، ومن أرادها سهلةً يسيرةً، وسالكةً مفروشةً بالوردودِ، بعيدًا عن طعناتِ الأشواكِ، ولسعاتِ الأفاعي، ولدغاتِ العقارب؛ فعليهِ أن يدَعَ المشاريعَ للفرسانِ، والشُّجعانِ الذين لا يريدونَ بها إلا وجهَ اللهِ، والدَّارَ الآخرةَ. ومهما تعقدت الأمور؛ إلا أنها ستُفرج للمُصرِّينَ، والأبطال المذكورين أيًّا كانت قوة وسطوة من يقف حجر عثرة أمامَ المشاريع البنَّاءةِ، مؤسساتٍ أو أفرادًا؛ لأن اللهَ هو المتكفل لذلك دونَ سواه، ومن ذا الذي ينازعُ الله شيئا في ملكه؟! إن من يجترئ على ذلك؛ فسيكون مئالُهُ كمئال أبي جهل، وأبي لهب، وامرأته حمالة الحطب، وفرعون، وقارون، وهامان، وجميع العُتاةِ والمجرمين في كل الأزمنةِ والأمكنةِ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٥/ ما قيلَ في أنهُ لا يجتمع الناسُ جميعُهم على خطأ:

Koo gnop toufli; nga toy

الترجمةُ الحرفيةُ للمثلِ:

مَنْ بَصقَهُ جَمِيعُ النّاسِ؛ فإنّ البللَ -لا محالةَ- مُصيبُهُ.

دلالة المثل وتأصيله:

ومعنَى المثل أنه لا يجتمع الناسُ جميعُهم على خطأ، فمنْ تكلَّمَ جميعُ الناسِ فيهِ بالخيرِ، وشهدواْ له بذلك؛ فهو كذلك، والعكسُ صحيحٌ؛ فـ((الناس شهداءُ اللهِ في أرضِهِ))، ولا تجتمع الأمةُ على خطأ أبداً، ومما يدل على ذلك في الكتابِ قوله تعالى:

(وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)[157] يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّمَا حَوَّلْنَاكُمْ إِلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ -عليه السلام-، واخترناها لكم لِنَجْعَلَكُمْ خِيَارَ الْأُمَمِ لِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى الْأُمَمِ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ مُعْتَرِفُونَ لَكُمْ بِالْفَضْلِ، وَالْوَسَطُ هَاهُنَا الْخِيَارُ وَالْأَجْوَدُ كَمَا يُقَالُ: قُرَيْشٌ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، أَيْ خَيْرُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطًا فِي قَوْمِهِ، أَيْ أَشْرَفُهُمْ نَسَبًا، وَمِنْهُ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَهِيَ الْعَصْرُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا. وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَسَطًا، خَصَّهَا بِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ وَأَقْوَمِ الْمَنَاهِجِ وَأَوْضَحِ الْمَذَاهِبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: هُوَ اجْتَباكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ. [158]

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقَالُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ فَذَلِكَ قوله: وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً قال: والوسط الْعَدْلُ، فَتُدْعَوْنَ فَتَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلَاغِ ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ طُرُقٍ عَنْ الأعمش. وَقَالَ

[157] سورة البقرة، آية رقم: ١٤٣.

[158] سورة الحج، آية رقم: ٧٨.

الْإِمَامُ أَحْمَدُ -أَيْضًا-: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فيقال: هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا فَيُقَالُ لَهُ: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُدْعَى محمد وَأُمَّتِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُقَالُ: وَمَا عِلْمُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نبينا فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً): قَالَ: عَدْلًا؛ لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً. وَقَالَ أَحْمَدُ -أَيْضًا-: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً قَالَ عَدْلًا.

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدَوَيْهِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عُتَيْبَةَ بْنِ نَهَّاسٍ، حَدَّثَنِي مكاتب لَنَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا وَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَوْمٍ مُشْرِفِينَ عَلَى الْخَلَائِقِ، مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَدَّ أَنَّهُ مِنَّا وَمَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ إِلَّا وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ أَيْضًا، وَاللَّفْظُ لَهُ مِنْ حَدِيثِ مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِنَازَةً فِي بني مسلمة وَكُنْتُ إِلَى جَانِبِ رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَنِعْمَ الْمَرْءُ كَانَ، لَقَدْ كَانَ عَفِيفًا مُسْلِمًا وَكَانَ ... وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتَ بِمَا تقول. فقال الرجل: الله يعلم بِالسَّرَائِرِ، فَأَمَّا الذي بَدَا لَنَا مِنْهُ فَذَاكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، ثُمَّ شَهِدَ جِنَازَةً فِي بَنِي حَارِثَةَ وَكُنْتُ إِلَى جَانِبِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِئْسَ الْمَرْءُ كَانَ إِنْ كَانَ لَفَظًّا غَلِيظًا فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ شَرًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَعْضِهِمْ: أَنْتَ بِالذِي تَقُولُ. فَقَالَ الرَّجُلُ:

اللَّهُ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ، فَأَمَّا الذِي بَدَا لَنَا مِنْهُ فَذَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ. قَالَ مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ: فَقَالَ لَنَا عِنْدَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَرَأَ (وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً). [١٥٩]

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي الْفُرَاتِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَوَافَقْتُهَا وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ فَهُمْ يَمُوتُونَ مَوْتًا ذَرِيعًا، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فمرت به جنازة فأثني على صاحبها خيرا، فَقَالَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ عليها شرا، فقال عمر: وَجَبَتْ. فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: مَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ، قُلْتُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» قال: فقلنا وثلاثة قال: فقال «وَثَلَاثَةٌ» قَالَ: فَقُلْنَا وَاثْنَان: قَالَ «وَاثْنَانِ» . ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ. وَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي الْفُرَاتِ بِهِ.

وَقَالَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَبُو قِلَابَةَ الرَّقَاشِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنِي أُمَيَّةُ بْنُ صَفْوَانَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّبَاوَةِ «١» يَقُولُ: «يُوشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا خِيَارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ» قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الحسن والثناء السيء أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ وَشُرَيْحٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ بِهِ. [١٦٠]

وجاءَ هذا المعنى مُلَخَّصًا تلخيصا مُفيدًا في تفسير السعدي –رحمهُ الله-:(لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ بأعمالكم خيرها وشرها (وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) لكونكم خير أمة أخرجت للناس، أمة وسطا عدلا خيارا، تشهدون للرسل أنهم بلغوا أممهم، وتشهدون

[١٥٩] ثم قال الحاكم: هذا صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

[١٦٠] ابن كثير، مرجع سابق، ج/١، ص: ٣٢٧.

على الأمم أن رسلهم بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه). [١٦١]وقد عُلِمَ بالتجربة بما تقدم، فمن شهد الناس جميعاً له، أو عليه؛ فهو كذلك؛ وذلك لاستحالة أن تقع الأمة كُلُّها على خطأ، أو ضلالةٍ. والعاقلُ هو الذي يجتهدُ فيما ينفعه في العاجلِ، والآجل؛ حتى يظفرَ برضوانِ اللهِ، ولا يخفى أن شهادةَ النَّاسِ له سيأتي تبَعاً لذلك؛ لما يُظهره الله للنَّاسِ من خصالِهِ الطيبةِ، ويسترُ عنه أعمالَه السيئةبتوفيقهِ ورحمتهِ؛ ولا حولَ ولا قوة باللهِ.

٦/ ما قيلَ في احترامِ رأيِ الكبيرِ: Waxoo mag munna yéndu, wayé du fanan all

الترجمةُ الحرفيةُ للمثلِ:قولُ الكبيرِ قد يَقِيلُ –من القيلولةِ–، غيرَ أنَّه لا يبيت في الخارجِ.

دلالة المثلِ وتأصيلُه: معناهُ أنَّ كلام المسنّ أو الكبير، أو الخبيرِ قد يتأخرُ تحقُّقُه؛ ولكن من المُحال أن يتخلَّفَ؛ وهذا لأن الكبير لديه من الخبرة في شؤونِ الحياةِ المختلفةِ ما يجعلُ رأيَه، وخبَرَه –إذا تكلم في قضيّةٍ– مقطوعاً بهِ، وهذا الأمرُ معروفٌ، ومشهودٌ، ومُجَرَّبٌ؛ فأغنى ذلك عن إطالة النفسِ -هُنَا-، وهذا لا يَعْنِي أَنَّهُ معصومٌ، وإلاّ فقد يخطئُ المُسِنُّ، ويُصيب الصَّغير، ولكن المثلَ خرجَ مخرجَ الغالبِ، –والله أعلمُ–. ونظيرُهُ المثلُ الولوفيُّ الآخرُ:"Mag déy tog di guisse loo xalé monte guisse".

أي: يجلس المُسِنّ أو الكبيرُ؛ فيَرَى مَا لا يُمكِنُ أن يرَاه الصَّغيرُ –وهو متحرك، ومُتَّصِفٌ بالحيويةِ–؛ وذلك لأنَّ الكبيرَ خبرَ الحياةَ خِبرةً حقيقيَّةً، وأمَّا الصغيرُ فلا يزال مُراهقا في شؤونِها المختلفةِ، سواءً كان ذلك في الاجتماعِ، أو الاقتصاد، أو الثقافة، أو السياسةِ، أو الدين. وإذا شَذَّ بعضُ أفرادِ القاعدة عن المذكور؛ فإن الحكمَ للغالبِ، والنادرُ لا حكمَ لهُ. فهذانِ المثلان يدلَّان على نَفاذِ بَصيرةِ الكبيرِ/ أو صاحب الخبرةِ؛ الأمرُ الذي يُحَتِّمُ ضرورةَ الاستفادةِ منهُ، وقد يكون الكبيرُ المذكورُ جَدّاً، أو جدّةً، أو أبًا، أو خالاً، أو خالةً، أو عمّاً، أو عمَّةً، أو قريباً، أو بعيدا، رجلاً، أو امرأةً، متعلّماً، أو أمّيّاً ... كما يدخل في هذا المعنى حَدَثُ السِّنِّ؛ -إن كان من أهلِ العلمِ، أو الخبرةِ-؛ لأنّه كبيرٌ بعلمِهِ –وإن كان صغيراً بجسمهِ-؛ ممَّا يجعله في مَصافِّ الشيوخِ! كما حصل ذلك لابنِ عَبّاسٍ –وكان صغيراً في السِّنِّ،

---

[١٦١] السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسيرِ كلامِ المنّانِ، ط/ ١، ج/ ١، باب: ٧٧، ص: ٥٤٦.

شيخاً في العلمِ- مع أشياخِ الصَّحابةِ، كما في القصَّةِ الشَّهيرةِ، -رضي الله عن جميعِ الصحابةِ، والآلِ، ومن تَبِعهم بإحسانٍ-. وهذا المعنى هو ما عبَّرَ عنهُ الشارعُ بقولِهِ:

وتحسبُ أنَّكَ جُرمٌ صغيرٌ وفيكَ انطَوَى العالَمُ الأكبرُ

كلّ هؤلاءِ ينبغي الاقتراب إليهم، والاستفادة منهم، ومن أهمّ أصحابِ الخبرةِ ((الجدُّ))، و((الجدّة،)) وممّا يندى له الجبين انحسارُ دورهما في العقودِ المتأخرة، أعني في عصر وسائلِ الاتصالِ الجماهيرية خاصة، وعصرِ التكنولوجيا عامة، وكادا أن يكونا في طَيِّ الكتمانِ معَ ما لديهما من خبراتٍ متراكمةٍ، ومباشرةٍ ضروريةٍ لبقاءِ قِيَمِ المجتمعِ الأصيلةِ! ولا يخفَى أنَّ ذلك نذيرُ شُؤمٍ، ويدُقُّ ناقوسَ الخطرِ لانقراضِ جزءٍ معتبرٍ من القيمِ المذكورةِ، وقد كانَ بعضُ ذلك؛ فما ظنُّكَ بمجتمعٍ يزعم ((التمدُّنَ))، و((النهضةَ))، و((الحضارة)) والحال أنه خلَّفَ قِيَمهُ وراءَ ظهرِهِ؟!

وقد استبدلَ بعضُهم مكانةَ ((الجَديَّنِ)) في العصرِ الحديثِ بالتلفازِ،[١٦٢] ثمَّ بالقنوات الفضائية، والشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)،٢ ثم بشبكات التواصل

---

[١٦٢] -٢ ((التلفاز)) كلمةٌ مُعرَّبةٌ على وزنِ أسماءِ الآلاتِ كمذياع، ومفتاح، والمصطلح العربي هو ((الرَّائي))، ذكر ذلك الأستاذ محمد موفق الغلاييني في كتابه الشهير: (وسائلُ الإعلام وأثرها في وحدةِ الأمة). وأما كلمة ((تلفزيون))، سواءً أَرُسِمَتْ ((تلفيزيون))، أو ((تليفزيون))، أو ((تليفيزيون))؛ فليست بعربية؛ وقد دخلت إلى المعاجم العربية بعد أن وفدت من اللُّغاتِ الأجنبية ((الانجليزية)). وتعني كلمة ((تلفزيون))، الرؤية عن بُعدٍ: ("Tele" عن بعد، "Vision" : الرؤية). للاستزادة في ذلك يمكن مراجعة المراجع الإعلامية. ويرى مُعظمُ الغيورين على العربية حتمية استخدام الأسماء العربية لهذه الوسائل المستجدة، وخالفهم أصحابُ الرأيِ الثاني ممن لا يرى غضاضةً في استخدامِ المصطلحاتِ الأجنية لها؛ لأنَّ من صنَّعَها، له الحق في اختيارِ الاسم المناسب لها، وجمعً بينَ القولينِ أرى مارآهُ أصحابُ الرأيِ الأول؛ حتَّى لا تُصبح العربية في عصرِ التقنية الحديثة خليطةً ما بين العربية والأجنية وسواها، معَ التسليم بأن لهم الحق في وضعِ أسماءٍ لها؛ ولكنَّ لا يُلزِمُ الناطقين بالعربيةِ أن يدخلوها في معاجمهم العربية، أو أن يتشدَّقواْ بها بألسنتِهم؛ ومن نافلةِ القولِ التذكيرُ في هذا المقام بأن التحدثَ بالعربيةِ شعارُ أهلِ الإسلام، وبذلك وردتِ الآثار، ويكفي أن القرآنَ نزل بلسانٍ عربي مبين؛ وليس بلسانٍ انجليزي، أو فرنسي مبين، وقد تحدث العلامة ابن القيم الجوزية عن الموضوعِ فكفى المؤنةَ، وشفى الغليل: راجع غيرَ مأمورٍ كتابهُ الشهير: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، وللعلماء قبله وبعده كلامٌ قويٌّ في هذا؛ ولكنَّ حالَ كثيرٍ من المسلمين يُنبِئُ بأنهم لم يأخذواْ هذا الأمر مأخذَ الجِدِّ؛ يلوكون ألسنتهم بلُغةِ النَّصارى واليهودِ؛ فضعُفت لغتُنا العربية، وتراجعت لولا حفظُ اللهِ. وما ذكرتُه للك

الاجتماعي مثل: الفيسبوك، والتويتير، والإسكايبي، واليوتيوب، والواتساب، والفايبير ... وعلى كُلٍّ، فإنَّ مكانةُ ((الكبار))، و((وذوي الخبرات، والتجارب)) عاليةٌ، والشعبُ الكيِّسُ، والمتَحضِّرُ، والمثقَّفُ هو الذي يُولي هؤلاءِ اهتمامًا عظيما، وترعاهم؛ بل وتُغريهم بالمُقامِ بالبلادِ، وأما الدولة العاجزةُ، فهي التي لا تُهيِّؤُ لهم الأجواءَ؛ ومن ثمَّ فإنَّها تُحوجُهم للهجرةِ إلى الخارجِ؛ لتذهبَ عصارةُ جهودِهم فيما يخدمُ الآخرين، لا إلى تعودُ فائدتُهُ لمجتمعَاتِهم، وبلادِهِم التي نشأواْ تحتَ أحضانِها، والتي أحبَّتهم وأحبُّوها! وقد لا يرجعُون كثيرٌ من المذكوين لبلادِهم؛ وإن رجعواْ؛ فذلك بعدَ الكهولةِ، أو الشيخوخةِ، قد اشتعلَ الرَّأسُ شيبًا، وأكل منهم الدهرُ وشربَ! والنتيجةُ الحتميةُ والمريرةُ هو تقدُّمُ تلك البلاد المُضيفة لِـ ((عُقولِنا المُهاجرةِ)) بهم، -ولا غضاضةَ فيما فعلت؛ لأنهم قدَّروا العلمَ، والعالِمَ وأنفقواْ -وينفقونَ- في سبيلِ ذلك ميزانياتٍ وكنوزاً ((قارونيةً، وخياليةً)) تنوءُ بالدُّول النَّامية، أو الواقفةِ على أبوابِ التصنيعِ. أو بعبيرٍ آخرَ: إن تلك الكنوز تفوقُ ميزانيات دولةٍ، أو دُوَلٍ بأكملِها!-؛ ولكنَّ الإشكاليةَ تكمنُ في بقائنا تحتَ الثالوثِ المهدِّدِ: ((الجهلِ، والفقرِ، والمرضِ))، ولا تنالُنا من خيراتِ بلادِنا وعلمائنا سوى الفخرِ؛ بأن نُعلن للملأ المحلي، والإقليمي، والعالمي أنَّ العالِمّ الفلانيَّ هو من بلادنا، ومن بني جلدتنا، ومن عُلمائنا! والذي برأ النسمةَ، وفَلَقَ الحبَّةَ لا يُجدِي ذلك نفعًا؛ حتى نَجعلَ ((الكبارَ))، و((ذوي الخبرات)) مستوطنين؛ حتَّى يُوَرِّثُواْ علومَهم، وخبراتِهم للجيلِ النَّاشِئِ الذي يستكمل مسيرةَ النَّهضةِ بدورِهم، هكذا يتوارثُ أهل العلم والخبرات علومهم وخبراتِهم جيلًا بعد جيلٍ، وكابرًا عن كابرٍ؛ فتتواصلَ حلقاتُ التنمية الشاملة في جوانبِ الحياةِ كافةً.

ولا أعلمُ خسارةً دنيويةً، ودينيةً أعظمَ من موتِ العالِمِ العامِلِ دون أن يورِّثَ عِلْمَهُ وخبراتِه، وتجاربَه، وعمله، وسمتَهُ، وهديَهُ لطلابِ العلمِ في بلدِهِ، وفي العالمِ أجمع،

لا يعني عدم جواز الاهتمام باللغاتِ الأجنبية كالانجليزية، والفرنسية، ونحوها؛ بل قد يتعين ذلك فيكون تعلمها واجبا عند البعض، وخاصة في هذا الزمان، وقد تعلم بعض أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام - بعض اللغات الأجنبية. والله أعلى وأعلم.

ويقال في ((الإنترنت)) ما قيل في ((التلفاز))، فهو مصطلح أجنبي (Internet)، ومن أشهرِ أسمائهِ بالعربية: الشبكة الدولية للمعلوماتِ، والشبكة العنكبوتية، والشبكة العالمية ...

بشتى الأساليبِ، والوسائلِ القديمةِ، والحديثة المتاحة، -ما أمكنَه ذلك- ... ومن المؤسفِ حقًّا أننا لا نفكِّرُ في هذه المعاني -غالبًا-، وإن فكرنا فيها فلا يرى النورَ في دنيا الناسِ، وقُصارَى جَهدِنا هُوَ تأبينُهُ، وكتابةُ قصائدَ عنه، وإقامة الذكريات السنوية له، وتسمية بعض الشوارعِ أو المُنشئات، أو المؤسساتِ العلمية باسمه، هذا كله طيب؛ ولكنه دونَ الطموح، ومَقامُ ورثة الأنبياء أرفع من هذه الشكليات؛ حتَّى يصحبَهُ الجوهرُ الذي يكمن في الرجوع إلى المضامين العالية، وتربية الجيل حتى يخرج منهم علماءُ عاملون في كل مجال.

والمسئولية فيما تقدَّمَ تظلُّ مشتركَةً بين جميع الفرد والمجتمع، وجميع المؤسسات المختلفة في جميع القطاعات؛ إلَّا أنَّ دور الحكومات تظلُّ من أهمِّ الأدوارِ، ومن المسلَّمِ بهِ أن لا جهةَ تستفيدُ -أبداً- من الإفراطِ في المذكورين؛ بل ضياعُهم يعني ضياعُ أغلى ما يملكُهُ الشعبُ من طاقاتٍ بشريَّةٍ، وكيفَ يطمحُ شعبٌ أن يتقدَّمَ دون العلمِ النافعِ، والعُلماء الربانيين المناضلين فيما يعودُ في مصلحةِ قيم الدينِ، ويرجع ريعُهُ لفائدةِ الوطنِ؟!

نعم، هذا قد لا يخفى نظريا على الكثيرين؛ ولكنَّ الواقعَ المُعاشَ يندَى له الجبين، ملاحقةٌ للعلماءِن والخُبراء، وذوي الخبراتِ والتجارب المذكورين، وزجٌّ لهم في غياهِبِ السجون، واتهامُهم -زوراً وباطلاً- بتُهمةِ الإرهابِ، وأنهم رموزٌ وعناصرُ خطيرة على أمنِ واستقرارِ البلادِ، وحياةِ الشعوب، وإقصاءٌ لهم في الوظائفِ، وسوى ذلك من التهمِ، ويعلمُ اللهُ أنَّهم بريئون من ذلك براءة الذئب من دمِ يوسف! كلُّ ذلك استجابةً لإملاءاتِ الدول المعادية لقيم الدين، والوطنِ. ولو عقلنا لعلمنا أنهم لا يملكون أرزاقنا، ولا يتصرَّفون في الكون قيدَ أنملة؛ بل ذلك شأنُ مالكِ الملكِ. ومن نظرَ إلى جرائمِ دولِ الاحتلالِ في جميعِ الأقطارِ؛ علِمَ أنهم مصلحيُّونَ، وليسواْ بأصدقاءَ البتَّةَ؛ وإن تشدَّقواْ بما يتشدَّقون به من عباراتٍ ومصطلحاتٍ ودساتيرَ وقوانينَ ظاهرُها الرحمة، وباطنُها من قبلِهِ العذابُ!

وليسَ من المنطقِ السَّوِيِّ تحتَ إملاءاتِهم البتَّةَ والحالُ أننا قد علمنا خباياهم، ونواياهم المشئومة تُجاهنا، ونهبَهم لأموالنا، وسهرهم لتدميرِ وطننا، وقارتنا، ثم إن الجميعَ علمنا ما قد حصل للأجدادِ من اضطهادٍ، واستعبادٍ، وتهجير، وموت؛ فتلكَ آثارُهم باقية بما اقترفواْ! كيفَ نرضخُ لسياساتِهم بعدَ ذلك، ونواليهم، ونهجرُ الأحبَّاءَ، والدول الصديقة، والشقيقة بسببِهم؟! قد جرَّبنا ذلك حينا من الدهرِ؛ فلم ينفعنا؛ أفلا نعقلُ؟ وهل سنبقَى أبدَ الدَّهرِ عبيدًا لهم؟ وما يملكون من الدين والقيم حتَّى أذنابًا لهم؟! لقد آن الأوانُ لكي نراجعَ ما وردَ في هذا المثل الولوفي، ونظيره، والسؤال الجوهري –قبلَ الختامِ-:

متى نرد لكبارنا في كل مجال اعتباراتهم المسلوبة عنهم شعوبًا وحكوماتٍ؟! ومتى نكرِّمُهم بأحسنَ مما نُكرمُ بهِ الفنَّانينَ، والممثِّلينَ، والمُغنِّينَ، ولاعبي الكرة، وأنواع الرياضات المختلفة، والأطباء، والمُهندسينَ، وأهلِ اللهوِ والطَّربِ ...، قُل عسَى أن يكونَ قريبًا.

٧/ ما قيل في الحذر:

Koo ndobin Ray mamam; souguisse lugnool daw

الترجمةُ الحرفيةُ للمثلِ:

من قتل جدُّهُ ذلك الحيوان المفترس، والمُسمَّى بـ"اندُويين"؛ فإنَّهُ يُوَلِّي دبرَه سَاعَةَ يرى سواداً.

دلالة المثل وتأصيله:

يُوازِي هذا المثلُ ذلك الحديث النبوي الشريف: "لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرَّتينِ"، فيقول المثل بأن من افترس جَدَّهُ حيوانٌ مفترسٌ؛ فإنّه إذا رأى شيئًا أسودَ، أو حاجةً مُريبةً، أَوْ شأناً مُخيفاً؛ فإنّهُ لا مَحَالةَ سيَهْرُبُ، وينجُو بنفسِهِ؛ لأنّهُ لا يمكنهُ أن ينسى ما قد حلَّ ووقعَ بسَاحةِ جدِّهِ.

وأخذُ الحيطةِ قيمةٌ قرآنية رفيعة، فلا بُدَّ من جعلِ جُنَّةٍ، ودرع قويٍّ يمنع من الوقوعِ في المهالك، ويدخل في هذا الموضع الحذر من الوُقوع في الرّذائل التي أهلكت الأمم السابقة. ومما ورد في ذلك: (**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ**

فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ).[١٦٣]

٨/ ما قيلَ في الاستقامة، وعدم ارتكاب المناهي من أجلِ ضيقِ الحياةِ:

Mar duma taxa nan potite

الترجمةُ الحرفيةُ للمثلِ:

العطشُ لاَ يجعلنِي أشربُ ماءَ غسيلِ الملابِسِ، أي: الماء الوسخ غير الصالح للشربِ.

دلالة المثل وتأصيله:

أي: أنَّ الحوجةَ -مهما اشتدت-؛ فلا تجعلُنِي أقترف الذنوبَ، أو لا تكون ذريعةً لأن أرتكبَ السيئاتِ، أو المناهي، وهذا المثلُ يُوَازِي المثلَ العربيَّ المعروفَ: ((تَجُوعُ الحُرَّةُ، ولا تأكلُ مِنْ ثَدْيَيْهَا))، أيْ: أن حاجتها الشديدة لا تُفضي بها إلى الفاحشةِ، أو الزّنا، وهذا يعنِي أنّ الضَّائقةَ لا ينبغي أن تكونَ سبباً لاقترافِ الذنوبِ، وهذه رسالةٌ لمن يعبد اللهَ على حرفٍ! وهذا المثل يدعو إلى قيمةِ العفَّةِ، وهو المقامُ اليوسفي كما اصطلح عليهِ القرطبي،[١٦٤] ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله ((ورجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمال؛ فقال إني أخاف الله))،[١٦٥] والحديثُ مشهورٌ، وهو أفضل، وأصح ما يُروَى في فضائلِ الأعمالِ.[١٦٦] وعظمة المثل تكمن في أنه يحثُّ الناس على ضرورةِ الاستقامةِ في كلِّ

---

[١٦٣] سورة آل عمران، آية رقم: ٢٨.

[١٦٤] القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، عند شرحه لحديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله.

[١٦٥] أخرجه الشيخان: البخاري، ومسلم، وغيرهما من أهل السنن.

[١٦٦] وقد وفقني الله وشرَّفنِي لاستقراء حديثِ السبعة المذكورُ ((حديثيا))، في كتب الصحيح والسنن التي وقفت عليها، وتربويا، وقيميا، وواقعيا ٢٠٠٨-٢٠٠٩م؛ فصنفت لذلك رسالة علمية متأنِّية، ومستفيضة، في كلية التربية بجامعة إفريقيا العالمية، نلت بها درجة الدبلوم العالي في تخصص ((التربية)) بجامعة إفريقيا العالمية بعنوان: (القيم التربوية المستفادة من حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه)، بامتياز. أسأل الله تعالى أن يفك اللهُ أسرَها من الأدراجِ والأررفُفِ؛ وتنطلقَ من المحلية الضيقة إلى العالميةِ الرحبةِ؛ وذلك بأن يتحقق نشرُها، وترى النورَ قريباً؛ وبذلك تعم بها الفائدة، وهذا ما أسأله تعالى لباقي رسائلي التي لا تقل شأنًا عن الرسالة المذكورة، وما كانَ للهِ بَقِيَ، ووفقَ اللهُ الجميعَ لما يُحبُّ ويرضَى: **(إنا نحنُ نحن نُحيي الموتَى، ونكتبُ**

الأحوالِ، وخصوصًا في وقتِ الذي فيه يتجلَّى إيمان المرءِ أكثر؛ لأنه نوعِ ابتلاءٍ، وينطبق هذا المثلُ على كلٍّ من الرجلن والمرأةِ لا فرقَ، ومهما عرضت لهما من الإغراءات التي تريد صرفها عن الجادة؛ فالواجبُ عليها أن يُواصِلَا في صبرهما، ويصمُدا صمودَ الجبال الصُّمِّ الرَّاسياتِ، وبذلك، مع الدعاءِ، واليقين الجازم؛ ستنقلبُ المحنةُ إلى منحةٍ. وهكذا، فإن المثل يقالُ لبيانِ التعففِ عن المحرمات، والمكروهات، وما يخالف القيم والعادات الطيبة،

٩/ ما قيلَ في ضرورةِ تمسك المرءِ بما يُجيدُه:

Koo wathi sa ande; ande bo dem fekfa boromam

الترجمةُ الحرفيةُ للمثلِ:

من ترك مِبْخَرَتَهُ؛ وجد كل إنسانٍ جالساً في مِبْخَرِتِهِ.

دلالة المثل وتأصيله:

يبين هذا المثل أن كل من لم يتمسك بما يُجيده –أو يهمل تخصصه، أو مجاله–، وراحَ يشتغلُ في مجالٍ آخرَ لا يحسنه؛ وجدَ كلَّ صاحبِ مجالٍ مستمسكاً بمجالِه، وبعبارةٍ أخرى: من ترك ما يحسنه إلى ما لا يُحسنه؛ خسِرَ الأمرينِ معاً، فلا هو مدركٌ ما لا يحسنه، وسيفلِت منه ما تركه ممَّا كان يحسنه –لا محالةَ–.

وهذا يعني أن كلّ فردٍ من أفرادِ المجتمعِ ينبغي أن يشتغِلَ بما يحسِنُهُ، وأن يتركَ ما لا يحسنه إلى ذوي الاختصاصِ فيهِ، ولا يخفى أنَّ في هذا سلامة المجتمع بأسرِه؛ لأنه يبعد الارتجالية، والتخبط خبطَ عشواءَ، فلا يَصِحُّ أن يشتغلَ المفتِي بالطبِّ، ولا الطبيبُ بالفُتيا، ولا البيطريُّ بالطيرانِ، ولا الطيَّارُ بالنِّجارةِ، ولا النَّجَّارُ بالهندسةِ، ولا المهندس بالتربية ... فكلٌّ يشتغل في مجالِه، أو المجالاتِ التي يحسنُها. وما وصفته لك معلوم في دنيا الناس؛ بل لا يخفى ذلك حتى لدى أكثرِ العامة، فكيف بالخاصة، وخاصة الخاصة؟! ومن هنا نعلم خطورةَ التطفل على دينِ الإسلام وخاصة في هذا الزمانِ زمانِ الفضائياتِ، والشبكة الدولية للمعلومات (Internet)، وعصرِ التكنولوجيا الحديثةِ الذي كثُرَ فيهِ

ما قدَّموا، وآثارَهم، وكلَّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبين)، سورة يس، آية رقم: ١٢. نسأل الله من فضلِهِ، إنَّ ربنا جوادٌ كريمٌ.

المتعالمونَ، والمتطفِّلونَ على الدينِ الذين يهرفونَ بما لا يعرفونَ، ويضربونَ الأخماسَ في الأسداسِ لا يَفتُرونَ؛ همُّ أحدِهم الظهور في الشاشةِ، تحقيقًا للشُّهرةِ والنجوميةِ، وجمعاً للدرهمِ والدينار والدولا ولو كان ذلك على حسابِ الحنيفيةِ السمحةِ؛ ألا ساءَ ما يحكمون!

وباسمِ الفتوى ظهر بعضهم، وآخرون بمظهرِ دُعاةِ الإسلامِ، ووُعَّاظِهِ، وحامي حياضِ نجاتِهِ قد برزواْ، كما أطلَّ فئامٌ منهم على شاكلةِ ورثةِ علمِ نبيِّ اللهِ يوسُفَ؛ فتصدَّواْ لتفسيرِ الرؤى والأحلام التي لو عرض بعضها على علماءِ الصحابة كعمر الفاروق؛ لجمعَ لها أهلَ بدر !!! -رضي الله عن أبي حفصٍ، وعن جميعِ الصحابةِ-.

واتخذَ قومٌ مجال التدريب والتنمية البشريةِ مَطِيَّةً لبثِّ رسائلَ تنمُّ عن ضحالةِ فكرٍ، وبضاعةٍ مزجاةٍ، وآخرون مُرْجَوْنَ لأمرِ اللهِ نصبواْ أنفُسَهم حكَّامًا وخلفاء للهِ في الأرضِ فخلطواْ بينَ تطبيقِ شرعِ الرحمن وشرعِ الشيطانِ؛ حسبوهُ تطوُّراً، ومرونةً، ومواكبةً معَ الحضارةِ الحيثةِ، وتعايُشًا حتما مع غيرِ المسلمين ممن يعيشون معنا في هذه الكرة الأرضية، وأقوامٌ آخرون لم يرفعواْ لتطبيقِ شرعِ الرحمن رأسًا، ورأواْ استحالةَ ذلك في ظلِّ هذهِ العصورِ، وأنه ينبغي الرضوخ للوضعِ الراهنِ! ويزدادُ عجبُكَ إن علمتَ أن القائلَ لهذهِ المقولةِ البائسةِ معدودٌ من الشيوخِ الكبارِ، ومن أصحابِ الكلماتِ المسموعةِ!

ومن أخطرِ من خلطَ الحابلَ بالنَّابِلِ أولئك الذين نصبواْ أنفسَهم مفكِّرين، ووُصفوا بألقابٍ كبيرةٍ مثل: ((المفكر الإسلامي))، و((الأبُ الروحيُّ))، و((مجدد الأمة))، و((شيخ الإسلام))، و((الفيلسوف والداعية الإسلامي))، وغيرها من الألقابِ، وليتَ أحوالهم كانت متطابقة مع ألقابهم، وليت علمهم كان بمثابة عملهم، وليتَهم امتثلواْ دربَ علماء الإسلام الراسخين الذين اتفق المسلمون على إمامتهم، واستحقاقهم لتك الألقابِ، وغيرها والتي لا غضاضة في اتخاذِهَا؛ ولكن ينبغي أن يكونَ ذَوُوهَا أهلاً لها: علماً، وفكراً، ومنهجاً سليماً، وعقيدةً صحيحةً راسخةً لا تَزَعزَعُ [١٦٧] كما الجبال، إلى جانبِ العملِ بذلك العلمِ، والاتصافِ بخيرِ القِيَمِ، وأفضلِ الهدي -الذي جاءَ بهِ محمد

[١٦٧] أي: تتزعزع، بحذف إحدى التاءين.

"عليه الصلاة والسلام"- في الكتابِ الذي يهدي للتي هي أقوم، والسنة الشريفة التي نزلت في آخرِ الأمم؛ فارتفعت بذلك -بعدَ سُفولٍ- همَمُهم إلى العلوِّ؛ بل بلغتِ القمم، سابقةً بذلك الروم، والديلم؛ لا بل جميع الشعوب والأقوام، والأمم. وقد صدقَ مايكل هارت ساعةَ قالَ: ((الخالدون/ العُظماءُ مائةٌ أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم)). ويشبهُ التطفل في الفكرِ، والدينِ المذكُورَين ما حلَّ بساحتنا السياسية من ظهورِ ((مراهقين)) سياسيين، واقتصاديين، وإعلاميين، ومراهقين في الفنِّ، والعلم، والثقافة، والطبيعةِ، والفلك، والفلسفةِ/ علمِ الكلام/ العقيدة.

ومن صورِ عدمِ الاهتمامِ بالجودةِ والإتقانِ تلك المشاهد السلبية في مدارسنا، وجامعاتنا، ومؤسساتنا التربوية والتعليمية، ومراكز التدريب، والمعاهد الفنية، والعلمية، والصناعية، أو المهنية ... التي قد شابتها شيءٌ (**مِمَّا قلَّ منه أو كثُر نصيباً مفروضًا**).[١٦٨] ولَمَّا طَبَّقَ هذا المعنى بعضُ من تقدَّمَ؛ عاشواْ في أمنٍ، وسعادةٍ، ورخاءٍ؛ ولكنَّ صارَ تطبيقُ هَذهِ القيمةِ في زماننا ضَعِيفاً؛ فصار الكثير من الناسِ يتطاولون على تخصصاتٍ لا يُجيدونها، ويهرفون فيها بما لا يعرفونَ. وأمثلةُ هذهِ الظاهرةِ في حياتنا المعاصرةِ كثيرةٌ، منها: وضع الموظف غير المناسب في الوظيفةِ المناسبة، و"إذا ضُيِّعتِ الأمانةُ؛ فانتظِرِ الساعةَ". وما تقدم ليس من قَبِيلِ التعميم في شيء؛ إذ هنالك من تصدى لتلك الظواهر السلبية وغيرها، ونفع الله بهم البلاد والعباد. فهذا المثل يدعو الناس إلى قيمةِ الإتقان لكل صاحبِ عملٍ عمله، وذلك من الأهمية بمكان: ((إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه)) قد قاله النبي الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم- قبل خمسة عشر قرنًا من الزَّمانِ، وقبل أن تنتشر مصطلحات الجودة، والجودة الشاملة، والشفافية، ونحو ذلك من النداءات التي تعالت بالأمسِ، وظنَّ كثيرٌ من الناس جِدتَها. ويكفي في ذلك أن المجتمع سيعيش في جوٍّ من الأمنِ، والأمان، والاستقرارِ، ورغد العيشِ.

١٠/ ما قيلَ في تقبل النقدِ: Koo bott boukki; xadj mbowla

الترجمةُ الحرفيةُ للمثلِ:من حملَ على ظهرِهِ ضبعاً؛ نبحَتْهُ الكلابُ -لا مَحالةَ-.

---

[١٦٨] سورة النساء، الآية رقم: ٧.

دلالة المثل وتأصيله:

يبين هذا المثلُ أنَّ كلّ مَنْ تولَّى أيَّ نوعٍ من صُنُوفِ الولايةِ؛ فإنّه لا يَسْلَمُ من النقدِ؛ ولكنَّ بعضَ الناسِ يتصورُ الولايةِ ثمرةً طيبةً للآكلينَ، وشربةً هنيئة للشاربينَ، لا كدَّ فيها، ولا نَغَصَ! وهذا -والله- قصورٌ في التَّصورِ بعيدٌ عن الصَّوابيّةِ، وقد علمَ النّاسُ بالتّجربةِ أنّ الإنسانَ إذا تقلّدَ أدنى أنواعِ الولايات؛ فإنّه لن يسلمَ من نقدِ النّاسِ لهُ -مصيباً كان، أو مُخطِئاً-؛ وذلك لأنّ آراءَ الرّعيّةِ تتباين تبايناً تَصِلُ أحياناً لحدِّ التّضادِ؛ فأنّى يسلمُ من النقدِ -والمعبَّرُ عنهُ في هذا المثلِ بـ "نبح الكلابِ"؟! ومن تأمَّلَ في واقعِ الناسِ -قديما-؛ وجدَ أمثلة لا حصرَ لها في هذا البابِ، كما يتكدَّسُ زمانُنا المعاصر بتجارب كثيرة في هذا البابِ في مجالاتِ الحياةِ كافةً، كالسياسةِ والحكم، والاقتصادِ، والثقافةِ، والاجتماعِ، والدينِ ... والنقد ينقسمُ إلى ((هدَّام)) وهو المذموم، و((بنَّاءٍ))، وهو المحمودُ الذي هو محلُّ اهتمامِ العاقلِ، وأما الهدَّامُ فلا يرفعُ لهُ رأسًا؛ لأنه يأتي من المُثَبِّطينَ، والفارغينَ الذين لا يُشاركونَ في إسراعِ عجلةِ التنمية، ولا يَدَعُونَ غيرَهم يُسهمون في بناءِ الوطنِ، أو الإقليمِ، أو العالمِ، فالسيارة، أو القاطرة -أو نحوهما من وسائل النقل أو المواصلاتِ القديمة أو الحديثة- لا يُسمع لها ضجيجاً حالَ امتلاءِ شحنِها، وأما ساعةَ خوائِها من البضائع، أو الرُّكابِ، أو قلة ذلك؛ فإن ضجيجَها مشهودٌ للقاصي، والداني، وهذا معنى المثل العربي الشهير: ((الفارغونَ أكثرُ ضجيجاً)) -وهم المثبِّطونَ-، وهو مُؤيدٌ للمعنى المتقدم، وقديمًا قالَ المثل الولوفي الآخر:

Pith boulack thi tate, dey beugue morom ، ويوَدُّ الطائرُ الذي يحترق دُبرُه/ استه أن لو ظفرَ بنظيرٍ! وهذا ما يجعلُ أولئك المفسدون ينشطون في فسادهم، وفي غيِّهم؛ و((إنَّ الطيورَ على أشكالِها تقعُ))!

وبالمقابل، فإنَّ الاهتمام بالنقدِ البنَّاءِ من أخصِّ سماتِ المُجتمعِ النَّاهضِ، لا بالشعاراتِ الجوفاء؛ بل بإحلالِ ذلك حيِّزَ التنفيذِ في واقعِ الحياةِ؛ الأمرُ الذي يُحقق التنمية الشاملةَ في كلِّ الأصعدةِ. وحالنا يرثى له في هذا البابِ؛ عند استقرائنا لهذا الموضوعِ في عالمنا الإسلامي، ويبدو من خلالِ الاستقراءِ والمقارنة أنَّ العالمَ الغربي أسعدُ

حظًّا بكثير –في هذا الموضوعِ على وجهِ التحديدِ–. وقنواتنا الفضائية، بل وسائلنا الإعلامية –على سبيل المثالِ– تبرزُ لنا –بصفةٍ واضحةٍ– هذه الصُّورَةَ النمطيةَ التي تحتاجُ إلى تصحيحٍ؛ من أجلِ أن تتحول إلى صُوَرٍ مُشرقة؛ مع الأخذِ في الاعتبارِ وجود صور خَجولة –هنا وهناك– تمشي على استحياءٍ، وهي في طريقها للإشراق، وُلدت إثرَ مَخاضٍ عسيرٍ. معَ العلمِ بأنَّ التَّحسُّنَ آخذةٌ في الازديادِ، وستفوقُ رصيفاتها في الدول الغربيةِ؛ وبذلك ستصحِّحُ تلك الصور النمطيةِ؛ وبالتالي النُّهوض بهذا المجالِ تحديداً. وعندما نستقرِئُ سيرةَ الرسولِ الكريمِ–عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ–، وصحبِه الكرام، والتابعين، وتابعيهم بإحسانٍ؛ سنجدُ بأنّهم لم يَسْلَمُواْ من النّقدِ مِن قِبَلِ رعاياهم، وهم أفضل الخليقةِ على ظهرِ هذه البسيطةِ! فكيف يطمَحُ مَن دُونَهم إلى ذلكَ؟! إنّ هذا في القياسِ لبديعُ!

فواعجبًا من خوفِهم مع التقى ويا عجبًا من أمنِنَا مع المعاصي

لقد علَّمنا التَّاريخُ أنَّ قيادةَ النَّاسِ وسياستَهم ليسَ بالأمرِ السَّهلِ؛ لأنَّ طبائعَ النَّاسِ متباينةٌ، وهكذا أعرافهم، وتقاليدهم، وعاداتهم، وأديانهم، وقيَمِهم، وبيئاتهم، وثقافاتهم، ولا يخفى أن لكل ذلك أثرُهُ الواضح في تشكيلِ الفردِ، والمجتمع.

وقد كانَ أخيارُ هذه الأمة يُدركون خطورةَ هذهِ المسألةَ؛ ولذلك كانواْ يمتنعونَ من تولّي الولاياتِ المُختلفةِ، كالقضاءِ، والإمارةِ، ونحوها، ويسعَوْنَ جاهدين لتقديمِ الأعذارِ؛ حتَّى يعفيهم الوالي، أو السلطان عنها؛ إلاَّ إذا أُكرِهواْ على ذلك إكراهًا شديدًا، وتعيَّنواْ لذلك. هذا حالُ القومِ، معَ العلمِ بأنهم لذلك أهلٌ!

١١/ ما قيلَ في ضبط الحدود مع الآخرين:

Booki soo dabé ponkal, thi doxinbila

الترجمةُ الحرفيةُ للمثلِ:

إذا لحِقَ الضبعُ رَجُلاً عظيماً؛ فإنّما مَرَدُّ ذلك إلى طريقةِ مشيتِه "أي ذلك العظيم".

دلالة المثل وتأصيله:

المعنَى أنَّ كلّ من تَدَخَّلَ في شأنِكَ، وتجاوزَ حدودَهُ معك؛ فلأنّك قد هيّأتَ له تلك الفرصة، أو لأنه وجدَ منكَ مدخلًا؛ وإلاّ لَما تجاسَرَ، أو تَيَسَّرَ للضَّبعِ القزمِ أن يلحقَ بذلك الرّجلِ المنعوتِ بالعظمةِ. ومن الواضحِ أنَّ هذا المثل قد خرجَ مخرجَ الغالبِ، وهو

يتجه معَ الأسوياءِ من الخلقِ. وأمَّا الجاهلون وأضرابُهم من الحمقَى، والمعتُوهينَ، والمُجرمين، وقُطَّاعِ الطُّرُق ... فلا سبيلَ للسلامةِ من تصرُّفاتِهم السَّيِّئَةِ البتة؛ إلَّا من عصَمَهُ اللهُ، وخيرُ علاجٍ أن نقولَ لهم ((سلاما)) كما علَّمنا القرآن الكريمُ، وهؤلاءِ لا يُفرِّقونَ بينَ صالحٍ أو طالحٍ من النَّاسِ. فالمطلوبُ هو الرزانةُ، والهيبةُ، والوقار، وضبط الحدود والتحكم في ذلك مع الآخرين، وعينُ الحكمةِ -هنا- هو أن يُعامِل العاقلُ كل إنسانٍ بما يستحقه من صنوفِ المعاملاتِ، وعليهِ أن لا يضربَ الأخماسَ وفي الأسداسِ؛ فالناسُ أصنافٌ، وكان إمامِ دارِ الهجرة، صاحبِ الموطأ يدعُ السؤالَن فلا أحد يجرأُ من مراجعتِهِ لهيبتِهِ؛ حتَّى قال عنه بعضُهم: ((ما رأيتُ أهيَبَ من مالك ...)) -رحمه الله ورحم سائر علماء الإسلام-. وهكذا، فالواجب على العلماءِ، والعظماءِ، والقادةِ، والولاةِ، والحكامِ، والسلاطينِ أن يضبطُواْ الحدودَ مع الآخرين؛ وذلك حتّى لا يتجاوزَ الحدودَ معَهم مَنْ دونَهم؛ فتذهبَ هيبَتُهُم؛ وتترتَّب على ذلك شرورٌ عظيمة. وهذا ما اصطلَح عليهِ علماءُ أصولِ الفقه، وغيرهم بِـ ((سدِّ الذريعةِ))، وهو من الأدلة الشرعية المختلف فيها – وذلك معلوم؛ فأغنى ذلك عن إطالةِ النفسِ فيه-.والمقصودُ أنَّ كُلُّ طريقٍ يؤدي إلى ما لا يُحمَد عُقباهُ ينبغي سدُّهُ، وهذا على حدِّ المثل العامي السوداني: (الباب البجيب الريح؛ سِدُّهْ واستريح). ولا ينبغي أن يفهم زيدٌ من الناسِ من هذا المثلَ الولوفي أنه يُنادِي إلى القَسوةِ معَ الأنام، والتعالي معهم، ومعاملتهم بالدّونية! وإذا سألتَ من هذا صنيعُهُ؛ استدلَّ بهذا المثلِ، ونظيره! فتجدُهُ عارفًا ((الدَّليل))؛ لكنَّهُ يسيءُ ((الاستدلال)). وعليه؛ فلا يكفي ((صِحَّةُ الدليلِ)) حتَّى يصحَبَهُ ((حسنُ الاستدلال))، وما أكثرَ الخلط في هذا البابِ سواء في الأمثالِ الولوفية، أو أمثال العالم كافة، وهذا الخلطُ يُشبِهُ ما وقعَ عليهِ كثيرٌ من أهلِ البدع في القرآن الكريم، وفي السنةِ العطرةِ؛ وهذا سببُ انحرافِهم عن جادة الطريقِ، عافانا الله، وإياهم. وعلى العموم، فهذا المثل يخاطبُ الجميع بأن يضبطواْ حدودَهم مع الآخرين؛ حتى لا تضيعَ هيبتُهم؛ فتضيع جهودهم، وهذا لا يمنعُ من المزاح، وانشراح الصدر مع الناس البتة، فهذا شيء، وذلك شيءٌ آخر. وهذا نبي الله محمد – صلى الله عليه وسلم- مع مكانته عند الله -تعالى-، وحوزه بقصَبِ السبقِ في الأفضليةِ

فِي جميعِ الأصعدةِ؛ إلا أنه كان يمزَحُ فيقول: ((يا أبا عمير، ما فعل النُّغير))،[١٦٩] يقول العلَّامةُ ابنُ حجرِ العسقلانيُّ: (وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ عِدَّةُ فَوَائِدَ جَمَعَهَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي أَحْمَدَ الطَّبَرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَاصِّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ -صَاحِبُ التَّصَانِيفِ- فِي جُزْءٍ مُفْرَدٍ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ وَجْهَيْنِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، وَمِنْ وَجْهَيْنِ: عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ، وَمِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ. وَقَدْ جَمَعْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ طُرُقَهُ وَتَتَبَّعْتُ مَا فِي رِوَايَةِ كُلٍّ مِنْهُمْ مِنْ فَائِدَةٍ زَائِدَةٍ وَذكر بن الْقَاصِّ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ عَابَ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ يَرْوُونَ أَشْيَاءَ لَا فَائِدَةَ فِيهَا، وَمَثَّلَ ذَلِكَ بِحَدِيثِ أَبِي عُمَيْرٍ هَذَا، قَالَ: وَمَا دَرَى أَنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ وُجُوهِ الْفِقْهِ وَفُنُونِ الْأَدَبِ وَالْفَائِدَةِ سِتِّينَ وَجْهًا ثُمَّ سَاقَهَا مَبْسُوطَةً فَلَخَّصْتُهَا مُسْتَوْفِيًا مَقَاصِدَهُ ثُمَّ أَتْبَعْتُهُ بِمَا تَيَسَّرَ مِنَ الزَّوَائِدِ عَلَيْهِ .. وَفِيهِ جَوَازُ الْمُمَازَحَةِ وَتَكْرِيرِ الْمَزْحِ وَأَنَّهَا إِبَاحَةُ سُنَّةٍ لَا رُخْصَةٌ وَأَنَّ مُمَازَحَةَ الصَّبِيِّ الَّذِي لَمْ يُمَيِّزْ جَائِزَةٌ وَتَكْرِيرُ زِيَارَةِ الْمَمْزُوحِ مَعَهُ وَفِيهِ تَرْكُ التَّكَبُّرِ وَالتَّرَفُّعِ وَالْفرق بَين كَون الْكَبِير فِي الطَّرِيق فيتواقر أَوْ فِي الْبَيْتِ فَيَمْزَحُ وَأَنَّ الَّذِي وَرَدَ فِي صِفَةِ الْمُنَافِقِ أَنَّ سِرَّهُ يُخَالِفُ عَلَانِيَتَهُ لَيْسَ عَلَى عُمُومِهِ ... ثم ذكرَ من تلك الفوائد وَفِيهِ جَوَازُ تَصْغِيرِ الِاسْمِ وَلَوْ كَانَ لِحَيَوَانٍ وَجَوَازُ مُوَاجَهَةِ الصَّغِيرِ بِالْخِطَابِ؛ خِلَافًا لِمَنْ قَالَ الْحَكِيمُ لَا يُوَاجِهُ بِالْخِطَابِ إِلَّا مَنْ يَعْقِلُ وَيَفْهَمُ قَالَ وَالصَّوَابُ الْجَوَازُ حَيْثُ لَا يَكُونُ هُنَاكَ طَلَبُ جَوَابٍ وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يُخَاطِبْهُ فِي السُّؤَالِ عَنْ حَالِهِ بَلْ سَأَلَ غَيْرَهُ وَفِيهِ مُعَاشَرَةُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ وَفِيهِ جَوَازُ قَيْلُولَةِ الشَّخْصِ فِي بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِ زَوْجَتِهِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ زَوْجَتُهُ وَمَشْرُوعِيَّةُ الْقَيْلُولَةِ وَجَوَازُ قَيْلُولَةِ الْحَاكِمِ فِي بَيْتِ بَعْضِ رَعِيَّتِهِ وَلَوْ كَانَتِ امْرَأَةً وَجَوَازُ دُخُولِ الرَّجُلِ بَيْتَ الْمَرْأَةِ وَزَوْجُهَا غَائِبٌ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَحْرَمًا إِذَا انْتَفَتِ الْفِتْنَةُ وَفِيهِ إِكْرَامُ الزَّائِرِ وَأَنَّ التَّنَعُّمَ الْخَفِيفَ لَا يُنَافِي السُّنَّةَ وَأَنَّ تَشْيِيعَ الْمَزُورِ الزَّائِرَ لَيْسَ عَلَى الْوُجُوبِ وَفِيهِ أَنَّ الْكَبِيرَ إِذَا زَارَ قَوْمًا وَاسَى بَيْنَهُمْ فَإِنَّهُ صَافَحَ أَنَسًا وَمَازَحَ أَبَا عُمَيْرٍ وَنَامَ عَلَى فِرَاشِ أُمِّ سُلَيْمٍ وَصَلَّى بِهِمْ فِي بَيْتِهِمْ حَتَّى نَالُوا كُلُّهُمْ مِنْ بَرَكَتِهِ).[١٧٠]

---

[١٦٩] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، باب الكُنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، حديث رقم: ٦٢٠٢ ج/ ١٠، ص: ٥٨٣.

[١٧٠] ثم عقد فصلًا مُستقلًّا فِي فَائِدَةِ تَتَبُّعِ طُرُقِ الْحَدِيثِ، رحمه الله –تعالى -، ورحم علماء الإسلام كافة.

وهذا كلُّهُ يدُلُّ على مسألةِ المزاحِ التي حرَّرْناهَا، وغيرها من المسائلِ النظيرةِ التي تدلُّ على عظمةِ هذا الدين، وعظمة هذا الرسول الذي أرسلَهُ رحمةً للعالمينَ. كما يدلنا على نبوغِ ورثةِ الأنبياءِ، ورسوخهم في العلمِ والعملِ، وحكمتهم البالغة، وأمانتهم العلمية، ووسطِيَّتِهم في الدِّينِ؛ فلا يُهوِّلون أمرًا هيِّنًا، كما أنهم لا يُهوِّنونَ أمرًا عظيمًا؛ فكانواْ بينَ ذلك قيامًا، أي: وسطًا بين الإفراطِ، والتفريطِ. ولا يخفى أن البشرية لو اقتدتْ بمنهج الرسول –صلى الله عليه وسلم– الكامل، والشامل؛ لوجدواْ فيهِ ما يشفِي غليلَهم في كل مجالاتِ الحياةِ؛ ولكن من المُؤسفِ أن العديدَ من النَّاسِ يكتفي بطرفٍ من ذلك، ويدع قضايا كثيرة، ومهمة في جوانبِ حياته –عليهِ الصلاة والسلام–، كقضيَّةِ المزاحِ التي تحدَّثْنا عنها، وسواها من الجوانبِ المشرقةِ، وقد أفضى ذلك الإهمال إلى رسوخِ صُوَرٍ ذهنيَّةٍ نمطيةٍ في أذهانِ العامَّةِ، والخاصةِ حَسِبواْ أن لا مزاحَ، ولا فكاهةَ، ولا ترفيهَ في الإسلامِ؛ وإنما هو تقطيبُ الجبينِ، والمعاملة الفجَّة، تربَّواْ عليها، ونشَّأُواْ عليها مَن حولَهم! وهذا الذي وصفتُهُ لك –وأيمُ اللَّهِ– من أكبرِ العوائقِ في نشرِ الإسلامِ بينَ الخلائق، وأنَّى يُفلِحُ في دعوتِهِ –مثلًا– مَن وضعَ بينَهُ وبينَ النَّاسِ جسرًا من التعقيداتِ ما أنزلَ اللَّهُ بها من سُلطانٍ في كثيرٍ من الأحيانِ؟! وقد اطَّلعتْ ما كان عليهِ سيِّدُ الخلقِ، وأعظمُهم من لينِ الجانبِ، وحبِّ المزاح مع الجميع: مع الصغارِ، والشبابِ، ومع العجائزِ، ومع الرجالِ، والنساءِ، وقد أرشدَ الله الحكيم أنبياءَهُ بسلوكِ طريقِ اللِّينِ؛ من أجلِ ألَّا ينفضَّ النَّاسِ من حولِهم، ولَعَلَّهُ يتذكَّرُ ويخشَى مَن يدعونهم إلى الخيرِ؛ وإن كانواْ من أئمةِ الطُّغاةِ، والعُتاةِ، كفرعونَ، وقارونَ، وأبي جهلٍ ... وشهرةُ ذلك أغنت عن إطالةِ النفسِ فيهِ.

ويتوجَّهُ الكلامُ هنا أكثر إلى شريحةِ الشبابِ من النوعينِ الذينَ تفورُ في أجسامِهِم ثورةُ الشبابِ، وحماسةُ الفُتُوَّةِ –غيرةً في الإسلامِ–، وذلك شأنٌ محمودٌ؛ شريطةَ أن يكونَ العلمُ النافع إماما للحماسةِ المذكورةِ؛ وإلَّا أنتجتْ تلك الأفكار المُتَحَمِّسَةُ والمُضلَّةً على مرِّ تاريخِ الإسلامِ، والإسلام من أعمالِ هؤلاءِ براءٌ براءةُ الذئبِ من دمِ يعقوب! ولا تكفي هنا مجرَّدُ حُسنِ النيَّةِ؛ وإلَّا فكم مُحبٍّ للخيرِ لم يبلُغهُ؟! وفي الزمانِ المُعاصرِ أمثلةٌ

حَيَّةٌ، ومشهودة لهذه الصور النمطية عن الإسلامِ التي يستغلُّها أعداءُ الإسلامِ لقضِّ مضجعهِ -إن استطاعواْ-؛ وقد قضى اللَّهُ أنهم مهما أجلبواْ بخيلِهم، ورجلهم، وأنفقواْ الأموالَ القارونية؛ فلن يستطيعواْ؛ لحفظِ اللَّهِ دينَهُ، وعصمتِهِ لرسولِهِ، ولقضائِهِ المُبرَمَ أنَّ العاقبةَ للمُتَّقينَ مهما علَا صوت الباطل. ومن أهمِّ ما يُفيدُ في هذا البابِ أن يتناغمَ حماسة الشبابِ مع حكمةِ الشيوخِ، ذوي العلمِ الرَّاسِخِ، والعملِ الصَّالحِ.

١٢/ ما قيلَ في الحسدِ:

Koo guémignam dinathi; doo wakh diamme

الترجمةُ الحرفيةُ للمثلِ:إنّ من يُدمِي فمُه؛ لا يقولُ الخيرَ.

دلالة المثل وتأصيله:

أنَّ من كانَ حسوداً؛ فلا يشهدُ الخيرَ لأحدٍ.

ينبِّهُ هذا المثلُ إلى خطورةِ الحسد، وأنه من أخسِّ الأدواءِ التي تُنبئُ عن دَناءةِ صاحبها، وقد حذر الإسلام عنِ الحسدِ -كتاباً وسنةً-؛ لأنه يأكل الحسنات؛ مثلما يأكل النار الحطب، وقد قال الله تعالى ذامًّا على من اتصف بهذه الخصلة الذميمة: ﴿**أم يحسدونَ الناسَ على ما آتاهم اللهُ من فضلِه ...** ﴾[171] ؟! وغير ذلك من المواضعِ.

والحسد داءٌ خطيرٌ، وما أُخرِجَ آدم وحواء من الجنة، ولا قَتلَ الأخُ أخاه؛[172] إلَّا بسببِهِ؛ ولذا فهو أول ذَنبٍ عُصِيَ اللهُ بهِ في الأرضِ، وفي السَّماءِ! كما يقولُ أهل العلمِ. وقد كثُرَت هذه الظاهرةُ في هذا الزمن؛ فأفضت لاقترافِ السحرِ، وقطيعةِ الأرحام، والقتلِ، ونحوِ ذلك منَ المعاصي، والكبائر ... ويكون الحسد في المالِ، والجاه، وسائرِ الأرزاقِ بما في ذلك العلم، وهو من أسوءِ أنواعِ الحسدِ.

١٣- ما قيل في البداءة بالنفس، ثمّ الأقربُ فالأقربِ: Balanga laax diaye; laax lek

الترجمة الحرفية للمثل:قبلَ أن تُعِدَّ العصيدةَ للبيعِ؛ عليك أن تأكل منها أوَّلاً.

دلالة المثل وتأصيله:أي: أنّ على الإنسان أن يبدأ بنفسِه، ثم بمن يليهِ مِن أقاربِهِ، وذويهِ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الأباعدِ. وهذا هو المسارُ الصحيح، وأمّا قَلْبُ القضيةِ -كما يقع

---

[171] سورة النساء، الآية رقم: ٥٤.

[172] أعني: هابيل، وقابيل، وقصتهما في القرآن مشهورة.

عليهِ البعضُ- حيث يهتمون بالأباعدِ أكثر من الذاتِ، والأقاربِ؛ فخطأٌ فادِحٌ، ويؤيِّد هذا قولُ ربنا -جلّ تعالى-: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾، وقد أَمر النبيٍّ -صلى الله عليهِ وسلَّم بالبداءة بالنفسِ، ثمّ بمن تعول. وهذا المثل الولوفي يدعو إلى هذه القيمة القرآنية الرفيعة، وهي في غايةِ الأهميةِ؛ حيث أنَّ كثيرًا من العوام؛ بل من الأخيارِ مَنْ تجده يحسن إلى من بَعُدَ بماله، أو بعلمهِ، أو بسُلطانِهِ؛ ولكنَّ أقرباءَهُ لا يحمدونَهُ في هذا البابِ؛ لأنه لا يقفُ معهم في شاردة، ولا واردةٍ، وهذا قلبٌ لظهرِ المجنة، أو عكسٌ للآيةِ لا يليقُ؛ فالأقربون أولى بالمعروف. وقد رسم لنا الإسلام في ذلك خطة دقيقة سواء مع الأقاربِ، والجيرانِ، وغيرهم ممن نُخالِطُهُم، والحكمةُ أن نَضَعَ الأمورَ في أماكنِها اللاَّئقةِ، ومن ابتُلِيَ بشيءٍ من ذلك فلا ييأسَنَّ؛ وليصدُقِ اللهَ، وسيجد اللَّهَ أشدَّ فرحًا بتوبتِهِ، وقد سبقت مغفرتُه غضبَهُ.

ولا يعني ما تقدم إهمالُ الأباعدِ؛ بل لهم حقوقهم علينا، ومن نافلةِ القولِ أنَّ رابطةَ الإسلامِ أقوى من علاقةِ النَّسبِ، وهذا بلالٌ الحبشيُّ، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي أفضل من جيوشٍ جرَّارة، وصفوفٍ مرصوصةٍ من أهلِ قريشٍ؛ وأبو لهبٍ، وامرأتُهُ حمَّالةُ الحطبِ، وأبو جهل، وأبو طالب، لم تنفعهم صلاتهم مع سيدِ الخلقِ؛ لمَّا عصواْ الحقَّ. والمقصود بيان فضل ذوي القربى على غيرِهم، نبدأ بهم ثم نتوسَّعُ لتَصِلَ خيراتُنا للأباعِدِ. والعاقل هو الذي يرجو من اللهِ أن لا يقصُرَ فائدتُه على أقاربِهِ؛ فيساعد الجميع، وهكذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يفعل، وأصحابُهُ، وأتباعهم، والتابعون لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

١٤- ما قيل في أن الإناءَ بما فيه ينضحُ:

Nit loumoo namp; lay gal

الترجمة الحرفية للمثل:

الإنسانُ يتقيّأ ما رضعَهُ، لا غير.

دلالة المثل وتأصيله:هذا المثل يوازي المثل العربي الشهير: ((كل إناءٍ بما فيه ينضَح))؛ فمن رضعَ لبناً؛ فإنّهُ لا يتقيّأُ إلاَّ اللبن. ويوافقه المثل الولوفي الآخر:

Nit loumoo baye laye gop، أي: ما زرعَهُ الإنسانُ هو ما سيحصُده.

وبعبارة أخرى: بحسبِ المزروع يكون الحصاد، وهذا عين العدل، ويؤيده الفطرةُ، والعقلُ، والشرع. وهل يُنتَظَرُ فيمن زرعَ التِّينَ أن يحصدَ التفاحَ، أو الموزَ؟! وهكذا الحال فيمن زرعَ القليل من الأرز، فإنه لا ينتظرُ أن يحصدَ الأطنانَ منهُ، وعلى ذلكَ فقِسْ.

وهذا المعنى مُقَرَّرٌ في الكتابِ العزيز: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾،[١٧٣] وغير ذلكَ من الآياتِ والأحاديثِ الواردةِ في هذا المعنى، وشُهرتُها أكثر من أن تُحصرَ. ففي المثل الولوفي ونظيره إرشادٌ إلى ضرورةِ اكتسابِ الخيرِ، و((إيداعِ الرَّصيدِ الوفيرِ)) في ((بنكِ الآخرةِ))؛ بالأعمال الصالحةِ، فكأنَّ المثلَ يقولُ لنا: (يا قوم! إذا امتلأت حسابات أهل الدنيا بالدراهم، والدنانير، والدولار، واليورو؛ فعليكم أن تملأوا حساباتكم في بنك الآخرة. ومن فاته أن يكون له رصيدٌ وافرٌ في بنوكِ الدُّنيا؛ فلا ييأسَنَّ، ولا يجزعَنَّ؛ وعليهِ بأن يُكثِرَ من الحسناتِ، ويتزَوَّدَ من التقوى؛ فذلك أفضلُ من الدُّنيا وما فيها:

تزوَّد من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجرِ؟

فكم من صحيح عاش من غير علة ... وكم من سقيم عاش طول الدهر!

والناس في هذا البابِ قسمان لا ثالث لهما: ((كيِّسٌ))، و((فَطِنٌ)): فالأول: مَنْ دانَ نفسَهُ، وعملَ لما بعدَ الموتِ، ويُقابِلُه من أتبع النفسَ هواها، وتمنَّى على اللهِ الأماني، وهو العاجز. وهذا توصيفٌ دقيقٌ منه -صلى الله عليه وسلم-. وعلى هذا، فمن جاء يومَ القيامةِ لا عملَ له؛ فهو المغبون، نسألُ اللهَ العفوَ، والعافية، وأن نعامل الجميعَ برحمته التي وسعت كلَّ شيءٍ.

١٥- ما قيل في أنَّ الاجتهادَ لا حدَّ له:

Fass loomoo daw daw; gnoo labbaleko

الترجمة الحرفية للمثل: مهما أسرعَ الحصانُ في الجرْيِ؛ فلا بدَّ له من سَوطٍ يحملُه على الجريِ بصورةٍ أفضل.

[١٧٣] سورة الزلزلة، الآيتان رقم: ٧ -٨.

دلالة المثل وتأصيله: أي: مَهْما اجتهدَ المرءُ؛ فإنّه يحتاج إلى المزيد من التّشجيعِ والتّوجيهِ؛ حتّى يبذل مجهوداً أكبرَ من ذي قبل.

وهذا يَعنِي أن المَرْءَ بحاجةٍ إلى التّشجيعِ، مَهما بلغَ من صُوَرِ الاجتِهادِ، والعاقلُ هو مَن ينسَى أعمالَهُ الطيّبةَ، وأن يتقالَّها -أي يعُدُّهَا قليلةً-؛ بِخلافِ أعمالِهِ السَّيِّئةِ، وهذا دأبُ الصالحينَ في كل عصرٍ، ومصرٍ، وسيدهم جميعا محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومع أنه قد اجتهد في العملِ بما كلَّفه الله به؛ حتى غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، ورضي عنه؛ فلم يزَلْ يعمل صنوفَ البر، ويقوم الليل حتى يورم رجلاه! وعند راجعوه في ذلك قال مقولتَه الذهبية أصبح الجيلُ بعدَ الجيل يرويها: ((أفلا أكونُ عبدًا شكوراً))؟! وهذا هو الاجتِهادُ الحقيقيُّ، والمطلوبُ. وتأمل كيف وصف نفسه بالعبودية لربِّ الخليقةِ بعد كل ذلك؛ حتى تعلمَ تواضعَه، وأخلاقه الكريمة. وفي هذا عبرةٌ لمن ينادي إلى ترك العبادةِ من المتنسكةِ بعدَ بلوغهم درجة ((اليقين)) في زعمهم، مستدلين بقوله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)،[174] قال القرطبي: (فِيهِ مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ: وَهُوَ أَنَّ الْيَقِينَ الْمَوْتُ. أَمَرَهُ بِعِبَادَتِهِ إِذْ قَصَّرَ عِبَادُهُ فِي خِدْمَتِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِ. فَإِنْ قِيلَ: فَمَا فائدة قول:" حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" وَكَانَ قَوْلُهُ:" وَاعْبُدْ رَبَّكَ" كَافِيًا فِي الْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ. قِيلَ لَهُ: الْفَائِدَةُ فِي هَذَا أَنَّهُ لَوْ قَالَ:" وَاعْبُدْ رَبَّكَ" مُطْلَقًا ثُمَّ عَبَدَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً كَانَ مُطِيعًا، وَإِذَا قَالَ" حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" كَانَ مَعْنَاهُ لَا تُفَارِقْ هَذَا حَتَّى تَمُوتَ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ سُبْحَانَهُ:" وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" وَلَمْ يَقُلْ أَبَدًا، فَالْجَوَابُ أَنَّ الْيَقِينَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ: أَبَدًا، لِاحْتِمَالِ لَفْظِ الْأَبَدِ لِلَّحْظَةِ الْوَاحِدَةِ وَلِجَمِيعِ الْأَبَدِ. وَالْمُرَادُ اسْتِمْرَارُ الْعِبَادَةِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِح: (**وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**).[175] وَيَتَرَكَّبُ[176] عَلَى هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ أَبَدًا، وَقَالَ: نَوَيْتُ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا كَانَتْ عَلَيْهِ الرَّجْعَةُ. وَلَوْ قَالَ: طَلَّقْتُهَا حَيَاتَهَا لَمْ يُرَاجِعْهَا. وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْيَقِينَ الْمَوْتُ حَدِيثُ أُمِّ الْعَلَاءِ الْأَنْصَارِيَّةِ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُبَايِعَاتِ، وَفِيهِ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أَمَّا عُثْمَانُ- أَعْنِي

[174] سورة الحجر، آية رقم: ٩٩.

[175] سورة مريم، آية رقم: ٣١.

[176] هكذا في الأصل، والصواب: (ويترتب)،

عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ- فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ" وَذَكَرَ الْحَدِيثَ «٣». انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ! وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ يَقِينًا أَشْبَهَ بِالشَّكِّ مِنْ يَقِينِ النَّاسِ بِالْمَوْتِ ثُمَّ لَا يَسْتَعِدُّونَ لَهُ، يَعْنِي كَأَنَّهُمْ فِيهِ شَاكُّونَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْيَقِينَ هُنَا الْحَقُّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ نَصْرِكَ عَلَى أعدائك، قال ابْنُ شَجَرَةَ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالْحَسَنِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ رَوَى جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمَالَ وَأَكُونَ مِنَ التَّاجِرِينَ لَكِنْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ".[١٧٧] ومن تطبيقاتِ هذا المثل الولوفي في هذا العصرِ أنَّ الإنسان إذا تحصل على درجةٍ علمية أدنى؛ فعليه أن يسعى لنيلِ التي بعدَها، هكذا حتَّى ينال آخر شهادة يكتبُها اللهُ له، فقد يُبلِغُهُ اللهُ أن يحصُلَ على درجة الدكتوراه، ثم يتدرج إلى أن يبلُغَ القمة فينال درجةَ الأُستاذية، والمهم أن يأخذها بحقِّها -أيًّا كانت شهادته-. ثم إن الإنسان مهما بلغَ من العلمِ، والعمل، أو أوتيَ من المال، أو نحو ذلك من الأرزاق؛ فالواجبُ أن يستمرَّ في العملِ، من أجل أن ينفعَ البلادَ والعبادَ أكثرَ، وأما أن يركنَ للدعةِ، والخمولِ ويزعمَ بأنه قد اكتفى ذاتيا؛ فليس ذلك من دينِ اللهِ في شيءٍ. وما آتانا الله من العلمِ إلا قليلًا، ولعل هذا من بابِ ضربِ المثالِ؛ وإلا فجميعُ ما آتى اللهُ الثقلينِ من مُلكه مما في خزائنه قليلٌ.

١٦- ما قيل في لزوم الإنسانِ حَدَّهُ:

Gane doo yewi beye

الترجمة الحرفية للمثل:أي: الضيف لا يُطلق سراحَ المعزِ (في بيتٍ غيرِ بيتِهِ).

دلالة المثل وتأصيله: يُحذِّرُ المثلُ الغريبَ بأن يتجاوزَ حدودَه، ويأمره بأن يلزمَ غرزَه. فإذا كان الإنسانُ مطالَباً بلزومِ الأدبِ داخلَ وطنِهِ؛ فكيف وهو غريبٌ؟! وهذا المثل يوازِي المثل السوداني الشهير: (يا غريبْ! كن أديبْ)، ولعلَّ السبب في هذا أن الإنسان في بلدهِ تشفع له أشياء كثيرةٌ -إن أخطأَ-؛ على النَّقيضِ عمَّا إذا كان خارجَ حدودِ وطنِهِ، والتجربة أبلغ من النظرية؛ فلا يُحتاج للأمثلة التي تئنُّ لها أذهان المغتربين. ويمكن أن يقالَ -أيضاً- في معنى المثلِ:

---

[١٧٧] تفسير القرطبي، ج/ ١٠، ص: ٦٤، بتصرف.

إن الإنسانَ عليهِ أن يتأدَّب وهو في بيوتِ الآخرينَ، فإذا كان مطالباً بالأدبِ عند بيتِهِ مع أقاربهِ، وذوي رَحِمِهِ؛ فمن بابِ أولى، وأحرى أن يتأدَّبَ مع الأباعد؟ ويشهد لهذا في الشريعةِ الأمرُ بالاستئذانِ ثلاثاً، وعدم مقابلةِ البابِ حتى مع أقرب الأقارب، كالأبناء، والآباء، والأزواج؛ فإن أُذِن لك، وإلاَّ فارجع، غير عضبان. كما نهى بأن يؤمَّ الرجلُ الرَّجلَ في بيتِهِ؛ إلاَّ بإذنِهِ، وأن يؤم الرجل أقوامًا هم له كارهون. ويتجلى من كل ذلك صونُ الإسلام لحقوقِ الفردِ، والجماعةِ، ومن أهم ما يحقق ذلك تبادل الاحترام، والتأدب، والأخذ بالقيم الإسلامية الفاضلة بما في ذلك ما أرشد إليهِ المثل وهو أن يتصفَ الغريبُ بالأدب. والأدب يلزم من الجميع الاتصاف به، ويتأكَّدُ في حقِّ الغريب.[١٧٨]

١٧-ما قيل أن الإنسان هو الأبصَرُ بأمرِهِ:

Loune’ limouy saf, kakamoss rekaka kham:

الترجمة الحرفية للمثل: الذي يعرف طعمَ الشيءِ هو من ذاقَهُ.

دلالة المثل وتأصيله: أي: أنَّ الإنسان هو الأَدْرَى بما يتلبَّسُ بِهِ؛ حتَّى لو أبدى الناسُ آراءَهم وفاقاً، أو خلافاً.

وهذا المثل يؤيِّدهُ المثل العاميُّ السوداني القائل: (الجمرة بِتَحْرِقْ الْوَاطِيهَا)، ويعنِي أنَّ الجمرة تحرقُ مَن يطأُها، وأما من لا يطأُها؛ فلا طريقَ له إلى معرفةِ ذلكَ البتَّةَ؛ ولو كانَ الوَاصِفُ لهُ أبلغ البلغاء! فمن كان مريضاً -مثلاً-، فحتى لو أفتاه الأطباءُ بأشياءَ معينةٍ؛ فإنه في النهايةِ طبيبُ نفسِهِ؛ لأنَّهُ هو الذي يحسُّ بالألمِ، وهذا أمرٌ يقولُهُ ويوافق عليهِ حُذَّاقُ الأطبَّاءِ. وقد ورد في السنة الأمرُ بأن يستفتيَ المرءُ قلبَه؛ حتى لو أفتَاه الناس وأفتَوْهُ؛ إذ هو الأبصرُ بنفسِهِ.

١٨-ما قيل في التعاون: Bene lokhoo doo tathioo

الترجمة الحرفية للمثل: يدٌ واحدةٌ لا تصفِّقُ.

دلالة المثل وتأصيله: يُرشد المثلُ إلى ضرورة تبادل الخير مع الآخرين، والتعاون على ذلك، ويحذر من مغبَّةِ مخالفة ذلك. وإذا زارَ أحدُ الولوفيين أخاً له مراتٍ عديدةً، ولم

---

[١٧٨] الغريب الذي يهاجر إلى وطن غير وطنه. ومن معنى الغريب الذي ينتهي أجله، وينتقله إلى البرزخ كما قال الشاعرُ: ليس الغرب غريب الشام واليمن   إن الغريب غريب اللحد والكفن

يبادله الثاني بالزيارة، فإذا انقطع الأول وكفَّ عن الزيارة، ثم عاتبَهُ في ذلك؛ فإنَّه يردُّ عليه بهذا المثل، أي أن المزاورة ما سُمِّيَتْ كذلك؛ إلا لأنه يقوم بها طرفانِ، فأكثر، وهذا ما ينطق به ويؤيده المثل الولوفي الآخر: Mbok gnarakoy dokh.

وقد يفسر المثل –أيضاً– بأن الإنسانَ –مهما كان–؛ فإنه يحتاج إلى الآخرين، ولا يمكن أن يعيش لوحده –بمعزل عن الجماعة–؛ ذلك لأنه كائن اجتماعي. وسيأتي المثل الأخير في الأمثال السلبية؛ لبيانِ أنه يمكن أن يتحوَّلَ إلى مثلٍ سلبي؛ إذا تمَّ الاستدلال به بصورة خاطئة. وواجبٌ أن يكون التعاون بين الخلق على البرِّ والتقوى؛ لا على عكسهِ: **(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)**.[١٧٩] والتعاون قيمة رفيعة، وإذا طُبقت؛ انصلحت أحوال العبادِ في العاجلِ، والآجل. وبديهيٌّ أن ينفلِتَ الأمنُ، ويعمُّ الفسادُ، وينتشرَ كثيرٌ من الرذائلِ؛ عندما يُعرِضَ الناسُ القيمَ الإيجابيةَ بما في ذلك التعاون، والتكافل، والأخذ بيد المحتاج، ونصرة الأخ ظالما، أو مظلوما. ولستُ أدري لماذا اللَّهثُ خلف قضايا مضيعة للوقتِ، ولا يشفي الجُرح؟! هذا كتاب الله ينطق بيننا، يشخِّصُ لنا الدَّاءَ، ويصفُ الدَّوَاءَ! ومن الواضح كيف كانت حياة الناس رخيةً ساعةَ كانت هذه القيمة منتشرة بين المجتمات –بما في ذلك المجتمع السنغالي–، ولا يخفى أنها باقية حتى الآن؛ وإن بنسبةٍ أقلَّ؛ بفعلِ العوامل المختلفةِ في العقودِ المتأخرةِ.

١٩–ما قيل في الاعتذار: Balma fadioul goom; waye sedna khol

الترجمة الحرفية للمثل:قولُكَ ((عفواً)) لِمَن أخطأتَ في حقه لا يَشفي جُرْحَهُ؛ ولكنَّ ذلك مُثلِجٌ لصدره.

دلالة المثل وتأصيله: أي أن الاعتذار لوحدِهِ قد لا يَشفي جُرحَ المجروح؛ غيرَ أنَّهُ مُثلِجٌ لِصَدرِه؛ وبالتالي يجعلُهُ راضياً –وكأنَّ هذا بمثابةِ الترياقِ، والبلسم لِجُرحِهِ الذي تسبَّبَ فيهِ المعتذرُ–؛ فيَعفوَ عنْهُ.

ومعلومٌ ما للتسامحِ والاعتذارِ وطلب العفوِ من الفضلِ والأهمية بينَ أفرادِ المُجتمعِ؛ فهو من أنجعِ الأدويةِ في إرضاءِ المَجنيِّ عليهِ؛ وعليهِ، فإنَّ المجتمع عوضًا عن أن يحلِّ مشكلاتِهِ

---

[١٧٩] سورة المائدة، آية رقم: ٢.

جنائيّاً أو قانونيًّا؛ فإنه يحلُّهُ أدبيًّا، وهذا هو الأحسن من اللجوءِ إلى الشرطة، أوالحاكم، أو غيرها، وما يتلو ذلك من تَبِعَاتٍ مُرْهِقَةٍ لكاهلَيْ الجاني، والجني عليه. وقد شجَّع القرآنُ الكريمُ هذا المعنَى في غيرِ ما موضع: ﴿**وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾،[1][180] ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء، وَالضَّرَّاء، وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾.[2] وغيرها من النصوص الشرعية. وما أحسنَ العفو، -وخاصة عند المقدرةِ-؛ ولذلكَ آثارهُ النفسيةُ العظيمةُ، وقد تكون سببًا لدخولِ الناسِ في الإسلام أفواجا، علمَ ذلك سيد الخلقِ، في ذلك الموقفِ المهيبِ، يوم فتح مكة؛ حيثُ دخلها النبي -عليهِ الصلاة والسلام- فاتحًا، ومع كامل قوته، وجبروته، ومقدرته على معاقبة المُسيئين، والتنكيل بهم، وجعْلهم عبرةً لغيرهم على مرِّ التاريخ أشد ما يكون كل ذلك؛ إلَّا أنه آثرَ الصفحَ الجميل! سألهم قائلا: ((يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل بكم؟))، قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: ((فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء))! ولا أعلمُ مقولةً تاريخيَّةً من عظيمٍ ((أصبحَ الجيل بعد الجيل يرويها)) أروعَ من هذه !!! فكان في فتح مكةَ ما كان ممَّا يطولُ ذكرُهُ، ويضيق به المقام شرحُه، وقد أغنت عن الإطالةِ فيه شُهرتُهُ. [181]

٢٠-ما قيل في التعلُّقِ بمعالِي الأمور:

Soomaydé thi all; gayndé momayray

الترجمة الحرفية للمثل:عندما أموتُ في الفلاةِ؛ فالأسدُ قاتِلِي.

دلالة المثل وتأصيله: يُقالُ هذا المثلُ عندما يُريدُ الإنسانُ أن يتعلقَ بأمرٍ؛ فيريدُ أن يتعلَّقَ بمعاليها، وليس بأصْغَرهَا، وأتفَههَا. فمثلاً عندما يريد الزواج يتزَوَّجُ بفُضْلَيَاتِ النساءِ أدباً، وحَسَباً، وجمالاً، وعلماً، وعملًا، وأن يرزُقَهُ اللَّهُ مالًا وفيرًا ينتفعُ بهِ العبادُ، والبلادُ، ... وعندما يشتَرِي سيَّارةً؛ يشتَرِي سيَّارةً فارِهَةً، جميلةً، وعندَ ما يدعو اللهَ؛

---

[1] سورة البقرة، آية رقم: ٢٣٧.

[180] السيرة النبوية، ٤/ ٧٧ - ٧٨، وفتح الباري، ٨/ ١٨،، والفصول في سيرة الرسول - ﷺ -، ص١٨٠، وزاهية الدجاني، فتح مكة نصر مبين، ص: ٧٤، ٧٥. والحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي - ﷺ - الراية يوم الفتح؟ برقم ٤٢٨٧، و ٤٢٨٨.

يدعوهُ بالعلمِ النَّافعِ الذي يورثُ العملَ الصَّالحَ، كما يدعوهُ بِأَنْ يرزُقَهُ الدرجات والشهادات العلمية العُليا؛ بل والشَّهادةَ في سبيلِ اللهِ تعالى، والفردوسَ الأعلَى، وأن يحشرَه في زُمرةِ مَن حَسُنَ رفيقاً: من النبيِّينَ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهداء، والصَّالحينَ؛ وهكذا؛ فإنه مُرتبطٌ دائماً بمعالِي الأُمورِ الدنيويَّةِ، والدينية، مُبتَعدٌ عن سفاسِفِها. والارتباطُ بمعالي الأمورِ من أخصِّ خصائِصِ العُظماءِ، ومن أهمِّ مزايا المسلمينَ، وهذا دأبُ الخالدين في كلِّ عصرٍ، وأعظمُهم الأنبياءُ، والصحابة، والصالحون في مُختلَفِ العُصورِ.

و((صلاحُ الأمة في علوِّ الهمَّةِ)) عنوانٌ مُوَفَّقٌ، كتبَ عنه الأستاذ الفاضل/ محمد حسين العفاني، في بضعِ مجلداتٍ، تناول فيه همة السلفِ الصالح، ثم إن الدكتور بشير[182] تناول موضوع ((شحذ الهمم نحو القمم)) وقد أجادا في ذلك غاية الإجادة، مع اتباعٍ أسلوب حكيم، ومنهج علمي رصين، كما أن للشيخ محمد حسين يعقوب مساهمات طيبة في هذا الخصوصِ.

٢١-ما قيل في أن لكلِّ بدايةٍ نهاية: Lou teugue; tass

الترجمة الحرفية للمثل: كلُّ ما له بداية؛ لا بدَّ وأن تكون له نهاية.

دلالة المثل وتأصيله: دلالة المثل غيرُ بعيدَةٍ من ترجمتِهِ الحرفية؛ إذ كلُّ مَا كان له بداية؛ ستكون له نهاية. فالدنيا ستنتهي بخيرها، وشرِّها، والموت سيَحِلُّ بساحةِ جميعِ الثقلين؛ فتنتَهي بذلك حياتُهم الدنيويةُ، ثم ينتَقلُون إلى حياةِ البرزَخِ، ثمَّ تنتَهي؛ ليشهدواْ بعدَ ذلك الحياة الأُخروية، وتنتَهي بدخولِ المؤمنينَ الجنّةَ، والكافرينَ النَّارَ! جعلنا الله من أهلِ الجنة، وعافانا من النارِ. لا يسلم من السلسلة المذكورة أحدٌ من النَّاسِ، قال تعالى: ﴿**إنَّك ميتٌ، وإنهم ميتونَ**﴾،[183] وقال: ﴿**كلُّ مَن عليها فانٍ، ويبقى وجهُ ربكَ ذو الجلال والإكرام**﴾.[184] وقال تعالى -أيضاً-: في سوة ((مريم)) -عليها السلام-: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً**﴾.[185] وقال الزاهد إبراهيم بن أدهم -في هذا الصدد- قصيدةً جميلةً، جاءَ فيها:

---

[182] تونسي الأصل، مقيم في فرنسا. وقد تناول الموضوع المذكور في بضعِ أشرطةٍ سمعية غاية في الأهمية، ويمكن مراجعة الشبكة الدولية للمعلومات.

١ - سورة الزمر، آية رقم: ٣٠.

٢ - سورة الرحمن، الآيتان رقم: ٢٦ -٢٧.

[٣] سورة مريم، آية رقم: ٧١.

ولو كانت الدنيا تدوم لأهلِها		لكان رسول الله حيًّا مخلَّدُ

ويقول عليه السلام مقرِّراً هذا المعنى البليغ: ((حقٌّ على الله ألا يرتفع شيء من الأرض؛ إلاَّ وضعه)).[186]

وإذًا، فهذا المثلُ يذكرنا بفناءِ هذا العالَم بمن فيها، وما فيها، يدرك الجميع أنها حقيقة مُرةٌ؛ حتى المُلحدونَ، والكفار؛ ناهيك عن المؤمنين، والمسلمين. وعالَمٌ هذهِ كُنهُهَا؛ لحريٌّ بالعاقلِ أن يعتبرَ نفسَهُ في ظلِّها كأنَّهُ عابرُ سبيلٍ، وأن يعمل لما بعد الموتِ. ومع وضوحِ هذه الحقيقةِ؛ فإن واقعَ كثيرٍ من الناسِ يُنبِئُ بعدمِ الاستعدادِ؛ فلا بُدَّ من مراجعةِ النفسِ قبلَ أن يتمنَّى أحدُنا كرَّةً إلى الدُّنيا؛ فيقال له كلًّا، ويترك في البرزخِ إلى يومِ يُبعثونَ، أو يُقال له: هيهات هيهات لما توعدون!

٢٢-ما قيل في التشابُهِ:

Loo dioodo thi tague; sounawool diakhalimbookam

الترجمة الحرفية للمثل:

ما وُلِدَ في عشٍّ؛ إنْ لم يَطِرْ؛ أدْهَشَ أهْلَهُ.

دلالة المثل وتأصيله:

أي: أن ما وُلِدَ في العُشِّ؛ فإنَّ حقَّه أن يطيرَ -لا غيرُ-، وإذا طارَ؛ فلا يكون ذلك مَثارَ جدل، أو دهشَةٍ للنَّاسِ؛ لأنَّ ذلك مُتَوقَّعٌ: فمن كان أبوه عسكريّاً، فليسَ بغريبٍ أن يصيرَ ولدُهُ كذلك، وكذلك الغنيُّ، والفقيرُ، والفنَّانُ، والعالِمُ ... كلُّ أولئك -ومن على شاكلتهم- ليسَ من المستبعدِ أن يسيرَ أبناؤُهم على خُطاهم، بل ذلك هو المتوقَّع منهم. وهذا المثلُ يُوازِي المثلَ الولوفي الآخر القائل: Kewel doo teup doomdieu beute بمعنَى: أنَّ الغزالَ لا يَثِبُ، ويخترقُ ابنُه "الجدارَ". أي: ابنُ الغزالِ يَثِبُ كما يَثِبُ الغزالُ -أيضاً-، ومحالٌ أن يكونَ الغزال -وهو الوالدُ- واثبًا، ثم يأتي ابنُهُ مُخترقًا للجُدُرِ. ومعنى المثل: أن الابن يأتي على شاكلةِ الأبوينِ في الغالبِ -أحدُهما أو كلاهما-. ونظيرُهُ المثلُ العربيُّ المعروفُ، وذلك في الشطرِ الثاني من البيتِ التالي:

---

[186] أخرجه البخاري.

بأبِهِ اقتدى عديٌّ في الكرم   وَمَنْ يشابِهْ أَبَهُ؛ فما ظلم

وهذا الشبه بين الآباءِ والأبناءِ أمرٌ يكتبه اللهُ لحكمةٍ يعلمها؛ ﴿**ألا يعلم من خلقَ وهو اللطيف الخبيرُ**﴾،[187] وقد يحدث عكس ذلك كل ذلك لحكمةٍ يعلمها اللهُ الحكيمُ الخبيرُ. ولا ينبغي أن نلزم الأبناء بمهنةِ الآباءِ كما حصل في زماننا، أو بتخصصاتهم العلمية إن كانواْ متوجهين لغيرها من الشؤون النافعة، ومدركين لأهمية ذلك. ولا بأس بنصحهم، وتوجيههم نحوَ مستقبل واعدٍ، وأفضلَ.

٢٣-ما قيل في ابن التبني:

Doomoo djitle dou doom

الترجمة الحرفية للمثل:

ابنُ التَّبَنِّي ليسَ بِابنٍ. وهذه من أمثالِ (كُوثجِي بارْما) الشهيرةِ بالسنغال، وإن كان البعضُ يعتبره أسطورة.

دلالة المثل وتأصيلُه: ويرى آخرون أن دلالة المثل أن ابن التبني ابناً، وهو نفسُ المعنى اللغويّ للمثلِ؛ ولكن إذا كان المقصودُ أن ابنَ التبنِّي لن تكون فائدتُه مثل الابن من الصُّلبِ؛ فمحلُّ نظرٍ، ويحتاجُ إلى تفصيلٍ. وقُصارى القولِ أنَّ ذلك ليسَ على إطلَاقِهِ، فقد شهدَ التَّاريخُ أنَّ ابنَ التبني قد يُفيدُ المرءَ أكثرَ من ابنِهِ من الصُّلبِ، وقد لا يكون ذلك هو الغالب، كما أن ابن الرجل من صلبه قد لا يرفع رأسا للوقوفِ مع أمه، أو أبيه، أو أقاربه، وإن كان ذلك غير متوقع. والذي ينبغي معرفته هو أن الولد الذي يُبارَك فيهِ قد يكون الابنُ من الصلبِ، وقد يكونُ هو ابنُ التبنِّي، وقد تفطَّنَ لذلك بعضُ مَسرَحِيِّي السنغالِ؛ فنبَّهواْ الشعبَ إلى ذلك من خلالِ بعضِ أعمالِهم المسرحيةِ الشَّهيرةِ.

ومن معاني المثل الولوفي -كذلك- عدمُ الافتخارِ بما لا تملكُه، ويملكُه غيرك، أو الافتخار بأمجادِ الآباء والأجدادِ، وقد قال الشاعرُ العربي في هذا الخصوصِ:

كُن ابن مَن شِئتَ واكتسبْ أدبًا   يُغنيكَ محمودُهُ عن النَّسبِ

إن الفتَى مَن يقولُ ها أنذا   وليس الفتَى مَن يقولُ كان أبي

---

[187] سورة الملك، آية رقم: ١٤.

ويشهدُ لهذا من القرآنِ الكريم المنعُ قول الرب جل جلالُهُ: (**وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**).[188] يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُرَائِينَ الْمُتَكَثِّرِينَ بِمَا لَمْ يُعْطَوْا، كما جاء فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مِنْ ادعى دعوة كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا، لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا قلة».[189] وفِي الصحيح أيضا «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ».[190] وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَزْوِ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَنَزَلَتْ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا الْآيَةَ، وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي مَرْيَمَ بِنَحْوِهِ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ حَدِيثِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: كَانَ أَبُو سَعِيدٍ وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عِنْدَ مَرْوَانَ فَقَالَ: يا أبا سعيد رأيت قوله تَعَالَى: لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا، وَنَحْنُ نَفْرَحُ بِمَا أَتَيْنَا وَنُحِبُّ أَنْ نُحْمَدَ بِمَا لَمْ نَفْعَلْ؟ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ ذَاكَ، إِنَّمَا ذَاكَ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَتَخَلَّفُونَ إِذَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا، فَإِنْ كان فيهم نَكْبَةٌ فَرِحُوا بِتَخَلُّفِهِمْ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ حَلَفُوا لَهُمْ لِيُرْضُوهُمْ وَيَحْمَدُوهُمْ عَلَى سُرُورِهِمْ بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: أَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَهَذَا يَعْلَمُ هَذَا؟ فَقَالَ مَرْوَانُ: أَكَذَلِكَ يَا زَيْدُ؟ قَالَ: نَعَمْ صَدَقَ أَبُو سَعِيدٍ، ثُمَّ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَهَذَا يَعْلَمُ ذَاكَ- يَعْنِي رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، وَلَكِنَّهُ يَخْشَى إِنْ أَخْبَرَكَ أَنْ تَنْزِعَ قَلَائِصَهُ فِي الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ زيد لأبي سعيد الخدري: ألا تحمدني على ما شهدت لَكَ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: شَهِدْتَ الْحَقَّ فَقَالَ زيد: أولا تَحْمَدُنِي عَلَى مَا شَهِدْتُ

[188] سورة آل عمران، آية رقم: ١٨٨.

[189] صحيح مسلم (إيمان حديث ١٧٣).

[190] صحيح البخاري (نكاح باب ١٠٦) وصحيح مسلم (لباس حديث ١٢٦) .

الْحَقَّ؟ ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ: أَنَّهُ كَانَ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عِنْدَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: يَا رَافِعُ فِي أي شيء نزلت هذه الآية؟ فَذَكَرَهُ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَانَ مَرْوَانُ يَبْعَثُ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ كَمَا تَقَدَّمَ، فَقَالَ لَهُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا قَالَهُ هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ وَمُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ هَلَكْتُ، قَالَ «لِمَ»؟ قَالَ: نَهَى اللَّهُ الْمَرْءَ أَنْ يُحِبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ وَأَجِدُنِي أُحِبُّ الْحَمْدَ، وَنَهَى اللَّهُ عَنِ الْخُيَلَاءِ وَأَجِدُنِي أُحِبُّ الْجَمَالَ وَنَهَى اللَّهُ أَنْ نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا فَوْقَ صَوْتِكَ وَأَنَا امْرُؤٌ جَهْوَرِيُّ الصَّوْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَلَّا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا، وَتَدْخُلَ الجنة؟» فقال: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَعَاشَ حَمِيدًا وَقُتِلَ شهيدا يوم مسيلمة الكذاب.

وقوله تعالى: فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ يُقْرَأُ بِالتَّاءِ عَلَى مُخَاطَبَةِ الْمُفْرَدِ، وَبِالْيَاءِ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ أي لا يحسبون أَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ الْعَذَابِ بَلْ لَا بُدَّ لهم منه ولهذا قال تعالى:(وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) ثم قال تعالى: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أَيْ: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، فهابوه ولا تخالفوه، واحذروا غضبه ونقمته فإنه العظيم الذي لا أعظم منه، والتقدير الذي لا أقدر منه.

٢٤-ما قيل في الشيطان: Seytane wakool deug; waye yakhna khel

الترجمة الحرفية للمثل:أي: الشيطان لم يَقُلِ الحقَّ؛ ولكنَّه يفسد العقل.

دلالة المثل وتأصيله: لم يقلِ الشَّيطانُ الحقَّ؛ ولكنَّهُ يُوَسْوِسُ عقلَ الإنسان؛ من أجلِ إفسادِهِ؛ ولذا وجبَ الاستعاذةُ ﴿**من شرِّ الوسواسِ الخنّاسِ**﴾.[191] ودق حكى الله لنا ما جرى لآدم وحواء مع إبليس، حين وَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وأغراه بأن يدله على شَجَرَةِ

---

٤ سورة الناس، آية رقم: ٤.

الْخُلْدِ، وَمُلْكٍ لا يَبْلَى.

ولو كنا نسمعُ أو نعقل؛ فقد صارَحنا القرآن الكريمُ -مُنتهى الصراحة- أنَّ الشيطان لنا عدوٌّ؛ فأمرَنا باتخاذه عدوا؛ إنما يدعو حزبه؛ ليكونوا ممن يُسَعَّرُ بهم جهنم.

٢٥-ما قيلَ في الصبر والمثابرة؛ للبلوغ إلى الأهداف المرجوَّةِ:

Koobeugue akara; dangaye gneme kan

الترجمة الحرفية للمثل:

من أحبَ الـ"أكَراَ"، وهيَ: "الطَّعميَّةَ"؛ فلا بدَّ لهُ مِن أن يتحمل حرارةَ الشطَّةِ "التي تصاحبُها".

دلالة المثل وتأصيله:

أنَّ من أراد أن ينالَ معالي الأمورِ؛ فلا بد له من الصبر. ونظيره من الأمثالِ العربيةِ: ((من طلبَ العُلاَ؛ سهرَ الليالي))، و((من يزرع؛ يحصُد)). وعليه، فمن أراد العلمَ؛ فلا بدّ من أن يتعب حتَّى ينال جانباً منهُ؛ فلا يُنالُ العلمُ براحةِ البدنِ. وكذلك من أرادَ الإمامةَ في الدينِ؛ فلا بدَّ له من الصبرِ، واليقينِ، وبهما تُنالُ الإمامةُ في الدينِ، وعلى ذلك فقِسْ: المالَ، والحسناءَ، والجنَّةَ. ((ألا إن سلعةَ اللهِ غالية، ألا إن سلعةَ اللهِ الجنة))، وقد حُفَّتْ الدنيا بالمكارهِ، وأمَّا الجنَّةُ فقد حفَّت بالمكارهِ، ونظيرُهُ من الأمثال الولوفية – كذلك-: ((Beugue lem; gneme yam))، ويعني: أنَّ من رغبَ في العسلِ؛ فلا بد له من أن يصبر على لسعِ النحلِ. والمقصودُ أنَّ من ابتغَى الوصولَ إلى معالِي الأمورِ –سواءً أكان أمراً دينيا أم دُنيويًّا-؛ فلا بُدَّ من أن يتحلَّى بالصبرِ؛ من أجلِ تحقيقِ مرادِهِ. والتاريخُ كلُّه شاهد على هذا المعنى؛ فلا نحتاجُ للإطالةِ في هذا المقامِ.

٢٦-ما قيل في أن التعلم هو باب التعليم: Loo donoul talibeme; dodone serigname.

الترجمة الحرفية للمثل: ما لم تتعلَّمْه؛ لا يمكن أن تكون فيهِ شيخاً.

دلالة المثل وتأصيله: ما لم تكن تلميذا فيهِ؛ لا يمكن أن تكونَ شيخاً فيهِ: فإذا لم تتعلم النجارة؛ لا يمكن أن تُعلِّمَه الناسَ، وإذا لم تدرُس علمَ النَّحوِ؛ لا يمكنك أنْ تكونَ أستاذاً

فيهِ؛ لأنَّ (فاقد الشيءِ لا يُعطيهِ)، -وهو نظيرُ المثلِ المذكور من الأمثالِ العربيَّةِ. وهذا واضحٌ وضوحَ الشمسِ في رابعةِ النَّهارِ، وهو موافقٌ للفطرةِ، والعقلِ، والشَّرعِ. وعلى ما تقدمَ فالواجبُ على المرءِ أن لا يُفتِيَ في أمرٍ ليسَ من أهلِ الاختصاصِ فيهِ. وقد تجاسرَ بعضُ النَّاسِ في هذا الزمانِ وغيرِهِ؛ فكان ذلك نتيجةً لشرورٍ كثيرةٍ. وإذا لزم الجميعُ ما يُتقنونَهُ؛ أفضى ذلك إلى الإتقانِ؛ وبالتالي ينهضُ المجتمعُ بأسرِهِ، والعكس صحيحٌ.

٢٧-ما قيل في الصبرِ والمثابرة، وأنهما سببانِ لبلوغِ الغاياتِ:

Koo yague thi Tene; bague feklafa.

الترجمة الحرفية للمثل: من أطال المُكثَ في البِئْرِ؛ وجده الدَّلوُ ثَمَّ.

دلالة المثل وتأصيله: من طلبَ الشيءَ، وأطالَ المثابرة في طلبِهِ؛ نالَ ما أرادَ، وهذا يوافقُ قوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾،[192] وقوله عليهِ السلام: ((... ومن أدلجَ؛ وَلَجَ)). والإدلاجُ هو السيرُ ليلاً. فالصبرُ والمثابرة سببانِ لبلوغِ الغاياتِ. وجميعُ تجارب الأمم والشعوب في هذه الدنيا شاهدةٌ على صحة هذا المثلِ الولوفي، ولو تعلق قلبكَ بالثريا؛ ثم سعيتَ لها سعيًا صادقًا؛ لنلتَها، ويستوي في هذا الشأن المؤمن والكافر؛ لأنَّ الأرضَ وضعَها اللَّهُ للأنامِ؛ أي للخلقِ، ولم يقل للمؤمنينَ؛ ولذلك هو ((الرحمن)) الذي شملت رحمتُه جميع الخلق، لا فرق! وتلك سنةُ الله التي لا تتحوَّلُ. وحُقَّ لسورةٍ وردَ فيها هذا المعنَى أن يكون يحمل اسمَ ((الرحمن))، مع ما فيها من ذكرِ آلاءِ الرَّبِّ التي لا يَحصرها حاصِرٌ!

٢٨-ما قيل في أن الجزاءَ من جنس العمل: Louwaye Dieuf; Boppam

الترجمة الحرفية للمثل: كل يقوم به الإنسان من العمل؛ فلنفسه، أو عليهِ.

دلالة المثل وتأصيله: ما يعمله الإنسانُ، يُكتَب له، أو عليهِ، فـ "الجزاءُ مِنْ جنسِ العملِ"، وقد ورد في القرآن الكريم: (**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**).[193] وقوله تعالى: (**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**).[194] وهذا أشهرُ من يُحصَرَ قُرآنًا، وسُنَّةً.

---

١ سورة طه، آية رقم: ١٣٢

[193] سورة البقرة، آية رقم: ٢٨١.

٢٩-ما قيل في التزكية:

Saboo doo fott boppam

الترجمة الحرفية للمثل:

الصابونُ لا يُصَبِّنُ نفسَهُ.

دلالة المثل وتأصيله:

لا ينبغي للمرءِ أن يُزَكِّيَ الإنسانُ نفسَه -مهما بلغ من الصلاح والتقوى-؛ لأنه لا يعلم هل تَقَبَّل اللهُ أعمالَه أم لا؟ وهذا ما أرشد إليه القرآن الكريم؛ حيث يقول: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ، إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾، [٣] وقد أمرت السنة الشريفة أن يقول المسلم إذا مُدِحَ، أو زُكِّيَ: اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي فيما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، أو نحواً من هذا. وأن نقول لمن نزكيه: أحسبه كذلك، ولا أزكي على اللهِ أحداً، ولا نشهدُ مِن الناس؛ إلا الذي نعلمه منهم؛ وأما الغيبُ فيتولَّاهُ عالِمُ الغيبِ، والشهادة، وذلك مبدأٌ قُرآنيٌّ معروفٌ، وهذا ما يُقالُ في السُّنَّةِ الشريفةِ. والعاقلُ من يكون عنده خبيئةٌ من الأعمالِ الطيِّبةِ، لا يطلِّعُ عليها غيرُ اللَّهِ، وأن يكون بعيدًا عن كلِّ صنوفِ الرياء، والتعلق بحظوظِ النفسِ، وذكرِ مناقبه الطويلة، ومن كان شأنه كذلك؛ فشهادتُهُ مَجرُوحَةٌ.

٣٠-ما قِيلَ في العجلةِ، وأنها تورث الندامة/ وما قيلَ عنِ الحرَّةِ:

Koomar takhanane fotit; soo rebine tidhie ngaroosse

الترجمة الحرفية للمثل:

من شربَ ماءَ الغسيلِ؛ من أجلِ دفعِ الظمأ؛ خَجِلَ؛ ساعةَ يرجع ماء المعصورةِ.

دلالة المثلِ وتأصيله:

لا ينبغي أن يشرب المرء ماء الغسيل -بالغًا ما بلغَ بِهِ الظمأُ-؛ لأنه سيندم إذا وجد الماءَ النقيَّ. والمَعْنَى: أنه لا ينبغي ممارسة الممنوعِ بسببِ الضائقةِ التي تلمُّ بالإنسانِ، وليلزَمِ

---

٢ سورة المدثر، آية رقم: ٣٨.

٣ - سورة النجم، آية رقم: ٣٢.

الصبرَ؛ وإلا ندمَ. ونظيرُهُ من الأمثال العربيَّةِ: ((في التأني السلامةُ، وفي العجلةِ الندامةُ))، وكذلكَ المثل الآخرُ القائلُ: ((تجوعُ الحرةُ، ولا تأكلُ من ثدييْها))، أي إنَّ الحرة لا تُقدِم على الفاحشة -أبداً- مهما تنكَّرت لها الحياة، وضاقت سبُلُها أمامَها. وقد قالت هند -رضي الله عنها-: "أَوَ تزني الحرَّةُ"؟!!! وهذا قبل إسلامِها! عندما بايعهُنَّ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- على ألاَّ يَسْرِقنَ، ولا يزنينَ، ولا يأتين بِبُهتانٍ يفترينَه بينَ أيديهنَّ، وبأيمانهن، والقصة معلومة. فالحرة لا تُقدِم على الفاحشة؛ ناهيك عن المؤمنةِ، فالمثل الولوفي وغيرها من الأمثال النظيرة لها تدعو إلى العفةِ، وهي قيمةٌ بالغة الاهمية، وهو المقام ((اليوسُفِيُّ)) كما ذكرَهُ القرطبيُّ في ((المفهم في تلخيصِ ما أشكلَ من صحيحِ مُسلمٍ)) له، وفي هذا من وَقفاتِ التأمُّلِ ما لا يخفى على الإنسانِ العاديِّ؛ دَعْكَ عَنِ الكَيِّسِ الفَطِنِ. وتتأكَّدُ قيمةُ العفةِ في عصرِ التكنوجيا الحديثة التي دخلت البلادَ وتخطت كل أنواعِ الحواجز بلا تأشيرة، ودخلتْ بيوتَ النَّاسِ بلا استئذانٍ عبرَ الفضائياتِ، وعبرَ الشبكة الدولية للمعلوماتِ، وازدادَ الأمر استفحالًا في عهدِ الهواتفِ الجوالةِ الذَّكيَّةِ التي تجولُ معَ الناسُ حيثُ جالُواْ، وأقامُواْ في أقطارِ الأرضِ المترامية الأطرافِ. ولا يخفى ما فيها من الإيجابياتِ التي سهَّلت حياةَ إنسانِ القرنِ، ومع ذلك فقد قضت مضجعَ كثيرٍ منَ قِيَمِهِ الرَّشيدةِ، وجعلَ كثيرًا منهم أشبَهَ بالأنعامِ؛ بل هم أضلُّ سبيلًا. وهذا مُشاهَدٌ في كثيرٍ من صَرْعَى التكنولوجيا الحديثةِ، وخاصة الشباب من النوعينِ. فيُرجَى ممَّن قاومَ هذا الشأن أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله.

٣١-ما قيل في مراعاةِ الغد/ المستقبل:

Euleug doo Gane; waye matna sede agne

الترجمة الحرفية للمثل:

ليس الغدُ أو المستقبل ضَيْفاً؛ ولكنهُ يحتاج إلى أن نترك له غداءَه.

دلالة المثل وتأصيله:

يُرشِدُ المثلُ إلى أهمِّيَّةِ التخطيطِ للمستقبل، والانجرافِ في خضمِّ أعباءِ الحاضرِ، وهذا يُشبه نصيحةَ الرسول -عليه الصلاةُ والسلام- لأمته ساعةَ أوصاهُمْ بضرورةِ أن يكون الإنسانُ في الدنيا كأنه غريبٌ أو عابرُ سبيل، وكان ابن عمر يوصي بعدمِ انتظارِ المساء؛

إذا أصبح الإنسان، والعكس. كما يشبه قول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.[١٩٦] فالمثل يذكرُنا بالغدِ، أو المستقبل، وأنه -وإن لم يكن ضيفًا-؛ إلاَّ أنه يجدرُ بنا أن نُخطط لهُ، وهو الذي عُبِّرَ عنه بألَّا ننسَى نصيبَهُ من الغداءِ، وهذا تشبيهٌ للمستقبلِ بالإنسانِ يخرُجُ من بيتِهِ؛ فلا بد من أهلهِ أن يضربواْ له من غدائِهم بنصيبٍ وافرٍ يطعمُهُ حينَ رجوعهِ. وكما أنهُ مُحالٌ أن يعتذرَ أهلُ المذكورِ بنسيانِهم له، وأنَّ الطَّعامَ قد نفد؛ فكذلك لا يُعذَرُ أحدٌ عدمَ التخطيطِ للمُستقبلِ، ثم الاحتجاج بتلك الأعذارِ الواهيةِ التي تَنِمُّ عن عقلٍ سقيمٍ، وفكرٍ سقيمٍ، ومنطقٍ مُعوَجٍّ؛ ممَّا أوردَ صاحبَهُ الموارِدَ، وذهبَت به الهموم شذرَ مذر، وتشتت أمورُهُ، وضاعت جهوده، وضيَّعَ عيالَهُ، وأهلَهُ، ومن يتعلَّقُ بهِ -معاذَ اللَّهِ-.

والتخطيطُ مطلوبٌ سواء أكان على المستوى الفردِ، أو الجماعة، محليا، أو إقليميا، أو دوليا. والذين نجحواْ في كل الدنيا هم المخططون، وأما غيرُ المخططين فمن المعلومِ أنهم سيصيرونَ جزءًا من مخططاتِ الآخرين، وليس لهم من النجاحِ نصيبٌ البتَّةَ؛ وإن نجحواْ فإنَّما هو النَّجاحُ الصُّوري يحسَبُهُ الناظرُ ماءً، فإذا تأمَّلَ؛ وجدَهُ سرابًا بقيعةٍ.

٣٢-ما قيل في الدلالة عن عدم جدوى وجودِ الشيءِ:

Amna guileme; waye mongui gannar

الترجمة الحرفية للمثل:

لديَّ جملٌ، ولكنَّه في (غانَّارْ) أي موريتانيا.

دلالة المثل وتأصيله:

يُقال هذ المثلُ؛ إذا طلبَ منك أخوك شيئاً ما، ويكون ذلك المطلوب عندك، ولكنَّهُ في مَكانٍ قَصِيٍّ؛ بحيثُ لا يمكنك أن تحقّقَ له مُرادَه في ذلك الوقتِ؛ مِمَّا يجعلُ وجود ذلك الشيء كعدمِهِ؛ إذ لا سبيلِ للوصولِ إليهِ في وقتِ الحوجةِ؛ فهو في حُكْمِ المعدومِ، فيقول الولوفيون هذا المثل في مثلِ هذهِ المواطنِ من بابِ المزاحِ، والدُّعابةِ، وبيانِ أن وجودَ ذلك

---

١ سورة القصص، آية رقم: ٧٧.

الأمرِ مثل عدمِهِ. ولا يخفَى أنك إذا نَوَيتَ أنْ تُسَاعِدَ أخاك، غيرَ أنه حالَ دونَ ذلك حائلٌ خارجٌ عن مَقْدُورِك؛ فكأنَّك قد ساعدتهُ؛ إذِ الأعمالُ بالنيَّاتِ، قبولا وردا، صلاحا وفسادا، ونية المؤمن أبلغُ من عملِهِ، وفي ذلك تسليةٌ لهُ.

٣٣- ما قيلَ في العَيْنِ، وفي النعمِ الإلهيَّةِ:

Beute doo yenoo; waye khamna loo bop attane

الترجمة الحرفية للمثل:

العينَ لا تَحْمِلُ؛ ولكنَّها تدري ما يقدر الرَّأسَ على حملِهِ.

دلالة المثل وتأصيله:

أي: إنَّ العينَ من أهمِّ الحوَّاسِ التي أنعمَ اللهُ بها على خلائِقِهِ، ومن أهمِّ خصائِصِها أنّها تقوم بالإرشادِ والتوجيهِ للأعضاءِ الأخرى -كما أنها مَقودَةٌ بالعقلِ، أو القلبِ-. فالعينُ وإنْ كانَ جُرمُها صَغيراً، لاَ تستطيعُ حملَ الأثقالِ؛ إلاَّ أنَّها تعلمُ ما يستطيع الرّأسُ حملَهُ. وهذا الحمل قد يكون مادّيّاً محسوساً، كما قد يكون معنويّاً مفهومًا. فالعينُ لا يعرفُ قيمتَها؛ إلاَّ منِ ابتُلِيَ بفُقدانِها بالكُلِّيَّةِ، أو بإصابتِها بشيءٍ من الأدواءِ -نسألُ اللهَ العافيةَ-، -وشأنُ العينِ شأنُ الحواسِّ والأعضاءِ الأُخرَى والتي هي من جُملةِ النعمِ الإلهية العظمى التي ما قدرنا اللَّهَ حقَّ قدرهِ في شكره؛ لا بل إنَّ شُكرَها، أو بعضها نِعمٌ أُخرَى تترَى؛ تستوجِبُ منَّا -كرَّةً أُخرى- الشُكرَ للمُنعِمِ -جلَّ جلالُهُ، وتقدَّست أسماؤُهُ وصفاتُهُ-: ﴿**وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾.[197] وهذه الآية على وجازتِها لخَّصت المعاني المتقدمة، وَحَوَتْ كثيراً من الدلالاتِ العجيبةِ -التي لا زلنا نجهلُ مُعظَمَها-. ومن تأمل هذه الآية؛ وجدها داخلة في كلِّ شيءٍ يستمتع به الإنسان منذ بدءِ الخليقةِ وإلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها؛ بل هو شاملٌ لجميعِ أحوالِ المؤمن من السَّرَّاءِ، والضَّراء على السَّواءِ؛ فيشكرُ، ويصبر؛ فيعُودُ كلُّ ذلك بالخيرِ لهُ؛ ولذا تعجَّبَ نبيُّنا -صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- من أمرهِ !!! وحالة الشكر واضحةٌ؛ ولكن مع ذلك، فالقليلُ من عبادِ اللهِ الشَّكورُ؛ على ما أسبغَ عليهم من نِعَمِهِ

---

١ سورة إبراهيم، آية رقم: ٣٤.

ظاهرةً، وباطنةً، في جميعِ الأمكنةِ، والأزمنةِ. وأمَّا حالةُ الصَّبرِ، فإنه وإن تبَدَّى للمؤمنِ باديءَ ذي بدءٍ ما هو فيهِ منَ المِحنَ، والمشكلاتِ المُتكاثرةِ؛ فالواجبُ عليهِ أن يصبرَ عند الصَّدمةِ الأولى، وأمرُ اللهِ نافذٌ فليسَ الجزع مُفيدٌ لهُ، وساعةَ يلزم قيمةَ الصَّبرِ؛ فإنَّ تلك المحن تنقلبُ إلى مِنَحٍ إلهيةٍ تُنسيهِ معاناتِهِ السَّابقة؛ وهكذا يَتَفَطَّنُ للمُعادلةِ الصَّحيحةِ للحياةِ، ويرتاح ضَمِيرُ المُؤْمِنِ. ودعنِي أُصَارِحُكَ في هذا المقامِ –أَيُّهَا القارئُ الكريمُ– أن سببَ شقاءِ الكفارِ، والملحدين وغيرهم من الناس هو عدمُ إدراكِهم وتطبيقِهم لهذهِ المعادلةِ الصحيحةِ؛ بل قد شملَ هذا الكلامَ الكثير من المسلمين غيرِ الملتزمين بدينِهم الالتزام المطلوب، وهذا واضحٌ في حياةِ النَّاسِ في الأقطارِ كافَّةً. وإن تعجب فعجبٌ مِن كثيرٍ من الذين أغدقَ الله عليهم من النعم ما هو فوقَ الوصفِ؛ بل بعضُهم وُلِدَ، ونشأَ، وكبُرَ لا يعلمُ إلَّا النِّعم الوفيرة، فلم يُجرِّب شَقاءً؛ إلَّا بقدرِ ما لا بدَّ منهُ لأيِّ مخلوقٍ لا ينفكُّ عنهُ أحدٌ البتَّةَ؛ ومع جميع ذلك فلم يُجهدواْ أنفسَهم أن يشكرواْ بعضًا من تلك النِّعَمِ ! فلا حولَ ولا قوة إلا باللهِ.

٣٤–ما قيلَ في أنَّ أهلَ كلِّ قضيةٍ هم الأدرى بها من غيرِهم:

Sammookatoo mbotte mokham bathiaye sokh

الترجمة الحرفية للمثل:

راعي الضفادع هو الذي يعرف التي تظلع/ تعرج منها.

دلالة المثل وتأصيله:

أهلُ كلِّ قضيةٍ هُم الأدرى بها من غيرِهم: فالأطبَّاءُ هم أعلمُ الناسِ بالطبِّ، والمهندسون هم أدرى النَّاسِ بمجالِهم، وهكذا النجَّارون، والفلاحون، والمعلِّمون، وأرباب المصانع، ورباب البيوت، وأولياء الأمور، وأهل المدن، وأهل القرى ... وهلم جرًّا، كلُّ أولئك أبْصَرُ بما يتَّصلُ بتخصصهم من الآخرين الذين لا صلة لهم بتلك المجالاتِ، ويؤيد هذا المعنى المثلُ الولوفي الآخر: (Boroom mbam mokham mbamaam) وقد ذكرَ المثلُ الأخيرُ بعضَ أفراد العام "الحمار" من بابِ التَّمثيلِ –فقط–؛ وأرادَ بذلك كلَّ ألفاظه؛ وهكذا يُفهمُ –أيضًا– ذكر الضفادع في المثل الولوفي الذين نحنُ بصددِه. وبما تقدمَ؛ يكونُ المعنَى: أنَّ كُلَّ أصحابِ شأنٍ أبْصَرُ بِشُؤُونِهم. ونظيرُ المَثَلَيْنِ

الوُلُوفِيَّيْنِ المَذْكُورَيْنِ –وأشباهِهِما المثلُ العربِيُّ الشهيرُ: ((أهلُ مَكَّةَ أدرى بِشعابِها))، كما يشهدُ لصحَّةِ هذا المعنى في نصوصِ الوحيِ: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ**)،[198] ونظائرُ ذلك في القرآنِ الكريم، والسنة الشريفة معلومة؛ فأغنى ذلك عن الاستطرادِ.

٣٥–ما قيلَ في الوساطةِ وأهميَّتِها: Borom koudoo doo lakke

الترجمة الحرفية للمثل: صاحب الملعقة لا يحترق.

دلالة المثل وتأصيله: يرشد المثل إلى أهمية ((الوساطة))، وهذا المثل قد يكون إيجابيا، كما قد يكون سلبيا؛ بحسب المقصودِ من المثلِ؛ ولأنّ الوساطة نفسَها قد تكون للخيرِ، وقد تكون وساطة شرٍّ، مثل الرشوة، أو غيرها من الوساطاتِ السلبيةِ التي ظهرت في حياةِ الناسِ.

وقد عُلِمَ بالتجربةِ –وخاصة في واقعنا اليوم–، أنَّ من عنده وساطة؛ فإنه لا يتعب في الوصولِ إلى مُبتَغاهُ، كما يعاني من ذلك من لا وساطةَ لديه، وهذا أمرٌ لا بأسَ به؛ إذا كانت وساطة خيرٍ، بل قد يكون ذلك من توفيقِ اللهِ تعالى للإنسانِ، بأن يسهِّل عليهِ أمورَهُ، ويجد الخلقَ يحبونه، ويخدمونه، ويشفعونَ لهُ. وإن الله إذا أحبَّ العبدَ أمرَ عباده بأن يحبُّوه؛ وبذلك يصبح جميع ما في الكونِ مُسخَّرةً لهُ. والعاقلُ هو من يجتهدُ في نَيلِ توفيقِ اللهِ تعالى له في هذا البابِ؛ من أجلِ أن تكون سائرُ شُؤُونِه مُيَسَّرةً، وهذه هي الناحية الإيجابية للمثلِ، أما السلبية منها فستأتي في موضعها.

٣٦–ما قيل في أن المحرِّكَ أقوى من المحرَّكِ: Looyengoo loune likoyengueul mokoo euppe doole

الترجمة الحرفية للمثل: كلُّ متحركٍ، ما يُحرِّكُهُ أقوَى منهُ.

دلالة المثل وتأصيله: المحرِّكُ أقوى من المحرَّكِ: فعل سبيلِ المثال: عقلُ الإنسانِ أقوى من السيارة، والطائرات، والشبكة الدولية للمعلومات "الإنترنت" وغيرها من إفرازاتِ التكنولوجيا؛ لأنَّها –مهما عظُمت– ناتجةٌ من إنتاجِ العقلِ البشريِّ –بعدَ توفيقِ اللهِ تعالى–. ومن يُنفقُ على شخصٍ؛ فهو أفضلُ منه –حتَّى لو كان المُنْفَقُ عليهِ عابداً–،

---

١ سورة الحجر، آية رقم: ٩.

كما دلَّتْ على ذلك سنَّةُ الرسولِ -عليهِ الصلاةُ والسلام-، هذا في حقِّ الخلقِ، وللهِ المثلُ الأعلى؛ فهو أقوى من ذلك جميعًا، الذي لولاهُ لما تحرَّكَ متحرِّكٌ في أرضِهِ، وسمائِهِ، وبرِّهِ، وبحرِهِ، فسُبحان العليِّ، القديرِ، القويِّ، الأحدِ، الفردِ، الصمدِ الذي لا يتحرَّكٌ متحركٌ، ولا يسكن ساكنٌ إلا بإذنِهِ، ومشيئتِهِ، فهو ذو القدرة الإلهية المُطلقة، وأما البشرُ، فلا يشاؤونَ؛ إلا أن يشاءَ اللهُ، وكلُّ هذا جُزْءٌ يسيرٌ من معاني المثلِ الغزيرةِ.

٣٧-ما قيل في عدم الاغترارِ بالمظاهرِ:

Dian toutina lool; waye dangaar Bangui thi biir

الترجمة الحرفية للمثل:

الحَيَّةُ صغيرةٌ جدًّا؛ ولكنَّ سُمَّهَا موجودةٌ بالدَّاخلِ.

دلالة المثل وتأصيله:

أي: لا ينبغي أن نحقِرَ صَاحبَ الجُرمِ الصَّغيرِ لصغره، أو لنحافته؛ فالأفعى صغيرة الحجم فيما يظهرُ للناسِ؛ غيرَ أن سُمَّها قاتِلٌ، ومُهلكٌ. فالمظاهر لوحدها لا تكفي للكشفِ عن حقيقةِ طويَّةِ الإنسان -دائماً-؛ وهذا ما نانبَّهَ عليهِ الشاعرُ بقولِهِ:

وتحسَب أنك جُرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ

ويشبه المثل قول القحطاني في نونيتِهِ:

لا تأكلِ الطعامَ تسمُّنا فَجُسُومُ أهل العلمِ غيرُ سِمَانِ

فقد يظهَرُ لبعضِ الناسِ أنَّ العالِمَ هو المرتاحُ، والممتلِئُ، ذو الهيئةِ الفلانية التي يرسُمُها في مخيِّلتِهِ، وليس بالضرورةِ أن يكون كذلك دائماً. وقد يظنُّ ظانٌّ أنَّ الوليَّ هو صاحبُ الهيئة المعينة، وقد نفى ذلك النبيُّ -عليه الصلاةُ والسلامُ- قائلا: "ربَّ أشعثٍ أغبر؛ لو أقسمَ على اللهِ؛ لأبرَّهُ"، ومفهومُ مخالفةِ ذلك بادٍ للْعيانِ: فَرُبَّ مُهندمٍ، مرتبٍ فيما يظهر للنّاسِ، محسوبٍ على أهلِ الصلاحِ، لو أقسم على اللهِ؛ لا يُجديهِ نفعاً. وقد يستخدم هذا المثل لأغراضٍ أُخرى؛ تُحوِّلُها إلى السلبية، كما سيأتي بيانُهُ في موضعه.

وما أحوجنا اليوم -أكثر من أي وقتٍ- إلى إدراكِ فقهِ هذا المثلِ؛ للخروجِ من التركيز على المظاهرِ الصرفة، والانخداع بالشكلياتِ المحضة! فكانت النتيجة أننا خرجنا في مؤسساتِنا المختلفة أجيالًا ((مُشَوَّهِي الرُّؤيةِ))، تقدِّسُ الشكلَ الظاهري قبلَ أيِّ شيءٍ

آخر! وهذا وأيمُ اللهِ لكارثةٌ كُبرى؛ والصوابُ أن نفيسَ الناسَ بما يحملونَ من عقيدةٍ صحيحةٍ، وفلسفةٍ رشيدةٍ، وفكرٍ سليمٍ، ومنهجٍ قويمٍ، وهذا ما دل عليه نصوصُ الوحيِ، وأما الشكلُ فلا بد من الاهتمام به؛ ولكنه ينصلِحُ معَ انصلاحِ ((المضمون))، أو ((الجوهر)) تلقائيا؛ لأنه لا ينفك عنه بحالٍ. وما كان السلف يعظمون الإنسان لثوبٍ جميل يرتديهِ؛ إن كانَ ((بهلولًا)) لا يملكُ شيئًا من العلمِ النافع، والعملِ الصالح؛ في حينِ أنهم كانواْ يرفعونَ من قدرِ صاحبِ الثوب الخَلِقِ؛ إذا كانَ إماما في العلمِ والعملِ. هذه هي ((الموازنة الصحيحة)) التي ترفع من شأنِ الأفرادِ، والمجتمعاتِ. على أنَّ انسجامَ الشكلِ المتزن مع المضمون السَّويِّ أمرٌ في غايةِ الرَّوعةِ، والجاذبيَّةِ، والتَّشويقِ لإقناعِ النَّاسِ للدخولِ إلى الإسلامِ أفواجًا، وخاصة في ظلِّ زمانِنا الذي طغت فيهِ المادَّةُ على الرُّوحِ.

٣٨-ما قيل في تدليلِ المرأةِ، وتربيةِ الولدِ:

Sa diabar dankay rewal; yar sa dom

الترجمة الحرفية للمثل:

زوجتُكَ تُدلِّلُها، وتُربِّي ابنَك.

دلالة المثل وتأصيله:

على المرءِ أن يدلل زوجتَهُ؛ بأن تُلبِّي لها طلباتِها الممكنة؛ حتَّى تحقِرَ بذلك جميعَ الرِّجال؛ فتَقصُرَ عينُها على ما لديها، ولا تنبهر بما لدى الآخرين. وعليهِ أن يربِّيَ ولدَه تربية حسنةً؛ بحيث يستطيع التأقلُمَ مع كُلِّ الأجواءِ، ويحبُّه كلُّ الناسِ. ويحذِّرُ مفهوم مخالفة المثل من خلطِ الأوراق؛ فيعامِلُ المرءُ المذكورَيْنِ بنقيضِ ما ذُكرَ. وهذا المثل من أهمِّ الأمثالِ الولوفية؛ لتضمُّنِهِ السعي نحوَ تحقيقِ قيمتَي ((العفة))، و((التربية))؛ لأنه بعفةِ الزوجةِ، وتربيةِ الأولاد صلاح المجتمعِ جميعهِ، كما قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتَها   أعددتَ شَعبًا طيبَ الأعراقِ

والأولادُ -من النَّوْعَيْنِ- هم الأملُ الواعدِ للشعوبِ، وبخرابِهم خرابُها. وقد أوصى الله الاهتمامَ بهما؛ بوقايتِهما النَّارَ:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا**

﴿يُؤْمَرُونَ﴾،[199] وغير ذلك من النصوصِ الواردة في هذا البابِ التي تأمر بحسن تربيتِهم، ورعايتِهم.

وحينَ يرشدُنا المثلُ إلى أنَّ ((الزوجةَ حقُّهَا أن تُدلَّلَ، والولدَ –ذكرًا كان أو أنثى– حقُّه أن يُربَّى))؛ فمُحالٌ أن يكونَ المقصُودُ إهمالَ الزوجةِ، وعدمَ تربيتِها، إذ الزوجةُ أولى بالمعروفِ –شأنُها في ذلك شأنُ الأقربينَ كافَّةً–. ولا أعلمُ مَعْرُوفًا أنفعَ وأجدَى لها من تربيتِها، وإضفاءِ القيمِ النبيلةِ عليها، وصبغتِها بصبغةِ اللَّهِ؛ ما ينعكس على زوجِها، وأولادِها، ومجتمعها بأسرهِ. ولا منافاة بين تربيتها تربيةً سليمةً؛ تصيرُ بذلك مُصلِحةً للمجتمعِ، وتدليلِها؛ تلبيةً لُمتطلباتِها النِّسويَّةِ، وغرائزِها الأُنثويةِ. وهذا ظاهرٌ لا لَبْسَ فيهِ.

٣٩–ما قيل في أن الابنَ يأتي مثلَ الأبِ –غالباً–:

Domoo gaynde boolko diangal fade; nianalko doondoo

الترجمة الحرفية للمثل:

ابن الأسدِ لا تعلِّمْهُ الافتراسَ، وادعُ اللهَ له بالحياةِ/ طول العمر.

دلالة المثل وتأصيله:

لا تُعلِّمْ الافتراسَ لابنِ الأسدِ ((الشِّبْلِ))، وعليك أن تدعو الله له الحياة؛ لأنَّ تعليمه الافتراس تحصيلُ حاصلٍ، فلئن طالت به الحياة؛ ستكون له صفة الافتراسِ –لا محالةَ–. فابنُ العالمِ يُتَوَقَّعُ منه أن يكون عالِماً –إن طال عمرُهُ–، وترسَّمَ خُطَى والِدِهِ، وقل مثل ذلك في ابنِ الوليّ، والشجاعِ، والقاسِي، والرَّؤوفِ، والحكيمِ، والصُّبور. والصحيح في هذا أنَّ كلَّ ذلك متوقَّعٌ –غالباً–، وقد يحصل العكس؛ حينَ تشُذُّ القاعدةُ:[200] فهذا ابنُ نوحٍ الغريقُ، لم ينجِهِ كون أبيه نبيا رسولا:﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ**

---

١ - سورة التحريم، آية رقم: ٦.

[200] وقد علمنا أن لكل قاعدةٍ شواذٌّ/ استثناءات، وهو المثل الفرنسي الشهير:

Chaque regle a des exeptions

فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾، [201] وهكذاالحال في امرأتي نوحٍ ولوطٍ: (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِين**)، [202] وهذا المعنى في نصوص الوحي معلومٌ. وعلى ما تقدم؛ فلو كتبَ اللهُ ولد بعض الصَّالحين مِن الأشقياءِ بعدَ استفراغِ الوُسعِ في هدايتِهم؛ فليس ذلك بعيبٍ؛ ذلك لأنَّ هدايةَ التَّوفيقِ من عندِ اللهِ تعالى، وليس للمخلوقِ إلَّاهدايةُ البيان، والإرشادِ، وحتَّى النبيُّ محمدٌ -عليه الصلاة والسلام- ليسَ استثناءً في الموضوع؛ حيثُ إنَّه لا يهدي مَن أحبَّ؛ ولكنَّ الله يهدي من يشاء! فمن ذا الذي يُرجَى له ذلك بعدَهُ؛ وهو -أكرمُ الخلقِ على الحقِّ-جلَّ جلالُهُ-؟!

٤٠-ما قيلَ في البُخلِ على الورثةِ:

Kou Ignane say doonoo; saw dewin gnaw

الترجمة الحرفية للمثل:

مَنْ بخل على ورثتِهِ؛ كانتْ مِيتَتُهُ سَيِّئَةً.

دلالة المثل وتأصيله:

يُرشِدُ المثل المثلُ إلى عدمِ البُخلِ عن الورثةِ؛ وإلاَّ فإنَّ الميت موعودٌ بالمِيتةِ السيِّئةِ؛ وقد ذكر المثلُ الموتَ من بابِ ضربِ المثال؛ وإلا فالمقصودُ أعمُّ، فشيملُ المعنى: أَنَّ كُلَّ مُصيبة تَلِمُّ بهِ؛ فلن يقف معه الأقاربُ. وهذا يشبه المثل العربي: "الجزاء من جنسِ العملِ" وكما تَدين؛ تُدان"، وهذا مثل قوله تعالى: (**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**).[203] وعليهِ؛ فالواجبُ الاهتمام على الأقارب، والأهل، والتوسعة عليهم، وتقديمهم على جميعِ صُنوفِ البرِّ والمعروفِ، ثم بعدَ ذلك يتوسَّعُ الإنسان على من له به صلةٌ كالجيرانِ، وغيرهم من الذين وصَّى الإسلامُ عليهم بالإحسانِ إليهم توصيةً شديدةً. ورجعُ صدَى ذلك سيكونُ طيبًا، ونافعًا لصاحبِهِ؛ بل سيتعدَّاهُ إلى أولاهِ في حياتِهِ، وبعدَ مَمَاتِهِ.

٢- سورة هود، الأيتان: ٤٢- ٤٣.

[202] سورة التحريم، آية رقم: ١٠.

١ سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ -٨.

٤١-ما قيلَ في أهمية العافية:

Kou sa boob todj; sakham kham diekh

الترجمة الحرفية للمثل:

من انكسر رأسُهُ؛ انتهى علمه.

دلالة المثل وتأصيله:

أي: أنَّ الإنسانَ طالما يُفكِّرُ، ويُبدِعُ، ويتعلَّم، ويُعَلِّمُ، ويُمارس جميع الأنشطة الذهنية أو العقلية؛ فمعنى ذلك أنَّهُ بخير، وعافيةٍ؛ وإلا فمن انكسرَ رأسه؛ بأن شُجَّ بصورة بالغةِ الخُطورةِ بحيثُ تأثَّرَ عقلُهُ أو ذهنُهُ؛ فلا يستطيع الإفادة بعلمِهِ على الإطلاق. فالعافيةُ رأسُ المال الحقيقي، وهي النعمة التي عن طريقِها يُتَذوَّقُ سائرُ النعم. وانظر كيفَ لخصَ النبي – عليهِ الصلاةُ والسلام- ذلك في كلماتٍ بليغةٍ، ومعدودة: فقد روى الترمذِيُّ، وابنُ ماجه والبخاريُّ في الأدب المفردِ قولَهُ -عليه الصلاة والسلام-: ((من أصبح آمناً في سربه، معافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))،[٢٠٤] وفي لفظةٍ أُخرى: ((عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ)) بدلًا من ((قُوتِ يومه))، فكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))، [٢٠٥] ((بِحَذَافِيرِهَا))،[٢٠٦] وقد ساقَ البُخاريُّ بسندهِ في صحيحِه قال: حَدَّثَنَا المَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ هُوَ ابْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ)). [٢٠٧] قال الحافظُ ابن حجرٍ -رحمه اللَّهُ- في الفتح: (وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى- (**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**)[٢٠٨] فَالْكَثِيرُ فِي الْحَدِيثِ فِي مُقَابَلَةِ الْقَلِيلِ فِي الْآيَة. وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ اخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ فَقِيلَ الْإِيمَانُ وَقِيلَ الْحَيَاةُ وَقِيلَ الصِّحَّةُ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى فَإِنَّهُ

---

[٢٠٤] السِّرْبُ: الْجَمَاعَةُ، وَالْمَعْنَى: فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ. تحفة الأحوذي - (ج ٦ / ص ١٣١). وحِيزَتْ: جُمِعَتْ.

[٢٠٥] (خد) ٣٠٠، (ت) ٢٣٤٦، (جة) ٤١٤١، انظر صحيح الأدب المفرد: ٢٣٠.

[٢٠٦] (الآحاد والمثاني) ح ٢١٢٦، انظر صحيح الجامع: ٦٠٤٢، الصَّحِيحَة: ٢٣١٨.

[٢٠٧] البخاري، صيح البخاري، حديث رقم: ٦٤١٢.

[٢٠٨] سورة سبأ، آية رقم: ١٣.

نِعْمَةٌ مُطْلَقَةٌ وَأَمَّا الْحَيَاةُ وَالصِّحَّةُ فَإِنَّهُمَا نِعْمَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَلَا تَكُونُ نِعْمَةً حَقِيقَةً إِلَّا إِذَا صَاحَبَتِ الْإِيمَانَ وَحِينَئِذٍ يُغْبَنُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَيْ يَذْهَبُ رِبْحُهُمْ أَوْ يَنْقُصُ فَمَنِ اسْتَرْسَلَ مَعَ نَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ الْخَالِدَةِ إِلَى الرَّاحَةِ فَتَرَكَ الْمُحَافَظَةَ عَلَى الْحُدُودِ وَالْمُوَاظَبَةَ عَلَى الطَّاعَةِ فَقَدْ غُبِنَ وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ فَارِغًا فَإِنَّ الْمَشْغُولَ قَدْ يَكُونُ لَهُ مَعْذِرَةٌ بِخِلَافِ الْفَارِغِ فَإِنَّهُ يَرْتَفِعُ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ وَتَقُومُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ). [٢٠٩] ويدلنا المثل الولوفي المذكور على أهميةِ النِّعمِ الإلهيَّةِ المتكاثرة والتي يُنعِمُها على الخلقِ، والتي على رأسِها الصِّحَّةُ والتي يَتَحتَّمُ علينا أن نستثمرَها بالطريقةِ المُثلى قبلَ أن يأتيَنا مرضًا مُقعِدًا بغتَةً ونحنُ بشبابنا مغرورونَ. وقس على ذلك بقية النِّعَمِ التي هي ودائعُ وأمانات سوف نسأل عنها يومَ القيامةِ.

٤٢-ما قيل في القلبِ السليم:

Pithi bou lak thi tat; morom lay beug.

الترجمة الحرفية للمثل:

الطائر الذي احترقَ صُلبُهُ؛ يُريد طائراً مثلهُ.

دلالة المثل وتأصيله:

يُضْرَبُ هذا المثل لمن ينوي أو يريد أن يصيبَ الآخرين مثلَما أصابَهُ؛ ولا يخفى أنَّ الإنسان ينبغي أن ينويَ للناسِ الخيرَ، حتَّى لو أصابتْه مصيبة، ولا يقدرُ على ذلك إلاَّ صاحبُ القلبِ السليمِ، البعيد من الآفاتِ، وقد قال ربنا: (**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**). [٢١٠] فسلامةُ القلب تجاه الخلقِ من أفضلِ أنواعِ القُرُباتِ، وهو من أسرعِ طرائقِ دُخولِ الجنَّاتِ؛ بعدَ رحمةِ ربِّ الأضينِ والسَّماواتِ. ومن المشتهرِ بين النَّاسِ شأنُ ذلك الصحابي الذي ذكر النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- لصحابتِهِ أنه من أهلِ الجنَّةِ؛ فلَّمَّا راقبَهُ أحدُ الصحابةِ -دونَ علمِهِ-؛ لم يجد فيهِ كثيرَ صلاةٍ، ولا كثيرَ زكاةٍ، أو عبادةٍ من العباداتِ الظاهرةِ ... وأخيراً علمَ السببَ بأنَّهُ لا يبيتُ ليلةً إلَّا وقلبُهُ سليمٌ، وصافٍ لا يحملُ غلًّا، ولا حقدًا لزيدٍ من النَّاسِ! وفي ذلك فليتنافس أهلُ الزَّمانِ.

---

[٢٠٩] العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، كتاب الرقاق والفراغ، ولا عيش إلا عيش الآخرة، ج/ ١١، ص: ٢٣١.

٣ سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ -٨٩.

٤٣-ما قيل في الحظِّ:

Sense mogeune licence

الترجمة الحرفية للمثل:

الحظُّ خيرٌ وأفضلُ مِن اللِّيسانس.

دلالة المثل وتأصيله:

هذا المثل -عندِي- متردد ما بين الإيجابيةِ والسلبية، أو سلاحٌ ذو حدَّين؛ بحسبِ المُرادِ منهُ: فالجانب الإيجابي هو: أن الإنسان مهما أخذ بالأسباب؛ فإنه لا يأتيه إلَّا ما قُدِّرَ له؛ وعلى هذا فإنَّ الحظَّ أفضلُ من الليسانس/ البكلاريوس/ أو الشهاداتِ. وبعبارة أخرى: الحظ أفضل من الشهادة، ولا عاقلَ يُنكرُ أهميَّةَ الحظوظِ، وأنها قد تفوقُ على ما يُجيده المرءُ من الصنعةِ، ويحملُهُ من صُنُوفِ الشهاداتِ؛ ولكن الحياةَ لا تُبْنَى عليها أبدًا؛ لأنه لا أحد يدري كُنْهَهَا، وسرَّها، وتوقيتَها، وطبيعتَها؛ وعليهِ، فلا ينبغِي أن يكونَ مانِعًا للأخذ بالأسباب، وعليكَ أنْ تَثِقَ تماماً أنه لا يأتيك أنَّ ما سطَّرَهُ اللهُ لك من الحُظوظِ ستأتيكَ لا محالةَ، لا تُفكِّرْ فيها، ودعْ أمرَها للحكيمِ الخبيرِ.

وأمَّا تعطيلُ المرءِ للأسبابِ، وانتظارُهُ أن تُمطرَ السَّماءُ ذهبًا، أو فِضَّةً، أو أن ينتظرَ المرءُ عثورَ مالٍ وفيرٍ في رُكنٍ مَّا يغنَى بِهِ، أو أن يحصُلَ على فرصة غاليةٍ، ونادرةٍ من دون تحريكِهِ لساكنٍ ... وغير ذلك من أنواعِ الحظوظِ ، فتلكَ صُوَرٌ متعددة تجسِّدُ الجانب السلبي للمثلِ، وسيأتي في موضعه من الأمثالِ السلبيةِ.

٤٤-ما قيلَ في أساسِ الاختيارِ الصحيحِ في الزواج:

Tar doo sey

الترجمة الحرفية للمثل:

ليس الجمال هو أساسُ الزَّواج.

دلالة المثل وتأصيله:

ليس الزواج بمجرَّدِ الجمال؛ لأنه -على أهمِّيتِهِ- لا استقرارَ لهُ، حيث نجده يذهبُ بالتَّعب، والمرضِ، والشيخوخةِ، وغير ذلك؛ وإنَّما "نكَحُ المرأةُ لأربعٍ، وذلك إخبارٌ لحالِ المتزوِّجينَ؛ ولكنه -عليه الصلاةُ والسلام- قد وصَّى بضرورةِ الظفرِ بذاتِ الدِّينِ؛ لأنَّ

ذلك هو الأهم، ولا فائدة من امرأةٍ غير ديِّنةٍ مهما كان جمالُها، أو مالُها، أو حسبُها، بل إنَّ جميعَ ذلك سينقلبُ نقمةً عليها، وعلى الزوجِ، وذلك معلومٌ بالتجربةِ.

وليست الشريعةُ ضد الجمال، فإذا وجد الجمال وباقي الخصال؛ فهذا هو المطلوب، وما أحسنَ اجتماع كل ذلك على امرأةٍ واحدةٍ، وخاصةً في هذا الزَّمانِ! وأما إذا تعارضت؛ فنقدِّم الأبقى، والأجدَى، وهو الخُلُقُ، والدِّين. ويُروَى عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((ولامرأة سوداء، خرقاء ذاتُ دينٍ أفضل)) أو كما قال. وذكر المرأة الحسناء ذات المنبت الخبيث. ومع الأسفِ فقد جمعت بعض الفتياتِ بينَ ((الحشفِ))، و((سوءِ الكيلةِ))! فلا دينَ وخلقًا طيبًا، ولا جمال، أو حسب، أو مال فإنا لله وإنا إليهِ راجعونَ! وما قيلَ فيهنَّ يُقالُ فيهم:

ولو كانتِ النساءُ كمن ذكرنا   لفُضِّلتِ النِّساء على الرِّجالِ

وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ   ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

٤٥- ما قيل في الجزءِ الصغيرِ للشيءِ، وأنه ذلكَ لا يجعله أهونَ الأجزاءِ لمجرَّدِ صِّغرِ الحجم:

Mbam gatna; waye thi dioorbi la bok

الترجمة الحرفية للمثل:

الحمارُ قصيرٌ؛ لكنه من الأنعامِ.

دلالة المثل وتأصيله:

يُضرَبُ هذا المثل؛ لبيانِ أن فلاناً –مثلاً– هو أصغرُ أفرادِ أسرةٍ ما؛ ولكنه مع ذلك لا يتأتَّى إخراجه من تلك الأسرةِ، أو نحو ذلك. بمعنى: إذا كتب الله أن يكون "أحمد" منتمياً إلى أسرةٍ معينة؛ فإنه –حتى لو كان أصغرهم–؛ لا يمكن التفكير في إخراجه منها؛ لأن تلك الوشائج فوق الجميع. وكذلك الحمار –وإن كان من أقصرِ الأنعام قامةً–؛ فلا يمكن إخراجُهُ منها بحالٍ من الأحوالِ. ولو هلك هالكٌ وترك من يرثه؛ فإنه لا يمكن حرمان أحدِهم بدعوَى أنَّهُ صغيرٌ. ومن يحتقر نفسه لصغر سنه مع فائدته للناس يصدق فيه هذا المثل؛ بل يصدق عليه قولُ الشاعر:

وتحسَبُ أنَّكَ جُرمٌ صغيرٌ   وفيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ

وجميعُ من وضعَواْ بصماتِم وأثَّرواْ في مُجتمعاتِهم لم يكن ذلكَ بسببِ بسطةٍ في الجسمِ؛ بل كان مردُّ ذلكَ إلى همٍّ صادقٍ في دواخلِهم، بل كان كثير منهم نحيلَ الجسمِ، رَثَّ الثيابِ؛ غير أنه سعى لها مُوقنًا تحققَها في أرضِ الواقعِ يومًا مًّا طالَ أو قرُبَ، وهذه سر عظمتهم. ومظاهرهم ضعيفة فيما يُخيل للناظرين السطحيين؛ ولكنَّهم في الحقيقةِ أشدَّاءُ، تغلي بواطنُهم كأزيزِ المرجلِ؛ بل أشد؛ لتواصلِ تفكيرِهم، وعملِهم لمصلحةِ شعبِهم، وأمتِهم لا يفترون!

وهكذا، فالأمثلة تطول؛ ولكن يمكن القول –بصفة عامة– بأن جزءَ الشيءِ الصغيرِ، لا يجعلُه صغيراً، تافهاً بالضرورة، لُمجرَّدِ الصِّغَرِ؛ بل هُوَ جُزْءٌ لا يتجزَّأ منهُ، ولا يقبلُ الفصلَ؛ بل قد يكون بفاعليته، وشدة تأثيرِهِ أهم الأجزاءِ كافة؛ وتلك سنة التي لا تتحول: ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾.[٢١١]

٤٦–ما قيلَ في الاغترابِ ونحوِهِ:

Pithie moongui thi kaw; waye khelmangui thi soof

الترجمة الحرفية للمثل:

الطائرُ موجودٌ فوق، وعقله تحت.

دلالة المثل وتأصيله:

أي: إن الطائرَ –وإن كان في العُلُوِّ–؛ فإنَّ عقلَهُ في سُفولٍ؛ وذلك لتعلُّقِ مُعظَمِ حاجاتِهِ بهِ، وكذلك المغتربُ فهو وإن كان موجوداً بجسمِهِ في بلادِ الغربةِ يحاول قضاءَ أوطارِهِ الضرورية، أو الكمالية؛ إلا أنَّ عقلَهُ دائمُ السَّرَحانِ، والشرود، والغيابِ، ودائماً يتمنى العودة لبلادِهِ الحبيبةِ، ويحلمُ بالليلِ والنهارِ، ويخاطِبُ سِربَ القطا يقول له:

أَسِرْبَ القطا هل من مُعيرٍ جناحَه   لعلِّي إلى مَن قد هويتُ أطيرُ

وطبيعيٌّ أن يَحِنَّ الإنسانُ دائماً إلى موطنِهِ الأصلي، وما الوطن إلا للموطن الأول. وما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأوَّلِ. وقد يشُذُّ عن هذا البعضُ، ولكن الحكمَ للغالبِ، والنادرُ لا حكمَ لهُ. وقد أُخرِجَ أهلُ مكةَ النبي –صلى الله عليهِ وسلم– من وطنه مع فَرَطِ حبِّهِ

---

[٢١١] سورة الأحزاب، أية رقم: ٦٢.

لهُ، ولو لا أنَّ قومَه أخرجوهُ؛ لما خرجَ منه كما هو معلومٌ في السِّيرةِ، والحديثِ، وعلوم الشريعةِ.

بقيَ أن أقولَ: إنَّ فوائدَ الاغتراب أكثر من أن تُحصرَ، مثل طلبِ علمٍ نافعٍ عزيزٍ في البلد، أو طلبِ المعايشِ، أو الدعوةِ إلى اللهِ، ونحو ذلك من ضروراتِ الحياةِ الدنيا والآخرة، وقد اشتُهرَ بين الناس وصيَّةُ الإمامِ الشافعيِّ –رحمه الله– بالتِّسفارِ، فكان مِمَّا قالَهُ:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه	وانصب فإن لذيذَ العيشِ في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده	إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
والشمس لو بقيت في الأفق واقفة	لملها الناس من عجمٍ ومن عرب

ومع فوائد السفرِ المذكوة –وغيرها–؛ إلَّا أنَّ هنالك سلبيَّاتٌ، وصعوبات تتعلقُ به مثل البعد عن الأهلِ، والأولاد، وقد يترتب على ذلك تضييعٌ لحقوقِهم، وحقوق المرأةِ، وقد يستغرقُ بعضُ المغتربين خارج وطنه سنوات طويلة دُونما إنجازٍ يُذكَرَ لا في دينٍ ولا في دُنيًا، فلا تكون حالته بأفضل مما لو بقيَ داخلَ حدودِ الوطنِ، وقد يُنجزُ كثيرًا؛ ولكن مهما ظَفِرَ من طموحاتِهِ فقد أخذَ الغربةُ منه أمورًا كثيرةً ... وقُصارى القولِ في هذا البابِ: إنَّ السفرَ من الأمورِ الجميلةِ التي تحبُّها النُّفوسُ –غالبًا–، ويقصدونَ من خلالِهِ إيجادُ فُرَصِ عملٍ أو علمٍ أرحبَ، واكتشافٍ لأسرارِ الكونِ بصورةٍ أفضل، وشؤون أخرَى كثيرة؛ كلُّ ذلك من أجلِ الظَّفرِ بحياةٍ مِلْؤُها السَّعادةُ، والنفوسُ مفطورةٌ على حُبِّ ذلك، والمهم هنا هو ضرورةُ التخطيط الاستراتيجي له؛ حتَّى لا يتحول السفر لُمجرد هواية من دونِ أهدافٍ عُليَا يسعَى المرء تحقيقَها؛ فيكون بذلك قد ضيَّعَ العمرَ فيما هو أدنَى؛ ولكنه مع التخطيطِ السليمَ؛ فإن المرءَ سيستفيدُ من كتابِ الكونِ المفتوحِ والمليءِ بالخبراتِ المتباينة، والتجارب؛ فيستقي من كلِّ ذلك العبرَ والعظاتِ التي لا يُوفَّقُ لها كلُّ أحدٍ، وينشرُ ذلك الخيرَ أينما حلَّ، وأينما ارتَحلَ.

٤٧–ما قيلَ في إشهارِ العملِ/ أو في من مات في السوقِ/ أو فيمن نعى نفسَهُ:

Koo de thi marche; ya tague sabob.

الترجمة الحرفية للمثل: من مات في السوق؛ فقد نعى نفسَه بنفسِه.

دلالة المثل وتأصيله: أي إنَّ الذي يموت بالسوقِ –محلِّ زَحمةِ الناسِ واجتماعِهِم–؛ فلا يحتاج إلى من ينعاهُ؛ إذ قد نعى نفسَه بنفسِهِ. وكذا من أشهرَ عملَه للناسِ؛ فقد جعلَهُ مثارَ جدلٍ، وهذا جليٌّ. فالواجبُ توخِّي الحذرِ؛ حتى لا يجعله الناس أُحدوثة غير طيبة في مجالسهم العامة، والخاصة. وإذا كانَ النبيُّ –صلى الله عليهِ وسلم– وهو أكرمُ الخلقِ على اللهِ يُنادِي الصَّحابيَّيْنِ ويُخبرُهُما بأنَّ التي معها زوجتُهُ؛ فغيرهُ من بابٍ أحرى. وقد منع النبي –صلى الله عليهِ وسلم– بعضَ الأشياءِ سدًّا للذريعةِ في هذا البابِ كالجُلوسِ على الطُّرقاتِ، وعندما أصرَّ الصحابةُ واستصعبواْ ذلك؛ أرشدهم إلى آداب الطريق والتي لا بد من التزامِها. والسلامةُ لا يعدِلُها شيءٌ.

٤٨-ما قيلَ في الطريقة المثلى لعلاجِ المشكلاتِ: Booye taw; kenne doo fobere.

الترجمة الحرفية للمثل:في حالةِ المطرِ؛ لا أحدَ يمسَحُ/ ينظِّفُ "فناءَ دارِهِ".

دلالة المثل وتأصيله:في حالةِ المطرِ؛ لا أحدَ يمسحُ/ ينظِّف أفنيةَ الدورِ، أو المدارسِ أو غيرها؛ لأنّها لا تَتَنظَّفُ، ولا يُجدي نفعاً؛ إلاّ أن يكسبَ فاعلَه لنفسِهِ إرهاقاً، ومرضاً، ويزيدُ الطين بلة. وهكذا، فإن المشكلة عندما تقعُ بين شخصين؛ فلا تَحرِصْ على معالجتِها ساعةَ احتدامِها؛ بل الحكمة تقتضي الانتظارُ حتَّى يسكُتَ الغضبُ عنهما، فتقوم بالإصلاحِ؛ لأنَّ الغضبَ مُذْهِبٌ بلُبِّ الإنسان، وذلك أدعى أن يَقْبَلاَ توجيهَكَ وإرشادَكَ، وهذا مشاهَدٌ، ومُجرَّبٌ، وهذا عينُ الحكمةِ: ﴿**يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾[212]، ومن أوضحِ معاني الحكمة: وضعُ كل شيء في موضعه اللائق به. ويدخل في معنى المثلِ الولوفي –كذلك– وضعُ اللين في موضعه، والشدَّة في موضعها حالَ الدعوةِ إلى اللهِ تعالى –مثلاً، لا حصراً–؛ وذلك أدعى لأن يستجيبَ المدعُوِّينَ، وقد أمرَ اللهُ كليمَه موسى مع وزيرِهِ هارون أن يذهبا إلى رأسِ الطغاةِ فرعون وأنْ يقولا له قولًا لينا؛ لعلَّهُ يتذكرُ بذلك أو يخشَى. فاللِّين له مفعولٌ ساحرٌ في النفوسِ؛ خلافًا للفظاظةِ.

---

١ سورة البقرة، آية رقم: ٢٦٩.

٤٩-ما قيلَ في العملِ الذي لا يكتملُ:

Louy naw say doonkhoo di roosse; fangua dieum soriool

الترجمة الحرفية للمثل:

ما يطيرُ وريشُهُ يسقط؛ فلأنَّه لا يطير إلى حدٍّ بعيدٍ.

دلالة المثل وتأصيله: يُضرَبُ هذا المثل فيمن يبدأُ عملاً، لا يشهد اكتمالاً، أوْ لا يرى النُّورُ؛ تماماً كالطير الذي يطير وريشه ساقطٌ؛ فلن يكونَ بمقدورهِ مواصلةُ الطيرانِ –والحالةُ هذه–، وعلى ذلك فقس الآتي ذكرُه:

- الطائرة تنتهي وقودها، أو السيارة، فلا اكتمالَ لمسيرتِهما البتَّةَ.

- الطالب الذي يبدأ الدراسة، وتكون درجاته متدنية على الدوامِ؛ فلن يكملَ دراستَه –غالباً، ولو أنه أكملَ؛ فالفائدة لن تكون كبيرةً؛ وقد تقدم أن ((الجزاء من جنس العمل))، وكما أن الإنسان ليس له إلا ما سعى.

- والتاجر دائمُ الخسرانِ، والإفلاسِ.

كلُّ أولئك، لا نتيجة مرجوَّة فيهم –غالباً–، وقد تشُذُّ القاعدةُ، والحكم للغالبِ كما أسلفنا. وعلى العموم، فكلُّ ما ينخفض –دائماً– من البداية؛ فالمآل أنَّ نتيجتَهُ ستكونُ ضعيفةً، أو سيكونُ بدون نتيجة، أو أنه إلى نهاية، أو انهيارٍ. وهذا منطقي: فإن كانتِ الأشياء المكتملة، والمشاريع الضخمة مصيرُها إلى انتهاء؛ فعكسها أولى من ذلك ((وحقٌّ على اللهِ ألا يرتفع شيءٌ من الأرضِ؛ إلَّا وضعه)). [٢١٣]

٥٠-ما قيل في أن كلاً ميسَّر لما خلق لهُ: Signel meunool djeguenay

الترجمة الحرفية للمثل: القنفذ لا يصلُح مخدَّةً (لأنه كلُّه أشواك في أشواكٍ).

دلالة المثل وتأصيله: أي: أن كلَّ شيء مخلوقٌ لِطبيعةٍ مُعينَةٍ، وقد أمر النبي عليهِ السلام الخلقَ بأن يعملواْ؛ فكل ميسَّر لما خلق لهُ. ويروى هذا المثل –أيضاً– بلفظِ:

Signel meunool fassoo koorse أي القنفذ لا يصلحُ مطيَّةً للسباق؛ (لِبُطئِهِ).

وبنفسِ المنطقِ، يمكن القولُ بأن للرَّجلِ طبيعةٌ، وللمرأةِ طبيعةٌ أخرى مغايرةً، وقد قال

---

[٢١٣] البخاري.

الله: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾،[٢١٤] والنُّصوص في هذا الباب كثيرة، ومعلومة. ومن عرف قدرَ نفسِهِ؛ فهو الموفَّقُ.

٥١-ما قيل فيمن لدغته حيَّةٌ:

Koo dian matte; samkhel dem si dee

الترجمة الحرفية للمثل:

من لدغه حيَّة؛ فكَّرَ في الموتِ.

دلالة المثل وتأصيله:

لا مناص مِمَّن لدغتْهُ الحية من أن تراودَهُ المنيَّةُ؛ نظرا لِهول مُصابه: فأمَّا مَن جاءَ أجلُه؛ فيموت حتماً، ومَن لا؛ فيعيش لحينِ انتِهاءِ أجلِهِ المحتومِ. أي مهما يكن من أمرٍ فلا بدَّ من أن يظُنَّ أنَّهُ هالكٌ، وكذا فيمن أصيبَ في ولده، أو أحد أقاربه، أو غيرهم؛ فلا بد أن يخطر في قلبه مثل هذه الخواطر، و﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾،[٢١٥] وقد قال الله -أيضا-: ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾.[٢١٦]

٥٢-ما قيل في إعطاء الثقة لمن يظن منه ذلك:

Koola diokh ndeki, booladigue agne; ngawarka gueum

الترجمة الحرفية للمثل:

من أعطاك الفطور، إذا وعدك بالغداء؛ وجب عليكَ أن تثق فيه.

دلالة المثل وتأصيله:

من أحسنَ إليك مرة؛ إذا وعدك بالإحسانِ مرةً أخرى؛ فعليك أن تصدِّقَهُ، وتثقَ في كلامِهِ، تماماً كمن أعطاك الفطور، إذا وعدك بالغداء؛ فعليك أن تثقَ فيهِ. وعليهِ؛ فمن أكرمك وساعدك، إذا وعدَكَ بإكمال ذلك؛ فصدِّقْهُ؛ وذلك لأنَ القرائنَ القوية كلها تدلُّ على صحةِ قولِهِ. وعلى المرءِ أن يتذكَّرَ أنَّ الأصل في النَّاسِ هو الخيرُ والعدالة، ونصوص

---

٢ سورة النساء، آية رقم ٣٢.

١ سورة الطلاق، آية رقم: ٣.

[٢] سورة الأعراف، آية رقم: ٣٤.

الشرعِ تأمر باصطحابِ ذلك الأصلِ؛ حتَّى تأتيَ قرينةٌ صارفةٌ من الخيريَّة إلى العكسِ. وهذا لا يعنِي أن عكسَ المثل غيرُ واقعٍ؛ بل هو واقعٌ وخاصَّةً في هذا الزَّمانِ الذي كثُرَتْ فيهِ الوُعود، وقلَّ فيهِ الوفاءُ بها، ولبس كثيرٌ من الطَّالحينَ لباسَ الصَّالحين، وتعمَّمُواْ بعمامةِ المُتَّقينَ؛ ولكنَّهم في الحقيقةِ في الأرضِ منَ المُفسدين؛ ولكنَّ ذلك لا يُفسِدُ صِدْقَ الصادقينَ، ووفاءَ المُخلصين، وعزيمةَ الجادِّينَ؛ فلا تكُنْ من الغافلين، وانتبهْ –أيها القارئ الكريم– ولا تكُن من أهلِ التعميم؛ إذ ذلك مُفسِدٌ للمَنطِقِ السليمِ. والخيرُ باقٍ في هذه الأمة؛ حتَّى تقومَ السَّاعةُ.

٥٣–ما قيلَ في الخروجِ ليلاً بعدَ العشاءِ وما يمكن أن يتعرَّضَ له صاحبُهُ:

Rere teude; moye waloo kirere dokhi

الترجمة الحرفية للمثل: النوم بعد العَشاءِ، هو الذي يُغيثُ الذي يتَعشّى ويسري.

دلالة المثل وتأصيله: سلامةُ الإنسان الذي يَحُومُ ويَسري باللَّيالي من المخاطرِ؛ أن ينامَ بعدَ العَشاءِ؛ لأنَّه لا يزالُ بخيرٍ–والحالةُ هذهِ–! أمَّا من دأبُهُ أن يجوبَ الشَّوارعَ ليلا؛ فهو عُرْضةٌ لصنوفٍ من المخاطرِ لا تُحصَى، كافتراسِ الذِّئابِ والكلابِ لهُ، وجناية الذئاب البشرية عليه، وضربِهِ، وتَعْويقِهِ، وأخذِ مالِه، وربَّما ما هو أشدُّ من ذلك!

والكثيرُ ممَّن تعرَّضَ لما ذُكرَ؛ إنَّما حصلَ له ذلك ليلاً؛ فالسلامةُ هو الرجوع إلى المأوَى مبكِّراً، وعدم الخروج ليلاً إلاَّ لضرورةٍ قُصوَى، ولا ينبغي الاتِّكالُ على الشَّجاعةِ، وقُوَّةِ العضلاتِ؛ لأنَّ الجُناةَ يكونون –غالباً– في شكلِ عصاباتٍ لا يقدِرُ عليهم الواحدُ –لَوْ واجهُوهُ–؛ لما يحملون من الأسلحةِ بالغةِ الخطورةِ، كيفَ وهم يأتونهُ غِرَّةً وهو في غفلةٍ من أمرِهِ، ولا ينتبِهُ إلاَّ والعِصِيُّ قد علتْ رأسَهُ، أو جسمَهُ، وأعاقُوهُ، قد سالَ منهُ الدِّماءُ، وخُدِشَ منك الوجهُ، والجسمُ بعدَ نعومتِهما، وحينَما يبلُغُ الخبرُ إلى الرَّحيمينِ (والِديهِ)،[٢١٧] وزوجِهِ، وابنِهِ، أو أقاربِهِ، ومُحِبِّيهِ؛ حزنواْ لهُ حزناً عميقاً، وحزَّ ذلك في نُفوسِهم، وقد يكونونَ في حالةٍ أشدَّ مِن حالتِهِ، ثمَّ تتعطَّل أوقاتُ عملِه، ودراستِهِ، وبحوثِهِ لفترةٍ لا يُستَهانُ بها، كما تتعطَّلُ أوقاتُ مَن يحتاجون إلى مساعدتهِ لهم، ويتأخرُون بسبب تعريضِهِ نفسَهُ للخطرِ. وقد ظهرَ الآن جليًّا لماذا منعَ الرسول –عليه السلام– الحديثَ بعدَ

[٢١٧] وإذا رحمت فأنت أبٌ أو أم   هذان في الدنيا هما الرُّحماء

العشاء، إلاَّ لضرورةٍ، ولَمْ منعَ -عليهِ السلام- أن نتمنَّى لقاءَ العدوِّ، فالخيرُ كلُّه في الاتِّباعِ. ومهما كان المرء شجاعاً؛ فقد كرهتِ السُّنَّةُ تمنِّي لقاءَ العدوِّ، وقد قال رب العالمين: ﴿**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾.[٢١٨]

٥٤-ما قيلَ في البدءِ بالنفسِ، ثمَّ بالأقربين: Balangua lakh diay; lakh lek

الترجمة الحرفية للمثل: قبلَ أن تصنعَ عصيدةً للبيعِ؛ فاصنَعْ عصيدةً للأكلِ.

دلالة المثل وتأصيله: يُضرَبُ هذا المثلُ لمن لا يبدأ بنفسِهِ أولاً وينشغل بشؤون الآخرينَ، أو يُضرَبُ لمن لا يعرفُ ترتيبَ الأولياتِ؛ فيُقالُ لهُ: ابدأ بالأهمِّ، ثمَّ المهمِّ، ثمَّ الأقل أهمِّيَّة، وهكذا فمن عنده مبلغ من الفلوسِ قليلٌ صرفَهُ فِي الضروريَّاتِ، لا إلى التَّحسينياتِ، والكماليَّاتِ. وكذلك مَنْ كانَ مُصلِحاً اجتماعيا، أو داعيةً إلى اللهِ تعالى بدأَ بنفسِهِ؛ فيُصلِحها، ثمَّ يُثَنِّي بالأقربينَ، ثم يتوسع قليلاً قليلاً؛ حتَّى يصلَ إلى ما شاء الله له أن يصلَ. ودليل ذلك﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾،[٢١٩] وقوله تعالى:﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾،[٢٢٠] وقوله تعالى:﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾،[٢٢١] والنصوص في هذا السياقِ كثيرةٌ.

٥٥-ما قيل في أن فوق كلِّ ذي اجتهادٍ من هو أشدّ منه:

Koo bagne diantibi timla; bool yewoo

الترجمة الحرفية للمثل: من كره أن تُطلَّ عليهِ الشَّمسُ؛ فَعليهِ ألاَّ يَستَيقظَ.

دلالة المثل وتأصيله: مَن رَغِبَ عن أن يفوقَه أحدٌ؛ فعليهِ أن يظلَّ في عالمِ العدمِ، وكذا من كرهَ أن يكونَ له رئيسٌ؛ فعليهِ ألاَّ يولَدَ، وَقُل مثلَ ذلك فيمَنْ من كَرِهَ أنْ يَفُوقَهُ أحدٌ في العلمِ، أو الشَّهاداتِ، أو الجاهِ، أو السِّنِّ، أو المرتبة الاجتماعيَّةِ، أو الوظيفةِ، أو المال ... والقائمةُ تطولُ. والله تعالى قد فَاضَلَ بين البشرِ: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ**

---

[٢١٨] سورة الأنفال، آية رقم: ٦١.

١ سورة الشعراء، آية رقم: ٢١٤.

٢- سورة البقرة، آية رقم: ٤٤.

٣ - سورة البقرة، آية رقم: ٢١٥

قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [222] وقد فاضلَ اللهُ بينَ الأنبياءِ، فكيفَ بمن سواهم؟! :﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [223] وهذه آية مُشكلةٌ، انبرَى لها العلاَّمةُ ابن كثيرٍ –رحمه اللهُ–، وبيَّنَ ما يُشبِهُ التعارضَ فيها؛ ونثبتُ كلَّ ذلك هنا؛ لعلاقته الوطيدةِ بالجانب التأصيلِيِّ للمثلِ الولوفي، فلنَدَعِ المجالَ لابنِ كثيرٍ نفسِهِ؛ لِيَفُضَّ لنا المشكلَ:

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ قال: "تلك" ولم يقل: ذلك مراعاة لتأنيث لفظ الجماعة، وهي رفع بالابتداء. و"الرسل" نعته ، وخبر الابتداء الجملة. وقيل: الرسل عطف بيان، و {فَضَّلْنَا} الخبر. **وهذه آية مشكلةٌ** والأحاديث ثابتة بأن النبي–عليه الصلاة والسلام– قال: "لا تخيروا بين الأنبياء" و"لا تفضلوا بين أنبياء الله" رواها الأئمة الثقات، أي لا تقولوا: فلان خير من فلان، ولا فلان أفضل من فلان. يقال: خير فلان بين فلان وفلان، وفضل، مشدداً" إذا قال ذلك. وقد اختلف العلماء في تأويله هذا المعنى؛ فقال قوم: إن هذا كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل، وقبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، وإن القرآن ناسخ للمنع من التفضيل. وقال ابن قتيبة: إنما أراد بقوله: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة؛ لأنه الشافع يومئذ وله لواء الحمد والحوض، وأراد بقوله: "لا تخيروني على موسى" على طريق التواضع؛ كما قال أبو بكر: وليتكم ولست بخيركم. وكذلك معنى قوله: "لا يقل أحد أنا خير من يونس بن متى" على معنى التواضع. وفي قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[224] ما يدل على أن رسول الله أفضل منه؛ لأن الله تعالى يقول: ولا تكن مثله؛ فدل على أن قوله: "لا تفضلوني عليه" من طريق التواضع. ويجوز أن يريد لا تفضلوني

---

٤ - سورة الزخرف، آية رقم: ٣٢.

٥ - سورة البقرة، آية رقم: ٢٥٣.

١ سورة القلم، آية رقم: ٤٨.

عليه في العمل؛ فلعله أفضل عملاً مني، ولا في البلوى والامتحان؛ فإنه أعظم محنة مني. [٢٢٥] وليس ما أعطاه الله لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- من السُّؤْدُدِ والفضلِ يوم القيامة على جميع الأنبياء والرسل بعمله بل بتفضيل الله إياه واختصاصه له، وهذا التأويل اختاره المهلب. ومنهم من قال: إنما نهى عن الخوض في ذلك؛ لأن الخوض في ذلك ذريعة إلى الجدال وذلك يؤدي إلى أن يذكر منهم ما لا ينبغي أن يذكر ويقل احترامهم عند المماراة. قال شيخنا: فلا يقال: النبي أفضل من الأنبياء كلهم ولا من فلان ولا خير، كما هو ظاهر النهي لما يتوهم من النقص في المفضول؛ لأن النهي اقتضى منه إطلاق اللفظ لا منع اعتقاد ذلك المعنى؛ فإن الله تعالى أخبر بأن الرسل متفاضلون، فلا تقول: نبينا خير من الأنبياء، ولا من فلانٍ النبيِّ؛ اجتنابا لما نُهِيَ عنه، وتأدبا به وعملا باعتقاد ما تضمنه القرآن من التفضيل، والله بحقائق الأمور عليم. قلتُ: وأحسنُ من هذا قول من قال: إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات، وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل، وإنما تتفاضل بأمور أخر زائدة عليها؛ ولذلك منهم رسل وأولو عزم، ومنهم من اتخذ خليلا، ومنهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً**﴾[٢٢٦] وقال:﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾؛[٢٢٧] قلت: وهذا قول حسن، فإنه جمع بين الآي والأحاديث من غير نسخ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل وأعطي من الوسائل، وقد أشار ابن عباس إلى هذا فقال: إن الله فضل محمدا على الأنبياء وعلى أهل السماء، فقالوا: بم يا ابن عباس فضله على أهل السماء؟ فقال: إن الله تعالى قال :﴿**وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾[٢٢٨]. وقال لمحمد -صلى الله عليه وسلم-:﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً**

---

[٢٢٥] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط/١، تفسير آية ٢٥٣ من سورة البقرة.

[٢٢٦] سورة الإسراء، آية رقم: ٥٥.

[٢٢٧] سورة البقرة، آية رقم: ٢٥٣

[٢٢٨] سورة الأنبياء، آية رقم: ٢٩

مُبِيناً. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[229]. قالوا: فما فضله على الأنبياء؟. قال: قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[230] وقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم :﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾[231] فأرسله إلى الجن والإنس؛ ذكره أبو محمد الدارمي في مسنده. وقال أبو هريرة: خير بني آدم نوح وإبراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وهم أولو العزم من الرسل ، وهذا نص من ابن عباس وأبي هريرة في التعيين، ومعلوم أن من أرسل أفضل ممن لم يرسل، فإن من أرسل فضل على غيره بالرسالة واستووا في النبوة إلى ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم، وهذا مما لا خفاء فيه؛ إلا أن ابن عطية أبا محمد عبد الحق قال: إن القرآنَ يقتضي التفضيلَ؛ وذلك في الجملة دون تعيين أحد مفضول، وكذلك هي الأحاديث؛ ولذلك قال النبي– صلى الله عليه وسلم –: "أنا أكرم ولد آدم على ربي"، وقال: "أنا سيد ولد آدم" ولم يعين، وقال عليه السلام: "لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى" وقال: "لا تفضلوني على موسى". وقال ابن عطية: وفي هذا نهي شديد عن تعيين المفضول؛ لأن يونس –عليه الصلاة والسلام– كان شابا وتفسخ تحت أعباء النبوة. فإذا كان التوقيف لمحمد –صلى الله عليه وسلم–؛ فغيره أحرى. قلت: ما اخترناه أولى –إن شاء الله تعالى–؛ فإن الله تعالى لما أخبر أنه فضل بعضهم على بعض؛ جعل يبين بعض المتفاضلين ويذكر الأحوال التي فضلوا بها فقال:﴿**مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ**﴾،[232] وقال:﴿**وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً**﴾[233]، وقال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الأِنْجِيلَ**﴾،[234] ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ**﴾[235] وقال تعالى:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا**

---

[229] سورة الفتح، الآيتان:١ -٢.

[230] سورة إبراهيم، آية رقم: ٤.

[6] سورة سبأ: آية رقم: ٢٨.

[232] سورة البقرة: آية رقم: ٢٥٣.

[233] سورة الإسراء، آية رقم: ٥٥.

[234] - سورة المائدة، آية رقم: ٤٦.

[235] - سورة الأنبياء: آية رقم: ٤٨.

٨ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، عند تفسيره لقوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ...) سورة البقرة، آية رقم : ٢٥٣.

دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾[236] وقال:﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ**﴾،[2] فعمَّ ثم خصَّ، وبدأ بمحمد - عليه الصلاة والسلام -، وهذا ظاهر. قلتُ: وهكذا القول في الصحابة إن شاء الله تعالى، اشتركوا في الصحبة ثم تباينوا في الفضائل بما منحهم الله من المواهب والوسائل ، فهم متفاضلون بتلك مع أن الكل شملتهم الصحبة، والعدالة، والثناء عليهم، وحسبك بقوله الحق:﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**﴾[3] إلى آخر السورة. ثم قال:﴿**لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ...**﴾،[4] وقال: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾؛ [5] فعمَّ وخصَّ، ونفى عنهم الشين والنقص، -رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا بحبهم آمين﴾ ...[6] وعلى العمومِ، فقد فاضل الله تعالى بينَ خلقِهِ، وفاضلَ بينَ الأزمنةِ، والأمكنةِ بعضِها ببعضٍ ... ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾. [7] أي: (وفوق كل ذي علم) من المخلوقينَ (عليم) أعلمُ منه؛ حتَّى ينتهي إلى اللهِ تعالى. [8]

٥٦-ما قيل في طلب البركة: Kou nane niekhoo gneup; sabir danadaw

الترجمة الحرفية للمثل: من شربَ إدامَ/ مَرَقَ الناسِ جميعاً؛ فإن الإسهالَ مصيبُه لا محالة.

دلالة المثل وتأصيله: يرشد المثل إلى عدمِ أكلِ المالِ العام؛ وإلاَّ فإنَّ ذلك سيكون سبباً لأن يقع في مشكلاتٍ لا حصرَ لها، ولن تحل البركة في المال الذي أخذه. ونصوص الوحي مؤيدة لهذا المعنى. هذا آخرُ "الأمثال الإيجابية"، وقد غضضتُ الطَّرفَ عن الكثيرِ؛ خشيةَ طولِ الكتابِ، ولعلَّ الله يوفِّقني للعملِ في هذا المجال لعقودٍ طويلةٍ؛ فيصدر منها سلسلةٌ عديدةٌ، ومباركة في اللغاتِ الإفريقيةِ، والعربية الفصيحة منها، والعاميَّاتِ، وأشهر اللغاتِ الأجنبيةِ كالفرنسية، والإنجليزية؛ وذلك لاستخراجِ العبرِ والدرر منها على غرارِ ما سلكته في الأمثالِ الولوفية في هذا الكتاب - إن شاءَ المولى الكريم.

---

[236] - سورة النمل، آية رقم: ١٥. ٢ سورة الأحزاب، آية رقم : ٧. ٣ سورة محمد، آية رقم: ٢٩.

٤ سورة الحديد، آية رقم: ١٠، ٥ سورة الفتح، آية رقم: ١٨. سورة الفتح، آية رقم: ٢٩.

٦- القرطبي، مرجع سابق، عند تفسيره لقوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ...) سورة البقرة، آية رقم : ٢٥٣. ٧-سورة يوسف، آية رقم : ٧٦. ٨- جلال الدين الصاوي، و جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، عند قوله تعالى: (وفوق كل ذي علم عليمٌ).

المبحث السادس

الأمثال الولوَفية السلبية

الأمثال الولوفية ((السلبيةُ)) هي عكسُ الإيجابيةِ، وقد أُطلقتُ عليها صفةَ السلبية؛ لعامل من العوامل الآتية:

١- أن يكون المَثَلُ –في حدٍّ ذاتِهِ- ((سلبيا)): يدعو إلى الرَّذيلة، والفُحشِ من الكلام، والفِعالِ، ويوصي إلى عدمِ صلةِ الأقاربِ، وعدم الاهتمامِ بالجارِ، وغيرِهَا من الأمثالِ المناهضةِ للفطرةِ، والعادات الطيبة، والشرع الحنيفِ، والقيمِ الفاضِلَةِ.

٢-أن يكون المثل ((مُحتمِلاً للإيجابيةِ، والسَّلبيَّةِ))، أو ((متردِّدًا بينَهما))؛ وذلك بِحَسَبِ المقصُودِ من مُستخدمِ المثلِ: أما الإيجابية، فهيَ معروفة، وقد سبقَ بيانُها في المبحثِ السابِق، وقد يكون أصل المثل ((إيجابيا))، ثم يأتي شخصٌ فيستخدم المثل بعكسِ ما أُريدَ لهُ –أصالةً-، ثمَّ يُكتَبُ له من الذُّيوعِ بينَ النَّاسِ الشيء العجيب. وهذا الشقّ الأخير كثيرٌ إلى حدٍّ مَّا.

٣-وقد يُوصَفُ المثلُ بِـ((السلبيةِ))؛ لأنَّ بعضَ كلماتِها لا تستَحِي أن تذكُرَ بعضَ العوراتِ صراحةً،[٢٣٧] وإن كان المعنى الدلالي الإجمالي لهُ إيجابيًّا: فيكون سلبيا من جهةِ تلكَ الكلماتِ الخادشةِ لوجهِ القِيَمِ، وإيجابيًّا من جهةٍ معناهُ العام.

والأمثال الولوفية السلبية لها ما يشبهها في الأمثال العربية، والعامية، والأجنبية؛ بل ولغات العالم كافة –أيضاً-.

نماذجُ من الأمثال العربية، والعامية السلبية:

كتبَ بعضُهُم تحتَ عنوان: ((الأمثال الفلسطينة عن الجارة والجيرة .. الإيجابية والسلبية))، نماذجَ لِطَرَفٍ منَ الأمثالِ العربيةِ، والعامية السلبية والتي قيلت بالنسبة لجار السوء:

---

[٢٣٧] وقد أشرتُ في السابقِ أن طبيعة اللغات تختلف، فمنها التي تكني، ومنها التي فيها التورية الكثيرة، ومنها التي لا ترفع لذلك رأسًا؛ وإنما تذكر الشيءَ باسمِهِ الصَّريحِ. وتوجد في السنغال قبائلُ عديدةٌ توجد فيها جميع ما ذكرنا، وليس هذا خاصا بالسنغال؛ بل ذلك شأنُ اللغات واللهجات المُختلفة.

١- إن أبغضك جارك حول باب دارك.

٢- أنت جار ولا كشاف أسرار.

٣- جار السوء ما أرداه، اللي معنا أخذه اللي معاه خباه.

٤- صحن جري على باب داري، لا شبع شبعني، بس المعيار جاني.

٥- إن حكيت للجار عيرني وإن صبرت للدهر حيرني.

٦- الحسد في الجيران و البغض في الأهل.

٧- اللي بيركن على جارته بتنفقي مرارته.

٨- الجيران نيران.

٩- دار بلا جار تسوى ألف دينار.

١٠-برميها في الحارة و لا يعطيها للجارة.

١١- يا جاري إنت بحالك وأنا بحالي. [٢٣٨]

ومن الأمثالِ السلبية لذاتِها قولُهم –مثلاً، لا حَصْراً-: "الأقاربُ عقارب"! فهذا المثل – كما ترى- يدعو إلى اعتبارِ أقاربِ الإنسانِ كالعقارب؛ فهي تصوِّر الأقارب بالأعداءِ شديدي العداوةِ، والضراوةِ، تماماً مثل العقارب التي لسْعَتُها أشدِّ ما تكون! وغير ذلك من الأمثلة في الفصحى، أو العامية. وعند تتبُّعي للأمثال السلبية، لَمَسْتُ قلتَها في اللغة الولوفية، شأنها في ذلك شأن الأمثالِ السلبية في اللغةِ العربية أو العامية –وغيرها-؛ إذا ما قُورنت مع الأمثال الإيجابية، وهذا ما توصّل إليه العديدُ من الكتاب، والباحثين الذين كتبوا عن الأمثالِ المختلفةِ. وقلتها، أو نُدرتُها منظقي؛ لأنَّ الأمثالَ في الأصلِ إنما هي خلاصة تجارب الشعوب؛ ولكنَّها ومهما بلغت من القوةِ المنطقيَّةِ؛ إلَّا أنَّها لا يقولُ عاقلٌ بأنها تتسمُ بالعصمةِ، وأبى الله أن يكونَ الكمالَ إلا له، والكمال لشرعهِ -كتابا وسنةً-. وإذا فهمنا القضية بهذه الطريقة؛ فستتحققُ لنا فائدتان كلاهما مكملٌ للآخر:

أ-أَنْ ندرك إدراكًا جازمًا أنَّ لا عصمةَ لأحدٍ من النَّاسِ؛ إلا عصمَهُ الله تعالى؛ وبالتالي؛ فإن ((الأمثال البشرية)) قد يعتريها نوعُ قُصورٍ؛ لعاملٍ من العواملِ التي أشرتُ إليها، أو

[٢٣٨] موقع منتديات شعاع القمر: ٢٠٢٢/٤/١٠م.

غيرها، وكيفَ لاَ؛ وهي أمثالٌ ((بشريَّةٌ)). وبالتي فمَن منعَ جوازَ وقوعِ ذلك فقد أضفى العصمةَ على المثلِ الذي هو من إنتاجِ البشرِ، ولا حجَّةَ مؤيدة لهذا المعنى، لا عقلًا، ولا شرعًا. تلك هي الفائدة الأولى.

ب- وأمَّا الثَّانيةُ فهي الأهميةُ الشديدةُ للأمثالِ عامةً، والأمثال الولوفية على وجهِ الخصوصِ؛ ممَّا يُحتِّمُ ضرورةَ الاستمساكِ بها، والعضِّ عليها بالنَّواجذِ، وقد عُلِمَ بالتجربةِ أنَّ أيَّ تفريطٍ فيها؛ فذلكَ مُؤْذِنٌ لضياعِ ثقافةِ المجتمعِ كافة؛ فالمسألةُ شديدة الخطورةِ لا جرَمَ! وإذا تحققت الفائدتان: شدةُ الاهتمامُ بها، مع غربلتِها وتأصيلِها؛ فذلك الكنزُ الأعظمُ.

وقد رد في بعضِ المواقعِ بياناً للحِكَمِ والأمثال التي يغلب عليها التوظيف السلبي، وغيرها من الأمثال والعبارات السائرة التي يحكمها التوظيف والموقف، وسلبية أو اتزان توظيف قائلها لها في ذلك الموقف: (ومن الحكم والأمثال ما يغلب عليه التوظيف السلبي؛ لأنه يحمل فكرة سلبية مثل: ((احترسوا من الناس بسوء الظن))، و((الظلم من شيم النفوس))..، و((إذا أنت لم تنفع؛ فضر))..، ((ما ترك الأول للآخر شيئاً))، ((ليس في الإمكان أفضل مما كان))، ((أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة)) ... وكم من شخص كان ضحية لمثل أو عبارة سائرة يرددها؟، تأمل كيف ستكون علاقات المقتنع بـ"الأقارب عقارب"، وهمة وطموح الذي يردد: "الذي ينظر إلى فوق تنكسر رقبته"، "لا تكن رأساً فتقطع"، وكم من جاهل رضي بتخلفه لأنه مقتنع بقوة بالمثل: ((بعد ما شاب؛ وَدُّوهُ[٢٣٩]

[٢٣٩] أي بعد أن ضحك المشيبُ على رأسه؛ (وَدُّوهُ) أي: ذهبوا به للكُتَّاب/ أو للخلوةِ/ أو الدارة، أو المحظرة، فهذا كما ترى فيه تثبيطٌ للتعلمِ حال الكبر، والصحيح أن طلبَ العلم من المهدِ إلى اللحدِ. وقد شاهد الناس في بلادِهم وفي غيرها من تأخر في الطلب؛ ومع ذلك صيَّرَهُ اللهُ عالمًا، ومن شرع في الطلبِ صغيراً؛ فصارَ عالمًا تارةً، وتارةً أخرى لم يكتبه اللهُ في عدادِ العلماء؛ فالتبكير مهم لا شكَّ؛ لكن هناك شيءٌ آخر بعد الأخذ بالأسبابِ، ألا وهو توفيق الله تعالى للمتعلمِ، وإحلالُ البركةِ في الوقتِ المُتاحِ، وانظر إلى الإمامِ النووي الشافعي صاحبُ المجموعِ، ورياض الصالحين، كيف خلَّفَ لنا إرثَهُ العظيم؛ وقد ماتَ مُبكِّرًا، وعلى ذلك قس غيره من العلماء. وفي زماننا نماذجُ شابة من العُلماء والدعاة في العديد من البلادِ العربية والإسلامية، منهم مشهورون كالشيخُ العلامة محمد الحسن ولد الددو، و د. عبد الحي يوسف، ود. عصام أحمد البشير، والشيخُ

الكُتَّاب)). وكم من شخص مطمئن لواقعه ولم يفكر في تطوير هادفٍ لنفسه أو مجتمعه، تسير به أمواج التغيير كيفما اتفق؛ لأنه يردد باقتناع: "الله لا يغير علينا"، وكأن واقعه –أيًّا كانت مميزاته– هو الأفضل بكل المقاييس!.

وهناك الكثير من الأمثال والعبارات السائرة التي يحكمها التوظيف والموقف الذي تقال فيه، ويحكمها سلبية أو اتزان توظيف قائلها لها في ذلك الموقف. قد يقال هذه خلاصة تجارب السابقين قالوها بعد ما عركتهم الأيامُ، ونحن نجدها في الحياة أمامنا كل يوم، فكيف تجعلها خطيرة ؟! وهذا اعتراض وجيه. صحيح أن السابقين قالوها؛ ولكن لا يعني أنها خرجت من ثوب الحكمة السليمة ذات البعد الإيجابي –الذي هو جزء من صفات المسلم–، و–أيضا– من صفات الشخص السَّوِيِّ، المتفائلِ. ولا يعد تكرار السابقين للمثل معيارا للقبول ولا دلالة على الدقة، والصواب!، وكوننا نجد أن لهذا المثل أو ذاك ما يدعمه من أحداث الواقع فلا يعني أنه إيجابي وأنه يستحق أن يكون جزءا من عقليتنا، وكل ما في الأمر أن من يركز على شيء؛ سيجده أمامه؛ ولكن عليه أن يدفع الثمن غالياً؛ إذا ركز على الأفكار والأمثال والجوانب السلبية من الموقف أو القضية.

تأثير الحكم والأمثال والعبارات السائرة كبير في تشكيل عقلية الإنسان. ولأن الإنسان يسقط مشاكله وظروفه النفسية على المثل؛ فإن الأمثال تعكس رؤية الشخص للحياة، وللناس من حوله، وتعكس قِيَمَهُ وقناعتَه التي يؤمن بها، فمن خلالها يمكن تحديد معالم شخصيته، والتعرف على خفايا نفسه، وتعقيداتها. [٢٤٠]

وسأشرَعُ في ذِكْرِ بعضِ الأمثالِ الولوفيةِ ((السلبيةِ))، والتعليقِ عليهَا بشيءٍ من الإيجازِ؛ لدلالةِ مفهومِ مخالفةِ الأمثالِ الإيجابيةِ عليها، ولأننا أشرنا إلى جملةٍ من القضايا ثمَّ؛ فلا داعي للإطنابِ هنا؛ إذِ ((اللَّبيبُ بالإشارةِ يفهَمُ))، و((البلاغةُ في الإيجازِ)).

الداعيةُ محمد سيد حاج –رحمه الله–، وأ. د. محمد أحمد لوح السنغالي، ود. قطب سانو، ومن السعودية فضيلةُ الشيخِ صالح بن عوَّاد المغامسي إمام وخطيب مسجد قباء، والشيخ عبد المحسن القاسم، إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف، وأضرابهم كثير ممن بُورِكَ في أوقاتِهم. وهذا غيض من فيضٍ من أسماءِ علمائنا الشبابِ الذين تطول القائمة بذكرهم.

١ موقع منتديات شعاع القمر، تاريخ الدخول: ٢٠٢٢/٤/١٠م.

وليعذُرْنا من وقفَ على شيءٍ من الكلامِ غيرِ المُتَّزِنِ، أو المصطلحات المباشرة التي كانَ يمكنُ ذكرُ كلماتٍ أو عباراتٍ بديلةٍ أكثرَ حشمةً –وإخالُهُ قليلًا؛ لا بل نادرًا– في هذا المقامِ؛ لأنَّ الأمانةَ العلميَّةَ تفرضُ إثباتَ المثل كما ذكره الناطقون بالولوفية قدرَ الإمكانِ؛ فمن نافلةِ القولِ أَنَّ الأمثالَ تُحكَى كما هيَ –دونما تصرُّفٍ–:

١/ ما قيلَ في اتزاز المرأة:

Gnambasse yakhool dara thi wode.

الترجمة الحرفية للمثلِ:

إضافة شيءٍ إلى إزارِ المرأةِ، لا يفسِدُهُ.

دلالة المثل وتأصيله:

من عاداتِ النِّساءِ في السنغالِ أنْ يتَّزِرْنَ، وهذا المثل يقول بأنه لا بأسَ بإضافةِ بعضِ الأشياء مع الاتزارِ، وذلك مثلَ: ربطِ الخلاخلِ، والأمور التي تربطها أو تعقدُها المرأة في أيِّ جزءٍ من أجزاءِ جسمِها الأسفلِ؛ بحيث أنها لو مَشَتْ تحرَّكتْ تلك الأشياءُ المذكورةُ، وأحدثتْ أصواتاً، وإثارةً لِمَنْ بعُدَ، ولِمَن قرُبَ، سواءٌ في بيتِها، أو في الشارع، أو في المدرسة، أو في الجامعة ...!

ولا يخفى مخالفة ذلك لنصوصِ الشَّرعِ -كتاباً، وسنَّةً-، فهو مخالفة لآداب العفة، والحشمة، ومُخالفةٌ لقيمةِ الحياء، وهـو بريدٌ سَرِيع للزِّنا –عافانا الله–. وأمَّا إن كانَ ذلك قاصراً للزوجِ، لا تخرج بذلك للشارعِ؛ فهو أمرٌ طيبٌ، ومطلوبٌ؛ لأنَّ ذلك من حُسنِ تبعُّلِ المرأةِ لزوجها، وهو جزءٌ أصيلٌ ومهم من ثقافةِ الزواجِ في السنغالِ.

والاتِّزارُ للمرأةِ من القيم الولوفية والسنغالية الأصيلةِ، وذلك من عاداتِهم القديمةِ والحديثة؛ ولكن مع دخولِ العولمة بلادَ السنغال وتمكُّنِها منها؛ صارت المرأةُ –ما سلم من ذلك إلا القليلات من الموفقات– لا تلبس إلَّا البنطلون الضيق مصحوبا بالقميص الضيق، أو الملابس النسوية العارية، والشفَّافة الضيقة؛ تَتَشبَّهُ بالرجال! وصارت المرأة التي ترتدِي الملابس الفضفاضة –بما في ذلك الإزار المذكور سلفًا– موضعَ سُخريةٍ، وعدمِ تقديرٍ؛ بدعوى أنها غير مواكبة للعصرِ، وأنها رجعية، وغير ذلك من الأوصافِ التي يندَى لها الجبين. ولا يخفى أن ذلك كلُّهُ مخالفٌ لتعاليمِ الإسلامِ التي وصَّت المرأة

بالحجابِ، والحشمةِ، والعفَّة، وغضّ البصر، وعدم الخروج من البيتِ إلاَّ لضرورةٍ قصوَى، والقائمة تطول! ولَمَّا أعرَضَت المرأة عن هذه التعاليم الربانية –وسواها-؛ حلَّ بساحتِها ما حلَّ من أنواعِ الفسادِ، ومن ذلك ما نستشِفُّه من هذا المثلِ –ونظائرِهِ- العديدةِ كما سيأتِي.

٢/ ما قيل في التحذير عن التعود على السيء من الأخلاق والعادات:

Mamosse modiafe; waye mamossate diafewool

الترجمة الحرفية للمثلِ: التذوق لأول مرة هو الصعب؛ ولكن تكرار التذوق ليس بصعب.

دلالة المثل وتأصيله: من الصعوبةِ بمكانٍ ممارسة الأخلاق السيئة والضارة للمرة الأولى بالنسبةِ لسليمِ الفطرةِ، أو الإنسان الملتزم؛ ولكن تكرار اقترافِها مِن أسهلِ ما يكونُ. أي: إن المرء سيحسب ألف حساب قبل أن يتعاطى المخدرات، وشرب الخمر، والزنا، والسرقة، وغيرها، ولكنه إذا اقترفها مرة أو أكثرَ من مرةٍ؛ أصبح مدمنا عليها، وصارت بالنسبة إليه هيِّنًا، وعادةً؛ فتهون عنده ويسهل لديه اقترافه. ومن هنا تتجلَّى حكمة شريعة الإسلام؛ حينما وصفت بعض المنكرات بالرِّجس، وأنها من عملِ الشيطان، وأمرَ باجتنابها؛ لأنَّ "الوقايةَ خيرٌ من العلاجِ". والذي جعلَ المثلَ سلبيًّا -هنا- هو أنَّ بعضَ مَن لا خلاقَ لهُ يستخدمُ هذا المثل، قاصداً بذلك تذوق النساء -مثلاً-؛ فيخاطبهنَّ بهِ يتغازلهنَّ، ويُثيرهنَّ، أو يخاطب به الشبابَ من أقرانِهِ؛ لأغراضٍ غيرِ نبيلةٍ؛ وعليهِ؛ فإنَّ أصلَ المثلِ إيجابيٌّ، إلاَّ إذا اعتبرنا بعضَ ألفاظِهِ المحتملة لمعنَى الإيجابية والسلبية حسب المقصودِ، أو اعتبرنا أغراضه السيئة كما أشرتُ إلى ذلكَ سلفًا؛ فيكون بذلك سلبيّا بالدرجةِ الأولى.

٣/ ما قيلَ في حب المرأة، والحذر من جعلِها موضعَ ثقةٍ.

Djiguéne soppal ta boul wolou

الترجمة الحرفية للمثلِ: المرأةُ أَحِبَّها، أو تودَّد إليها؛ ولكن لا تثقْ فيها.

دلالة المثل وتأصيله: في هذا المثل أن الرجل ينبغي أن يُحِبَّ المرأةَ، أو يتودَّدّ إليها، غيرَ أنَّ عليهِ أن يحذرَ مِن جَعْلِها محلَّ ثقةٍ!

ومثل هذهِ الأمثال حمَّالةُ أوجهٍ! فقد يكون إيجابيا؛ إذا كان المقصودُ منه بيان أن للنساءِ دهاءٌ، وفتنةً، ومكرًا، وكيدًا، كما نطقَ بذلك القرآنُ الكريمُ: ﴿**إنَّ كيدَكُنَّ عظيمٌ**﴾،[241] وغير ذلك، كما صرَّحتِ السنة بأنه كمُل من الرِّجال كثيرٌ، ولم يكمل إلا خمس نسوة وذكرَهنَّ-. كما صورتها -أيضاً- بأنها تُقبِل، وتُدبرُ في صورة شيطان، إلى آخرِ ذلك من الأوصافِ العديدةِ، أمَّا أن يُتَّخذَ ما ذُكرَ جسراً إلى سحبِ الثقة من المرأةِ؛ وبالتالي إلحاق الأوصاف السيئة بها، واعتبارِهَا من سقطِ المَتاعِ؛ فهذه هي الجاهليةُ عينُها تتكرَّرُ في صورةِ ثيابٍ جديدةٍ من جاهليَّاتِ الأيام المتأخرة.

وفي تقديرنا أنَّ مثل هذهِ الأمثال إن لم تستخدم الاستخدامَ الأمثَلَ؛ فقد تكون سبباً للحطِّ من مكانةِ المرأةِ -على صعيدِ المجتمعِ الولوفي، والسنغالي؛ بل والإفريقي، والدولي، والرّجوعِ بها إلى ما كانت عليهِ في أيامِ الفرسِ، والرُّومِ، والهنود، واليونان، والجاهلية العربية؛ فتلك الحضارات -وغيرها- كانت لا تولي المرأةَ رعايةً تُذكَرُ، وكانت مسلوبة الحقوقِ، والواجباتِ، وكانت من سقطِ المتاعِ، وبعبارة أخرى: كانت سلعةً ممتهنة، ولم تكن لها حتَّى الشخصية مستقلة؛ إذا مات أقربُ الناسِ إليها، كالوالد، والزوج، والولد؛ كان لزاماً عليها أن تنتسبَ إلى أقاربِ الزَّوجِ؛ بل كانت المرأة، بل كانت المرأةُ تُحرَقُ مع زوجِها المتوفَّى في مَوقدٍ واحدٍ، ومن نافلةِ الكلامِ أنّ بعضَ العربَ كانواْ يئدون بناتِهم وهنَّ في قيدِ الحياةِ: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ**﴾[242]، هكذا سجل القرآن الكريم هذه القضيةَ، وبهذه الصورةِ الشنيعةِ صوَّرَها، ورتَّبَ عليها عقاباً أليماً: ﴿**وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾.[243]

ولا يخفى أن نظرة هؤلاءِ إلى المرأةِ مُصادِمةٌ للفطرةِ، والعقلِ السليم، والأخلاق، والقيمِ الأصيلة لبلادِ الدنيا بأسرِها، والدينِ الإسلامي الحنيفِ؛ ذلك لأن المرأة شقيقةُ الرجلِ،

---

١ سورة يوسف، الآية رقم: ٢٨.

[242] سورة النحل، الآيتان رقم: ٥٨ -٥٩.

[243] سورة التكوير، آية رقم: ٨ -٩.

وهي نصفُ المجتمع،[٢٤٤] بل قد تكون المرأةُ أوفى من صفوفٍ مرصوصةٍ من الرِّجالِ. والمرأةُ هي الأختُ، والخالة، والعمة، والأم المربية للأجيال؛ إذا أُعِدَّتْ:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتها أعددت شعباً طيبَ الأعراقِ

والمرأة هي من تَقف خلف "الكواليس، فتُسهم في صنعِ العُظماءِ، وتربيتِهم –بعد توفيقٍ منَ اللهِ لَها–، وما أجملَ ما قيلَ: ((وراءَ كلِّ رجلٍ عظيمٍ امرأةٌ عظيمةٌ))!

اتَّضحَ مِمَّا تقدَّمَ أنَّ الإسلام هو الذي ردَّ إلى المرأةِ كرامتَها، وهو الذي بَصَّرَ العالَم بحقيقةِ أمرِها، وهو الذي أمرَ باحترامِها، وتقديرِها، والرِّفقِ بها ((رفقاً بالقوارير))! وانظرْ كيفَ شبَّه النبيُّ –عليهِ الصلاةُ السلامُ– المرأةَ بالقارورةِ والتي من أخصِّ خصائِصِها سرعةُ الانكسارِ، والعطب والبوارِ، وكذلك المرأة؛ بل ذكر –أيضا– المصطفى الرَّؤوف–عليهِ الصلاةُ السلامُ– بأنَّهن خُلِقنَ من ضلعٍ أعوج!، وأنَّه لا يكرمكهنَّ إلاَّ كريمٌ، ولا يهينُهُنَّ إلاَّ لئيمٌ!!! فأين ما يتشدَّقُ بهِ مَن ينادي إلى شعاراتِ: ((حقوق المرأةِ))، و((اليوم العالميّ للمرأة)) ونحوِها من الشِّعاراتِ الجوفاءِ التي لا حقيقةَ لها، وظاهرُها الرَّحمةُ، وباطنُها من قِبَلِهِ العذابُ؟! صحيحٌ أنَّ للمثلِ موردُهُ المشهورُ، ومناسبتُهُ التي جعلَ "كوتجي بارما" يقوله؛ ولكن من الأمانة بيانُ أن الكثيرَ من الولوفيين، وغيرهم من القبائل السنغالية صاروا يستدلُّون هذا المثلَ في غيرِ موضعِهِ؛ الأمرُ الذي جعلَه متردِّداً مابينَ الإيجابية، والسلبيةِ؛ بحسب المقصودِ منه.

٤/ ما قيلَ في التزاور:Mbook gnarakoy dokh

الترجمة الحرفية للمثلِ: صِلَةُ الرَّحمِ، أو التَّزاورُ يقوم بهما اثنان.

دلالة المثل وتأصيله: وقد أوردتُ هذا المثل في الأمثالِ الإيجابية، وها أنذا أورده هنا –أيضاً– ضمن الأمثالِ السلبية؛ لا لذاته؛ وإنما لعامل من العوامل يأتي بيانه. فكأنه سلاحٌ ذو حدينِ، والاستعمال أو السِّياقُ هو الذي يحدد ذلك. والمثلُ إيجابيٌّ في مُجملِهِ؛ إلا إذا كان المعنى ما يقصُدُهُ بعضُ الولوفيين، أو السنغاليين إذا ما غضبواْ وأرادوا الانتقامَ، والمقاطعةَ لشخصٍ لا يبادلهم الزيارة بالمِثْلِ، فيذكرون المَثَلَ المذكورَ؛ فحينئذٍ يتحولُ من

---

[٢٤٤] والمرأة هي كل المجتمع كما يقولون.

الإيجابيةِ إلى السلبيةِ، ليس لسلبية المثل ذاته ولكن لسوءِ الاستدلال؛ ومن نافلةِ القولِ أنَّ نصوصَ الإسلامِ كتاباً -وسنةً- تأمرُ بوَصلِ من قطعك، وكظمِ الغيظِ، والتسامح، وسواها من الأخلاقِ الطيبةِ، وشُهرة ذلك قد أغنت عن الإسهابِ.

٥/ ما قيلَ في السلطان: Boor dou mbook

الترجمة الحرفية للمثلِ: السلطان ليسَ بأخٍ.

دلالة المثل وتأصيله: هذا المثل يصوِّرُ السلاطينَ والملوكَ والأمراءَ والرُّؤساءَ -الذين جعلَ اللهُ بأيدِيهم أزِمَّةَ الأمورِ- بأنهم لا أخوَّةَ لهم، وأنهم مصلَحيون، وانتهازيون، واستغلاليون، ومُفسدون، ولا يخفى أنّ ذلك صحيحٌ إلى حدٍّ كبيرٍ؛ باعتبارِ أن الحكمَ للغالبِ، وقد ورد في القرآنِ الكريم ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾. أمَّا إذا قُصِدَ بالمثلِ التعميم؛ فينقلبُ بذلك سلبيا؛ لعدمِ الاستدلالِ الصحيح؛ فمن الملوك مَنْ ضربواْ أروعَ الأمثلةِ في الإخاءِ، والإنسانيةِ، وغيرِهَا من المعاني والقيم الإنسانية الرَّفيعةِ، والفاضلة في الكثيرِ من العصورِ، وخاصة في عصرِ الخلفاءِ الرَّاشدين وغيرهم من الملوكِ الصَّالحينَ. وهذا يشبه المثلَ السابقَ.

٦- ما قيل في الوساطة: Borom koudoo doo lakke

الترجمة الحرفية للمثل: صاحب الملعقة لا يحترق.

دلالة المثل وتأصيله: قد سبق بيان أن هذا المثل من الأمثال الإيجابية، لكن طريقة استدلال البعض له خاطئٌ في كثيرٍ من الأحيانِ؛ الأمرُ الذي جعل له معنى آخرَ سلبيًّا؛ لا لذاته؛ وإنما لسوءِ الاستدلالِ به: فمثلًا يضربون هذا المثل للمرتشِي، أو من عنده ((يدٌ طولَى))؛ فإنه يصلُ إلى مُبتَغاهُ من دونِ عناءٍ -وإن كان لا يستحقُّ ذلك الشيء- عن طريق الرّشوةِ، أو الوساطةِ التي تحرم المستحقينَ من حقوقِهم. ولا يخفى مخالفةُ ما ذُكِرَ للقيمِ والتعاليم الإسلامية السَّامية. وقد تقدم الكلام عن ((نوعيِ الوساطة)) المحمودِ، والمذموم في الأمثال الإيجابية؛ فليراجع ثَمَّ، ولا حاجة لإعادتهِ -والحالةُ هَذِهِ-.

٧- ما قيل في الحظ: Sense mogeune licence

الترجمة الحرفية للمثل: الحظ خيرٌ من الليسانس/ البكلاريوس.

دلالة المثل وتأصيله: هذا المثل محتمل، أي: متردِدٌ ما بين الإيجابيةِ والسلبيةِ، -كما تقدم-، وقد تم بيان الجانب الإيجابي منه. ويكون المثل سلبيا؛ إذا فُسِّرَ بتركِ الأخذ بالأسباب؛ بدعوى أنَّ "الحظ خيرٌ وأفضل من الليسانس"؛ وعليه فلا داعي للتعلم، أو طلب الرزق، أو غير ذلك، وعلى الإنسان -فقط- أن ينتظر ما قُدِّرَ له؛ فهو آتِيهِ لا محالةَ، وهذا عينُ ((التواكل))، وهو ممنوع شرعًا، والسنة ناطقةٌ بضرورة ((التوكل)): "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروحُ بطاناً"، فكأن السنة تقول لنا: أيها الناسُ! إذا كانتِ الطيورُ تتوكَّلُ على ربِّها -ولا عقلَ لها-؛ فكيفَ تتواكلونَ -وأنتم المميَّزون بالعقلِ-؟! ويقول القرآن العظيم في هذا الصدد: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾،[٢٤٥] وغير ذلك من نصوص الشرعِ.

٨-ما قيل في عدم الاغترارِ بالمظاهرِ:

Dian toutina lool; waye dangaar Bangui thi biir

الترجمة الحرفية للمثل: الحَيَّةُ صغيرةٌ جدًّا؛ ولكنَّ سُمَّهَا موجودٌ بالدَّاخلِ.

دلالة المثل وتأصيله: قد تقدم بيان معنى المثل وأنه إيجابيٌّ؛ ولكنه قد يُستخدَم لأغراضٍ خادشةٍ للقيمِ؛ فيتحول بذلك سلبيّاً. ومن صُوَرِ ذلك: أن تُعيِّرَ امرأةٌ رجلاً يريدها بأنَّهُ لا يليقُ بها لصِغرِ حجمِهِ، ونحافتِهِ -على سُمنتِها!-؛ فتثُورَ ثائرةُ الرَّجلِ ويردُّ عليها -وقد علاهُ الغضبُ، وذهبَ بهِ كلَّ مذهبٍ- قائلاً لَها هذا المثل، يقصد بذلك بأنه على صغرِ حجمِهِ؛ فإنَّ آلتَهُ الرُّجولية ((فحولته)) لا تُبارَى! ومثل هذا النوع من الأخذِ والرد يحصل حيناً بين النوعينِ -وبوجهٍ خاصٍّ الشبابِ- الذين شَقُّوا لأنفسِهم طريقةً من الحرية غيرِ مسبوقةٍ.

٩/ ما قيل في التعود على السيء من الأخلاق والعادات: Mamosse modiafe; waye mamossate diafewool

الترجمة الحرفية للمثلِ: التذوق لأول مرة هو الصعب؛ ولكن تكرار التذوق ليس بصعب.

دلالة المثل وتأصيله: قد تقدم أن المثلَ محتملٌ -أيضاً-، وأن السياقَ هو الذي يرجح إحدى كفَّتَي المثلِ على الأخرى. ويكون المثل سلبيا؛ إذا رامَ قائلُ المثلِ أن يهوِّنَ من

---

[٢٤٥] سورة الطلاق، آية رقم: ٣.

اقترافِ المنكراتِ لِصَاحِبِهِ إذا استصعبَهُ -مثلاً-، والمعلوم أن المجرِمينَ لا يحبون البقاء في ساحةِ الإجرامِ لوحدِهم؛ بل يريدون أن تكون لكم في ذلك أعواناً، وأصحاباً -وقد رويتُ لك فيما خلا مَثَلًا أو أمثالًا-؛ فلا يتركون حيلةً من حيلِ الشيطانِ إلا واقترفوه؛ من أجلِ توريطِ النَّاسِ، شأنهم في ذلك شأن إبليس الرجيم، فقد أصدرَ ((بياناً صحفيا)) صريحاً منذ القدم -كما حكى الله عنه-: (لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً. وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً).[٢٤٦]

١٠/ ما قيل في تقصي العيوب: Koo beugue sagar; dangaye khoty sa thiaya bay

الترجمة الحرفية للمثلِ: مَنْ أَرَادَ القُماشَ؛ فعَليه أن يُمَزِّقَ سِرْوالَ وَالِدِهِ، والمتمثلة في (khoty sa thiaya bay…).

دلالة المثل وتأصيله: وهذا المثل سلبيٌّ؛ باعتبارِ بعضِ ألفاظِهِ الخادِشَةِ للحياءِ، ومعنى المثل: أنَّ على الإنسان ألا يتقصَّى عيوبَ آباءِ الآخرين؛ لأنَّه لو فتَّشَ عيوبَ والدِهِ؛ لوجدَ كثيرا من ذلك، وإنَّ في عيوبِ المرءِ شغلاً شاغلًا لهُ عن عيوبِ الآخرين، وهكذا يأمرُنا الإسلامِ في نصوص الوحيين، وذلك معلوم.

١١/ ما قيل في الفحولةِ/ الرجولةِ من عدمِها:Werente khookhane; teki toobey

الترجمة الحرفية للمثلِ: إذا حصل الجدال/ الشك في رجولةِ شخصٍ ما؛ ففكُّ السَّراويل هو الذي سيُبيِّن ذلك.

دلالة المثل وتأصيله: وهذا المثل سلبي؛ لما يتضمَّنُهُ من ألفاظٍ مؤذيةٍ للأسماعِ، مخالفةٍ للآدابِ المرعية، والقيمِ الإسلامية. هذا من جهةِ اللفظِ غيرِ المحتشمِ، ولايتعارضَ ذلك من أن يحوي المثل معاني عديدة إيجابية؛ إذ المعنى هنا: إذا شَكَّ النَّاسُ في أمرٍ؛ فإنَّ طريقَ العلمِ واليقين هو البحثَ، والتأكد، والتثبت؛ وبذلك يُقطع دابر الشك، فيبقى ما ينفع الناس في الأرض؛ وأما ما يضر بهم، ويؤدي إلى إشكاليات؛ فيذهب جُفاءً، ومعلوم أنه إذا جاء الحق؛ زهقَ الباطل؛ لأنه كان زهوقا.

---

[٢٤٦] سورة النساء، الآيتان: ١١٨-١١٩.

١٢/ ما قيل في أن يلزمَ الطفلُ شؤونَ أترابِهِ:Khale dey galle galoo khale

الترجمة الحرفية للمثلِ: الطفل ينبغي أن يتقيَّأَ قيءَ الأطفال!

دلالة المثل وتأصيله: أي على الطفل أي يقوم بأعمالٍ مُلائمةٍ لعمرِه، وعليهِ أن يتجنَّبَ الأعمال التي لا يقوم بها إلا والديه، أو أعمامه، أو أجداده. ويَعنُونَ بهذا المثل أن الطفل عليه أن يلزَمَ حدَّهُ، وألاَّ يتدخَّل فيما لا يعنيهِ من شُؤُونِ الكبارِ التي لَمَّا يقدِرْ عليهِ بعدُ؛ بل وتفوق عمره.

١٣/ ما قيل في ضرورة أن يتأدب الطفل:

Khale boorew; tegueuloo bayam doo gawa were

الترجمة الحرفية للمثلِ: الولدُ غيرُ المؤدَّبِ لا يُشفَى فَرْجُ أبيهِ بسرعةٍ!

دلالة المثل وتأصيله: وهذا المثل من الأمثالِ التي استخدِمت فيها كلمات بالغة في الوَقاحَةِ، فلم تستَحِ أبداً عن ذكرِ العوراتِ! وهذا مصادمٌ للتعاليمِ الإسلامية التي تمنَع من البذاءةِ، والفُحش في الأفعال، والأقوالِ. ومَقْصُودُ المثلِ: أنَّ الولدَ غير المؤدب يسمعُ – دائماً– من أخطاءِ أبيهِ ما يليقُ بأخلاقِهِ السيِّئةِ؛ وذلك لأنه إذا أساء إلى آباءِ الناسِ؛ سمعَ منهم ما هو أشدُّ، وأعظم. وقد ورد النهي عن ذلك قرآنا، وسنة.

١٤/ ما قيل في التعود على السيء من الأخلاق والعادات:

Thiaga benne yon lagne koy nakh

الترجمة الحرفية للمثلِ: البَغِيَّةُ تُخدَع مرَّةً واحدةً.

دلالة المثل وتأصيله: هذا المثل سلبي باعتبارِ بعضِ ألفاظِهِ (Thiaga)، وهي تَعْنِي: البغيَّة. أي أنَّ البَغيَّةَ لا تُخدَع أكثرَ من مرةٍ. وسلبية هذا المثل من جهةِ لفظِهِ ومعناه، وهذا واضحٌ، ونظير هذا المعنى من السنة: ((لا يُلدغ المؤمن من جحرٍ مرَّتين)).[٢٤٧]

لعلَّ ما تقدَّمَ من الأمثالِ السلبية أربع عشرة، أعقبت ستةً وخَمْسِينَ مثلًا إيجابيًّا: فتلك سبعُونَ كاملةً، أو ينقصُ قليلًا من دونِ الأمثالِ اليسيرةِ المكرَّرَةِ حمَّالةِ الوجهين، ولعلَّها تنيفُ على المائةِ بكثيرٍ؛ إذا ضُمَّت مع الأمثالِ النظيرةِ في اللغةِ العربيةِ الفُصحَى، والعامية، والأجنبية كالفرنسيةِ. وليس المهم الآن عددها؛ بقدر ما يُهمُّنا استقاء العبر منها.

---

[٢٤٧] سورة الإسراء، آية رقم: ٣٢.

وأرجو من اللهِ أن يُوفِّقني لإتمامِ هذه السلسلة لتشملَ الأمثال العامية في عدد من الوطن العربي الكبير، والفلانية، والسيريرية، وأمثال الماندينكو، والسونينكي وغيرها من أمثالِ إفريقيا الفتية بمواردها الطبيعية، والبشرية.

وقبل الختام أوردُ هنا ما كتبهُ بعضهم عن موضوع: ((هل الحكم والأمثال مُفيدةٌ أم خطيرةٌ))؟! فقال: ويمكن أن يقال إن توظيفنا للحكم والأمثال في كلامنا مفيد جدا، وخطير جداً -أيضا-: فأما كونه مفيدا؛ فلأنه يقرر القاعدة التي نريد الحديث عنها، ويؤكدها، ويدعمها، ويجعلنا -نحن- والمستمعين أكثر تصديقا واقتناعاً بما قلناه؛ إذا ارتبط بمثل أو حكمة، وهو مفيد -أيضاً-؛ إذا كان يحمل فكرة إيجابية متفائلة، وأما كونه خطيراً؛ فلأنه قد يحمل في ثناياه أفكاراً ورُؤى سلبية؛ فتترسخ في عقولنا، وتتحكم في رؤيتنا، وتصرفاتنا وقد تبنى حياتنا على ذلك.

ومن الملاحظ أن هذه الدرجة من التأثير للأمثال، والحكم جاءت؛ بسبب عوامل عديدة، منها: البناء الاستدلالي المنطقي للكلام ككل؛ حيث وضع الحكمة أو المثل موضع الدليل على الصحة والدقة للفكرة التي قيلت، وهذا من أقوى الأسباب الخفية التي أعطت المثل هذه القوة المتسلطة على العقل، كما أن عدم وجود قائل ومجهولية المصدر تعطي النص هالة تعظم الفكرة في نفوسنا؛ لأننا نتوقع - أو ربما نشعر- أن تلك الحكمة تمثل الحقيقة الخارجية الثابتة في الوجود التي لا تتغير، وهذا غير صحيح ولا دقيق، إضافة إلى عوامل أخرى كقضية الترديد من قبل الأجيال، والقبول الجماهيري العشوائي -الذي لا يتزعمه أحد- .. كل تلك العوامل أعطت الحكم والأمثال قوة وتأثيرًا.إن من الحكم والأمثال ما يدعم الحالة الصحية لعقلية الفرد، والمجموعة، ومنها ما يمكن أن يقال عنه: إنه السر الخفي لتعاسة بعض الناس وسيطرة السلبية على تفكيرهم وتصرفاتهم). وسلبية الأمثال الولوفية ليست استثناءً؛ وذلك معهُودٌ فِي الأمثال العربية االفصحى، والعامية، والأجنبية، وفيما يلي بيانٌ لذلك: فقد ورد في بعض مواقع الشبكة الدولية للمعلومات تحت عنوان: ((أمثال شعبية تمثل الشارع الخلفي للحضارة، وتدعو للانهزامية)):[٢٤٨] حط راسك بين الروس" .. "بوس الكلب من تمه..".."الإيد اللي بتضربك

---

١ موقع منتديات شعاع القمر: ٢٠١٢/٤/١٠م، جريدة الغد، عمان، بتصرف.

بوسها"، "بوس الكلب من تمّه، لتاخد حاجتك منّه"!، "حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس"، "الإيد اللي بتضربك، بوسها، وادعي عليها بالكسر!!".. عبارات موروثة يتداولها كثيرون، في مواقف بعينها، تحض على الاستسلام والسلبية.

وفي الوقت الذي يعجّ التراث بالأمثال القيّمة التي تعزز مفاهيم أخلاقية، وقيما اجتماعية؛ في المقابل، توجد بعضُ الأمثال التي يتيح التأمل في معناها إلى ضرورة نبذها؛ لما لها من دور في الشعور بالخذلان، والإذلال، والمهانة.

ويمقتُ أحمد سرور بعضَ الأمثالِ الشعبيةِ التي لا ينفك أحد كبار أسرته يرددها على مسامعه كلما تعرض لموقف بعينه، ويستذكر من تلك الأمثال "حط راسك بين الروس، وقول: يا قطاع الروس"، الذي قيل له عندما تعرض لحادث في عمله السابق، ورفض أن يعمل وفق "عقلية القطيع" بحسب وصفه، مصرا على التمسك بقول الحق؛ وإن كلفه ذلك ثمنا باهظا. ويرى سرور أن هذا النوع من الأمثال يحث على "الاستسلام والتراخي، ولا ينطوي على حكمة حقيقية".١

والأمثال الشعبية في أي مجتمع هي "خلاصة الحكمة، والتجربة، بكلام وجيز، وعبارات مقتضبة"، وفق اختصاصي التراث الأردني نايف النوايسة، الذي يعزو سببَ ظهورِها لطبيعة المجتمع الذي قيلت فيه في زمن كان للمجتمع آنذاك شخصيته، وأسلوبه في تعاطي الحياةِ: سياسيا، وثقافيا، واجتماعيا، كما أنها "المعبر عن حكمة الشعوب".

ويوضح "النوايسة" أن للأمثال وجهين، الأول: سلبي "ويمثل الشارع الخلفي للحضارة، المسكوت عنه"، منوها إلى أن هذا النوع من الأمثال "يحرض على الكسل" على شاكلة: "حط راسك بين هالروس وقول يا قطاع الروس"، الذي يدعو "للاستسلام، والهروب." وأما الوجه الآخر للأمثال فهو إيجابي، وهذه الأمثال مواكبة للمجتمعات القوية، مُشيرا إلى أن هذا الأمر "ينسحب على كل أنواع التعبير الأدبي "شعبيا كان، أم فصيحا"، كما يرى ابن خلدون؛ مدللا على ذلك بالغناء فإن كان راقيا ومتطورا؛ فهو نابع من "مجتمع قويّ وواعٍ، ومثقّف"، وإذا "هبط؛ فهو نتاج مجتمع هابط".

من جهته يحيل اختصاصي علم الاجتماع الدكتور حسين محادين، مسألة تأثير المثل على مستخدمه لـ"ثقافته"، منوها إلى أنه "يدلّ على نقص في مخزونه الثقافي والاجتماعي."

وينوه محادين إلى أن ((الثقافة السمعية)) "هي الأكثر سيطرة على مجتمعنا، بخلاف الثقافة المقروءة". ثم يقول كلاما في غايةِ الخطورة والأهمية: وكثير من مُستخدمي الأمثال السلبية "لم يدركوا مضامينها لاسيما أن المثل، يمثّل كثافة دلالية لا تخلو من الحكمة."[249] وهذا يؤيد بشكلٍ سافرٍ ما نحونا إليهِ من وجودِ الأمثال السلبية؛ بل ذهبنا إلى ما هو أبعد؛ فذكرنا بأنها إما سلبيةٌ لذاته، وإما لغيرِ ذاته. أي: لسبب من الأسبابِ التي ذكرتُها، وفصلت القولَ فيها -ثمَّ-. غير أن محادين يرى أنه ليس بالضرورة أن تكون هذه الأمثال "معمّمة"؛ إذ إنّ ((الأمثال كالأشخاص))، كلٌّ منها يحمل خصائصه المميزة، التي تجعله متفردا عن الآخر؛ فيتم استخدامُ المثلِ من دُون الانتباهِ إلى التفاصيلِ الدقيقةِ التي يمكن أن يُبنى عليها محتواه، وآفاقه الدلالية.

وعن تأثير الأمثال الاجتماعيّة يقول محادين: إن الأمثال لها شرط اجتماعي وفقا للزمن، والحالة التي نتج عنها، أو قيل فيها المثل، مُضيفًا: ((ما يحصل الآن أن الأمثال تُقال في سياقات زمانية، ومكانية، لا تُمت لها بصلة؛ لكنها تُفرض دونما وعي وانتباه)). وقد تقدم الكلام عن تلك السياقاتِ -وغيرها- بشكلٍ واضحٍ في الأمثالِ الولوفيةِ السلبية. وتكمن الخطورةُ في تداول هذا النوع من الأمثال، وفق محادين، كونها ((تتقافز على ألسنة الناس، من دون أن تلامس شغاف وعيهم))، والأهمية التأثيرية تكمن في سرعة انتقالها كعصارة لتجربة ما من جيل إلى آخر، في واقع لا يشترط فيه اختبار مضامين هذا المثل أو ذاك؛ فضلًا عن أن بعض الأمثال "تكرس السلبية على وجه التحديد". وفي السياقِ نفسِه، يرى اختصاصي علم النفس الدكتور جمال الخطيب أن الأمثال التي تدل على الانهزامية هي "موروث اجتماعيّ تراكميّ"، مُستدلا عليها من خلال نفسية المجتمع الذي يستخدمها كصيغة تبريرية؛ لعدم قدرته على العطاءِ، والمبادرة؛ فالاستعمار[250] الثقافي والفكري لعبا[251] دورا في ترسيخ هذه المفاهيم، "التي تُعدّ ثقافة خوف،

---

[249] موقع منتديات شعاع القمر: ٢٠١٢/٤/١٠م، جريدة الغد، عمان، بتصرف.

[250] ((الاحتلال)) أو نحو ذلك أفضلُ، وأوفَقُ من مصطلح ((الاستعمار))؛ ذلك لأن دلالاته إيجابية؛ بدليل أنَّ الله استعمرنا في الأرضِ. وعندي أن الصواب المهجورَ أفضل من الخطأ الشائعِ؛ خلافا لمن يرى نقيضَ ذلك. ولا يخفى ما في ذلك من ذهابِ اللغةِ، وانقراضِ جانبٍ غيرِ يسير منها رُويْدًا رُويدًا.

[251] لعب دورا: هذا التعبير من الأخطاءِ الشائعة، والصواب القولُ: أدَّى دوراً، قامَ بدورٍ، أو نحو ذلك ممَّا نبه عليه أساتذة اللغة، وجهابذتُه الغيورون.

ناتجة عن تخلّف مجتمعاتنا عن سواها، وحالة الضعف المتمثلة في تراجعها الفكري، والعلمي والاجتماعي، وغياب الاقتراحات الإبداعية الحقيقية".

من جانبه يبين صاحب كتاب ((المرأة في المثل الشعبيّ)) حسين نشوان أن الأمثال "تأتي كتشريع في ظل الثقافة الشفوية"، وهو ((تشريع مُلزِمٌ)) وله سلطة"، فعندما يقول أحدُهم: ((كما قال المثل: ....))؛ تجد الجميع يُصغي له بانتباه؛ كأنه سيقول ((شيئا مقدّسا ولا يُناقش)). [252]

ويلفت نشوان إلى أن ((شعبية الأمثال)) عائدةٌ إلى أنها تتميز بقصر جملها، وشعريّتها، وتمتعها بالإيقاع؛ لهذا تحفظ بسهولةٍ وتبقى راسخةً، كما أنها تتناول كل ما يتعلق بالحياة من مناسبات مختلفة، فهي شاملة، وعامّة، وذات فاعلية اجتماعية.

فيما يتعلق بالأمثال الشعبية التي تحط من قيمة المرأة على غرار ((همّ البنات للممات))!، و((الولايا رزاي))، فيرفض نشوان تداولها، مشددا على أن صورة المرأة في المثل الشعبي تتناقض مع واقعها الاجتماعي الحقيقي، ومكانتها الحالية، منوها إلى أنها حقّقت إنجازات على المستويات السياسية، والثقافية، والاجتماعية، غير أن بعض الأمثال ((تُهمِّشُهَا)). [253]

ويشير نشوان إلى أن ((الأمثال نتجت عن تراكم معرفي تداخلت فيه الحقب، دونما انتقاء للأمثال))، مبينا أن المثل أصبح ((كالأسطورة))؛ بتفرّده! فلا يلغى، ويبقى ملصقا بالحياة، دونما انسجام زمني، أو مكاني"، منوها إلى أنها غدت تندرج تحت المعرفة الثقافية التي ((تُجيز اللامنطق في سياق الواقع))، مؤكدا أن المثل قديما، كان يرصد ((واقع الحياة في وقتها))؛ ولكنه الآن صار يؤثر بسلطته التي تحكم على واقعنا الحالي؛ من خلال وقائع قديمة، ((ليست موجودة الآن))، و((لا تمت لواقعنا بصلة)). [254]

---

[252] وقد تقدم التنبيه على خطورة تقديس الأمثال، وتقديس واضعيها -كذلك-، وأنهم بشرٌ؛ مهما أُوتُوا من الكعبِ العالي، فلا عصمةَ لهم؛ وبالتالي فلا نقدِّسهم، لا هم، ولا الأمثال التي تُنسَبُ لهم.

[253] راجع غيرَ مأمورٍ المثل الأول من الأمثالِ السلبية؛ فستجدُ انسجامًا تامًّا بين هذا الكلام الذي يقوله نشوان وبين كلامي، ولم أكن وقفت على ما قاله نشوان؛ عندما كنت أكتب هذه السطور؛ فسبحانَ الحكيم الخبيرُ.

[254] موقع شعاع القمر، مرجع سابق، ٢٠١٢/٤/٨م.

ما أجملَ كلماتِ نشوان والذي انتصرَ بموضوعية عاليةٍ فيما تقدَّمَ للنِّسوانِ، وغير ذلك من قضايا لامسَ صميمَها. ثمَّ إن كلامَهُ في غايةِ المِهنيَّةِ، والمصداقيةِ، والإنصاف، والشجاعةِ الأدبيةِ، والجُرأة على مُنَاقشةِ مثل هذه القضايا الحسَّاسةِ. وإن تعجب فعجبٌ تحرُّرُهُ العقلي؛ ما أفضَى إلى توصله إلى الحقائقِ العلميةِ التي أوردَها بعيدًا عن العاطفيةِ، والذاتيةِ، والجهوية المشئومة، والمزعومة.

فلو أنَّ الكُتَّابَ في هذا المجالِ -وغيره- سلكواْ مثلَ فجِّهِ؛ لتبدَّدتْ غياهبُ الظلمات في المشارقِ، والمغارب، ولعلمَ الناس كيفَ يستفيدون من تُراثِهم الثقافي الهائل، والمتناهي العظمةِ بما في ذلك ((الأمثال)) والتي هي أغلى من الذهبِ، ومن الفضَّةِ، والماسِ، وغيرها... : عرفتُ الشَّرَّ لا للشَّرِّ؛ ولكن لتَوقِّيهِ ومن لا يعرف الخيرَ من الشَّرِّ؛ يقع فيه

واشتُهِرَ حذيفة ابن اليمان –صاحب سر رسول الله عليه الصلاة والسلام- أنه كان يسأل النبي –عليه الصلاة والسلام- عن ((الشَّرِّ))؛ مخافةَ أن تدركَهُ؛ في حين كان الناس –أي: الصحابة- يسألونه عليه -الصلاة والسلام- عن الخير، -رضي الله عنهم، وألحقَنَا بهم في جناتِهِ جنَّاتِ الفردوسِ الأعلَى-. وإلى نتائج الكتابِ بعدما تقدم من عرضِ الأمثالِ الولوفيةِ:

الخاتمة:

جاء الكتابُ تحتَ عُنوان: ((الأمثال الولوفية بينَ الإيجابيةِ والسلبيةِ))، وكان الغرضُ منه الإسهامُ في تلبية حاجة القرَّاء وإشباعِ رغباتِهم في هذا الخصوصِ، وغنيٌّ عن البيانِ أن الكتابات في الأمثال الولوفية ((السنغالية)) باللغةِ العربيةِ قليلةٌ؛ لا بل نادرةٌ -حسبَ علمِي-. وقد استهل الكاتِبُ بوضعِ مقدمةٍ عن السنغالِ: جغرافيا وتاريخيا، واجتماعيا وثقافيا، واقتصاديا، وسياسيا ودينيا، ثم تحدث عن القبائلِ السنغالية مركِّزا على ((قبيلة الولوف)) الناطقة بهذه الأمثال، ولا يخفى أن ذلك مدخل جيد، ومسلكٌ منطقِيٌّ لتناولِ موضوعِ ((الأمثالِ الولوفيةِ))، وقد قسَّمتُها إلى إيجابيةٍ، وسلبيةٍ، واجتهدتُ -فوق كل ذلك- في تأصيلِهَا تأصيلا شرعيًّا؛ لَعَلَّهُ يستفيدُ منه الإنسانُ السنغاليُّ المسلمُ، وغيرَ المسلمِ، والقارئُ الإفريقي، والعربي، والعالميُّ -أينَمَا كانَ-، وهو صميمُ الكتابِ، ومركزُهُ، وقلبُهُ الذي من أَجْلِهِ صُنِّفَ.

هذا مع أنِّي لم أجمُد على الأمثالِ الولوفيةِ؛ بل أيَّدتُها بذكرِ نظيراتِهَا من الأمثالِ العربيةِ الفصيحةِ، والعاميةِ السودانيةِ تارةً، والشَّاميةِ ... تارةً أُخرَى، كما رَصَّعْتُها بذكرِ بعضِ الأمثالِ الأجنبية مثل الفرنسيةِ، ونحوِها؛ ليأتي الكتابُ مُثْقَلًا بالأمثال الولوفيَّةِ؛ ولكن على نكَهةٍ عربيَّةٍ، وغربيَّةٍ، كما استفرغتُ الوُسعَ في جعلِ لُغتِهِ واضحةً، وسهلةً، وسَلِسَةً -والكمالُ للَّهِ-؛ فجاءَ في أبهَى صُورَةٍ لعلَّ ذلك يُفيدُ قارئَهُ، ومن يقفُ عَلَيْهِ.

هذا، والكتابةُ في هذا المجالِ من القضايا الصَّعبةِ؛ كونُهُ يحتاجُ لمهاراتٍ مُتَنَوِّعةٍ؛ لطبيعةِ تنوُّعِ الأمثالِ، وشُمولِها لجوانبِ الحياةِ كافَّةً، وتشعُّبِها، وتفرقِ قضاياها شذر مذر، وهي وإن كانت متداولة؛ إلَّا أنَّ الكثيرَ منها آخذةٌ في الاندثارِ؛ لولا لطف القدير؛ ما حتَّمَ على كتابِ القارةِ السَّمراء ضرورةَ الكتابة في الأمثالِ الإفريقيةِ خاصةً، والأدبِ الشَّعبي خاصةً، ونشرِهِ للعالمِ، وتصحيحِ صورتِهِ النَّمطيَّةِ التي لا تزالُ في كثيرٍ من الأذهانِ عالقةً علَى ثرائِها العجيب، وكانَ الُمرتَجَى أن يتناولوها بعُمقٍ، وموضوعيَّةٍ، ومهنيَّةٍ عاليةٍ؛ وساعتَها سيقفونَ على الثرواتِ العقليةِ الفذة لدى إفريقيا عامةً، بما في ذلك السنغالِ.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١/ القرآن الكريم.

٢/ السنة النبوية.

ثانيا: المراجع

أ- **المعاجم**:

١- المنجد في اللغة والأعلام، ط/ ٤٠، دار المشرق، بيروت، لبنان، سنة النشر بدون.

٢- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط/ ١، مادة (مثل)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

ب-الكتب:

٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط/ ١، ج/ ١، دار وسنة النشر (بدون

٤- أحمد التجاني الهادي توري، ط/ ١، تحرير الأقوال في تاريخ السنغال من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين(١٥٠٠-٢٠٠٠)، المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٥- إميل بديع يعقوب، موسوعة أمثال العرب، ج/ ١، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٦- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، حاشية الصاوي على الجلاليين "تفسير الجلالين ط/ ١، دار وسنة النشر (بدون).

٧- خليفة جاورا، الحركات الإصلاحية في السنغال-الشيخ عمر الفوتي نموذجا، ط/ ١، دار النشر (بدون)، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص١٨.

٨- روديلف زلهايم، الأمثال العربية القديمة، ط/ ١، دار وسنة النشر (بدون).

٩- سمير شيخاني، قاموس الحكم والأمثال، ط١، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٠- سيف الإسلام سعد عمر، مذكرة في منهجِ البحثِ العلميِّ وأساليبه في التّربيةِ والعلومِ الإنسانيّة، ط/ بدون، ديسمبر ١٩٩٤م.

١١- شيخ تجان غي، من وحيِ الواقع "ديوان شعري"، ط/ ١، لوغا، السنغال، دار النشر (بدون).

١٢- عامر صمب، الأدب السنغالي العربي، ج؟٢، ط/١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩م.

١٣- عبد القادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، كتاب الأمة، ط/١، عدد ١٢، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر.

١٤- عبد الله الرشدان، علم اجتماع التربية، ط/١، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٩٥م.

١٥- مهدي ساتي صالح، مع الإسلام والثّقافة العربية في السّنغال، ط/، المركز الإسلاميّ الإفريقيّ، الخرطوم، السودان. رجب ١٤١١هـ - يناير١٩٩١م.

ثانيا: الرسائل العلمية:

١٦- خالد عوض عبد الله مونس، البعد الدلاليُّ، واللغويُّ في المَثَلِ، والحكايةِ الشعبية الفلسطينية، بحث مقدم بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية للغة العربية للناطقين بغيرها، إبريل٢٠٠٧م، رسالة غير منشورة.

١٧- راشد محمد العدوي، الأبعاد اللغوية والدلالية للأمثال القرآنية (نماذج فنية)، بحث مقدم بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية للغة العربية للناطقين بغيرها،٢٠٠٧م، رسالة غير منشورة.

١٨- طارق عبد الرحيم صالح حسين، البعد اللغوي، والدلالي في الحِكَمِ، والأمثالِ السودانيةِ، بحث مقدم بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية للناطقين بغيرها، إبريل٢٠٠٧م، رسالة غير منشورة.

١٩- عثمان أبوبكر طندغو، الأمثال في لغة الهوسا واللغة العربية، الاختلاف، والاتفاق، والتشابه، (دراسة دلالية اجتماعية)، بحث تكميلي مقدمٌ لنيل درجة الماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم، يوليو، ٢٠٠٦م، رسالة غير منشورة.

٢٠- كينجي حسن، مقارنة بين الأمثال العربية وأمثال لغة لوغندا، دراسة تحليلية أدبية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية، بجامعة أفريقيا العالمية، عمادة الدرسات العليا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، رسالة غير منشورة.

٢١- ليلى أحمد طه إبراهيم، الدلالة اللغوية، والاجتماعية، في المثلِ الشعبي المصري، بحث مقدم بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية للغة العربية للناطقين بغيرها، ١٩٩٥م، رسالة غير منشورة.

ثالثا: مواقع الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت):

٢٢- موقع منتديات شعاع القمر.

٢٣- الموسوعة العربية العالمية، ط/١، باب جمهورية السنغال: World Book International.

٢٤- موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: http:ar // wikipedia.org /wiki

٢٥- جريدة الجزيرة بتاريخ ٢٤-٨-٢٠٠٤م، "مقال منشور":
http://www.al jazirah.com.sa/magazine/٢٤٠٨٢٠٠٤/au٤٠.ht

٢٦- منصور صله، التقابل الصوتي بين اللغتين الولوفية والعربية، منتدى اللغة العربية، ٢٠٠٨م.

السيرة الذاتية للمؤلِّف

أولًا: الخبرات العلمية:

١/ درجة الدكتوراة (أولى) في الإعلام- إذاعة وتلفاز، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠١٣م.

٢/ قيد إعداد ومناقشة رسالة الدكتوراة الثانية في علم اللغة التطبيقي، جامعة إفريقيا العالمية خلال ٢٠١٥ إن شاء الله.

٣/ ماجستير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية (جيد جدا). رجب/ ١٤٣٣هـ، ٢٤/ مايو/ ٢٠١٢م.

٤/ ماجستير علوم الاتصال- قسم علوم الاتصال، جامعة إفريقيا العالمية، ٩/ ١٠/ ٢٠١١م..

٥/ ماجستير إذاعة وتلفاز، كلية الإعلام، جامعة أم درمان الإسلامية (ممتاز)، ٢٢/ ٧/ ٢٠١١م، ١٤٣٢هـ .

٦/ دبلوم عالي تربية، تخصص التربية، كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠٠٩م.

٧/ بكلاريوس آداب، إعلام، جامعة إفريقيا العالمية،(ممتاز)، (أول الدفعة)، ٩/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

٨/ دبلوم دعوة، المعهد العالي للعوم الشرعية –سابقا-، وكلية جبرة العلمية –حاليا-(جيد جدا)، ٢٠٠٧.

٩/ درس ثلاثَ سنواتٍ جامعية بكلية الشريعةِ/ فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ((معهد العلوم الإسلامية والعربية/ القسم الجامعي، انواكشوط/ موريتانيا/ .

١٠/ درس بجامعة العلوم الإسلامية العالمية- الأردن، ماجستير علوم الحديث، ولم يتخرج منها بعدُ ... (تجميد).

ثانيا: الخبرات العملية:

١/ عملت مُحاضِراً متعاونا، ثم متعاقداً بدرجةِ أستاذ مساعد بمعهدِ اللغةِ العربيةِ جامعة إفريقيا العالمية. منذ عام ٢٠١١م، وحتى الآن،

٢/ أعملُ متعاونا بدرجةِ أستاذ مساعد بكليةِ الإعلامِ، بجامعة إفريقيا العالمية. منذ عام ٢٠١٤م-٢٠١٥-م، وحتى الآن.

٣/ مدرِّب معتمد ومحترف من أكاديمية (GATD) كندا في مجال تدريب المدربين (T.O.T).

٤/ مدرِّب معتمد ومحترف من أكاديمية (GATD) كندا في مجال تخطيط وإدارة المشاريع .

٥/ مدرِّب معتمد ومحترف من مركزِ النهضةِ للتدريب والتنمية البشرية- الخرطوم.

٦/ سكرتير تحرير مجلة الإسلام في إفريقيا سابقا.

٧/ كاتبٌ صحفي متعاون مع موقع منارات إفريقية.

٨/ عملتُ مدرساً للغةِ العربية، والقرآن الكريم، والعلوم الشرعية في كل من السنغال، وغينيا (كوناكري) وموريتانيا. والسودان، والأردن.

٩/ عملتُ مترجماً بمجلس الشبابِ العربي، والأفريقي، "من اللغةِ العربية إلى الفرنسية، والعكس".

١٠/ رئيس تحرير لكل من جريدةِ الشروقِ، ومجلةِ الضياءِ التابعتينِ للاتحادِ العامِ للطلابِ السنغاليين بالسودان لأكثرَ من سنتين، وأشرفت عليها للعديد من السنوات.

٥/ شاركتُ في تأسيسِ "ملتقى إعلاميِّي الطلابِ السنغاليين بالسودان بالاتحادِ المذكورِ، وتشرَّفتُ برئاستِه.

٦/ شاركتُ في تأسيسِ "جمعية اللغةِ العربية للطلابِ السنغاليين" بالسودان بالاتحادِ المذكورِ، وتشرَّفتُ برئاستِها.

٧/ عملتُ مدرِّباً في علومِ الاتصالِ، والإعلام، ومناهجِ البحثِ العلميِّ، واللغة العربية، والدعوة، والعلوم الشرعية ...

٨/ شاركتُ في العديدِ من الندواتِ، والمحاضراتِ في التخصصات العلمية المختلفةِ.

٩/ شاركت في العديد من المؤتمرات الدولية، مثل:

أ- مؤتمر جهود الصحابة في إفريقيا- في الخرطوم.

ب- مؤتمر الإذاعات الإفريقية الهادفة- في الخرطوم.

ج- مؤتمر مديري الجامعات الإفريقية- في الخرطوم .

٩/ قدمتُ العديدَ من البرامج الدينية، والثقافية في بعضِ المحطاتِ الإذاعية والتلفزيونية داخل وخارج السودان: مثل قناة الخرطوم، وإذاعة طيبة، وإذاعة حياة إف إم الأردنية.

١٠/ عملتُ داعيةً وخطيباً للعديدِ من المساجد بالخرطومِ، مثل مسجد معهد الخرطوم لمدةِ عامينِ، ومسجدِ الصحابةِ بالأزهري مربع (١١) لأكثر من (٦) سنين، ومسجدِ الأزهري مربع (٩) ...

١١/ نلتُ العديدَ من شهادات التدريب والتنمية البشرية (دورات وورشات تدريبية)،

١٢/ حصلتُ على العديد من شهادات التقدير .

ثالثا: اللغات التي يتحدث بها:

١/ العربية. ٢/ الفرنسية. ٣/ الانجليزية (بعض الشيء).

٤/ الفلانية، ٥/ الولوفية.

المحتويات

التقديم..١١
المقدمة..١٣
الفصل الاول
نبذة عن جمهورية السنغال..٢١
الفصل الثاني
قبيلة الولوف السنغالية...٤٥
الفصل الثالث
الامثال الولوفية...٧٥
الخاتمة..١٩١
السيرة الذاتية للمؤلف...١٩٧
المصادر والمراجع..١٩٣

الأمثال الولوفية بين الإيجابية والسلبية

الدكتور جيرنُو أحمد جالو

الدكتور
جيرنُو أحمد جالو

أستاذ مساعد بمعهد اللغة العربية وكلية الإعلام
جامعة إفريقيا العالمية

الأمثال الولوفية
بين الإيجابية والسلبية



عمان – العبدلي – مركز جوهرة القدس التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٥٩٨٩١ – خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٥٧٤٧٤٦٠ – ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٦٢٩٥٤٥٧
ص.ب ٩٢٧٤٨٦ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: dar_jenan@yahoo.com



Cover design: Samir Alawneh
079 732 9119

